كتـــــاب

الفوائد السنية على العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – رحمه الله –

تأليف

الشيـخ / عبد الله القصير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .... أما بعد :

فهذه فوائد سنية على متن العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية ـ رحمه الله ـ جمعتها مما اطلعت عليه من كلام أئمة الهدى التابعين للصحابة وتابعيهم وأتباعهم بإحسان ومن كلام من نهج منهاجهم ممن أتى بعدهم من علماء الإسلام المعاصرين وحرصت أن تكون مناسبة لاسم الرسالة بأن تكون وسطاً بين التطويل الممل، والاختصار المخل، وأن أجمع في المبحث الواحد ما تفرق من الأدلة. وكلام الشيخ وغيره من علماء الأمة حتى يتضح المقصود ويتبين تميز منهاج أهل السنة والجماعة بالأخذ بجميع الأدلة والتوفيق بينها خلافاً لأهل الأهواء والبدعة الذين ينظرون إلى النصوص بعين عوراء ويفسرونها بالهوى فلذلك اهتدى أهل السنة والجماعة إلى الحق والهدى وضل المخالفون لهم بسبب نقص النظر واتباع الهوى.

والله أسال أن ينفع بها كما نفع بأصلها وأن يجعلها خالصة لوجهه وأن يجزي خيراً كل من أشار بها وأعان عليها وكل من انتفع بها واغتبط بظهورها وصلى الله على وسلم نبينا محمد وآله وصحبه.

الفقير إلى عفو ربه

عبد الله بن صالح القصير

الباب الأول

التمهيد : وفيه :

أ- معنى العقيدة وأهميتها ووجوب صحتها .

ب- المراد بالعقيدة الإسلامية وفوائد تتعلق بذلك .

تمهيد :

أ- **معنى العقيدة وأهميتها ووجوب صحتها** .

١- أولاً : تعريف العقيدة :

العقيدة لغة : مصدر اعتقد كذا، يعتقده اعتقاداً، وعقيدة أي اتخذه عقيدةً، مأخوذ من العقد وهو الربط والشد بقوة، لما فيه من الإحكام، والإبرام ونحو ذلك مما فيه توثق وجزم ولهذا يطلق على البيع والعهد والنكاح واليمين ونحوها من المواثيق «عقود» لما فيها من الإمضاء والجزم ولارتباط كل من الطرفين بهذا العقد عرفاً وشرعاً إلى غير ذلك مما يجب الوفاء به قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

والعقيدة في الاصطلاح : هي التصديق التام، والحكم القاطع، الذي لا يتطرق إليه الشك ـ أي ـ ما ينعقد عليه قلب المرء ويجزم به، تقول اعتقدت كذا أي : عقدت عليه القلب والضمير فهي عقيدة القلب وتصميمه الجازم.

واستعملت العقيدة في اصطلاح أهل الشرع فيما يؤمن به الإنسان جازماً ويعقد عليه ضميره ويتخذه مذهباً وديناً يدين به لجزمه بصحته وترتب تصرفه عليه بحيث يتحقق منه القصد والقول والعمل بمقتضاه والإنكار لكل ما يخل به أو يناقضه.

وقد تسمى العقيدة أو الإيمان ظناً ـ أي مجزوماً به ـ لكون ما يعتقد لا سبيل إلى إدراكه حساً ولا إلى إدراك تفاصيله عقلاً لكون ما يُعَتَقَدُ ويُؤْمَنُ به من الأمور الغيبية المتلقاة من طريق الوحي الذي جاء به النبيون والمرسلون عليهم الصلوات والسلام من ربهم كقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾.

٢- حتمية العقيدة صحيحةً كانت أو باطلةً :

لا ينفك العاقل عن اعتقاد يحدد له الغايات، ويبعثه على العمل، وتحمل ما يعترضه من الصعوبات، ويعيّن له الوسائل الموصولة إلى تحقيق الطموحات، فالاعتقاد يبعث الهمة، ويجدد العزم، ويهوّن التعب. وقد يكون الاعتقاد باطلاً، وقد يكون صحيحاً، فالاعتقاد الباطل ما قام الدليل على بطلانه كاعتقاد اليهود أن عزيراً ابناً لله تعالى، واعتقاد النصارى أن الله هو المسيح بن مريم، واعتقاد عباد الأصنام والأوثان أنها تحقق لهم شفاعة أو نفعاً أو ضراً أو أنها تستحق شيئاً من العبادة .

وأما الاعتقاد الصحيح فهو ما قام الدليل على صحته كاعتقاد المسلمين أن لا إله حق إلا الله ووجوب إخلاص الدين لله، وبطلان دعوة أو عبادة غير الله .

فإن كان الاعتقاد فاسداً أو باطلاً ترتب عليه الخطأ في التقدير والضلال في تحقيق الغاية وتحديد الوسيلة فَيُفَرِّطُ ـ ضال الاعتقاد ـ فيما ينفعه ويسعى فيما يضره ويغفل عما ينتظره فيما ضل اعتقاده فيه فيصير سكونه خسارة عليه وحركته وبالاً عليه حتى يبتلى بالاضطراب والقلق وضيق الصدر ومعاناة الخواء الروحي الذي تشتد وطأته عليه فلا يفارقه إلا بتغييب عقله أو إهلاك نفسه وكله شقاء عليه، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الأنعام، من الآية: ١٢٥]، ويقول ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وأما إذا كان الاعتقاد صحيحاً فإنه يثمر طمأنينة النفس وانشراح الصدر وصلاح القلب والنشاط في أنواع العمل الصالح والمبادرة بالتوبة إلى الله تعالى من القبائح فيؤدي المرء حق الله تعالى عليه ويقوم بواجبه نحو غيره في غاية من الاجتهاد والإحسان والسرور والاغتباط بهدى الله وتوفيقه إياه للسير على الطريق الموصلة إلى رضوانه وجنته وتحصيل مثوبته في دار كرامته ويشعر بتقصيره في حق الله تعالى أو حقوق الخلق ـ إن قصر في شيء من ذلك ـ وأنه أهل للعقوبة، وذلك مما يحمله على المبادرة إلى التوبة

والإحسان بعد الإساءة، فالعقيدة الصحيحة تفيد وضوح الغاية وصحة الوسيلة إليها والنشاط في السعي وعلو الهمة وصلاح أمر المعاش والمعاد ونيل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

٣- الاهتمام بصحة العقيدة عنوان صحة الدعوة وأصل صلاح الأمة :

لما كان صلاح العقيدة يثمر صحة القول والعمل ويحقق المحبة والتعظيم لله عز وجل وكان أساس استقامة الإنسان وأصل صلاح الأمة وموجب السعادة في الدنيا والآخرة كانت فاتحة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم خاطبوا أممهم قائلين ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٩] وأمضى النبي ﷺ من عمرة الشريف المبارك ثلاث عشرة سنة وهو يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى وتحقيق الإيمان به فكان يقول لهم: «اعبدوا الله واتركوا ما يعبد آباؤكم» ويقول: «قولوا لا إله إلا الله» ولم ينزل عليه فريضة الصلاة في آخر تلك المدة ولما هاجر ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين حتى توفاه الله تعالى وعنايته بالعقيدة تضاهي عنايته بتبليغ الأحكام وتنفيذ الشرع أو أشد، وقد ختمت كثير من آيات الأحكام باسم أو أكثر من أسماء الله الحسنى وذلك لأن امتثال الأوامر واجتناب النواهي والوقوف عند الحدود إنما يحققه وينتفع به من صح إيمانه وتحقق توحيده وقد قال ﷺ لوفد عبد القيس: «أمركم بالإيمان لله وحده» وقال لعلي رضي الله عنه حين بعثه إلى أهل خيبر: «ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهَّ تعالى فِيهِ» ولما بعث معاذاً رضي الله عنه ـ في السنة العاشرة من الهجرة ـ أهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم أهل

كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله» وحتى في مرضه ﷺ كان يوصي أمته بالتوحيد ويحذرهم مما عليه اليهود والنصارى من الغلو والابتداع الذي أوقعهم في الشرك والكفر ويلعنهم على ذلك يحذر الأمة مما صنعوا خشية أن يضلوا ويهلكوا.

ب- المراد بالعقيدة الإسلامية :

١ - العقيدة الإسلامية هي الإيمان والاعتقاد الجازم والتصديق التام ـ الذي ينبني عليه القول والعمل ـ بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة من أركان الإسلام والإيمان والإحسان وغير ذلك من أحكام الدين وأموره وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى والإذعان والانقياد له سبحانه في الحكم والأمر والقدر والشرع وللرسول ﷺ بالتصديق والطاعة والتحكيم والإتباع، والإنكار والبراءة من كل ما خالف ذلك وناقضه.

٢- مصادر تلقي العقيدة الإسلامية عند أهل السنة والجماعة :

يتلقى أهل السنة والجماعة عقيدتهم من مصادر الإسلام التي هي:

أ – القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي هو كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والذي جعله الله هدى للتي هي أقوم وتبياناً لكل شيء ورحمة للعالمين وذكرى

للمؤمنين وهو أصل العلوم ونـور البصـائر، وأعظـم سـبب لصـلاح السرائر، ومصدر الأحكام، ودليل كل خلـق قـويم والـداعي إلى كـل خير وبر والمنبه على كل شر والمحـذر مـن أسـبابه ووسـائله وعواقبـه، والذي تعهد ا لله سبحانه وتعالى ببيانه وحفظـه فهـو محفـوظ بحفـوظ بحفظ الله تعالى له والباقي إلى أن يأتي الله بأمره.

ب- ما صح من سنة النبي ﷺ أي السنة الصحيحة المطهرة والتي هي وحـي مثل القرآن وتبيان له وتفسير قولي وعملي وحالي للقرآن، وفيها إيضاح لمجمله وتخصيص لعامه وتقييـد لمطلقـة وتـأتي السـنة كـذلك مواطئـه لأحكام القرآن مؤكدة لها، وتأتي بأحكام ليست فيه قال تعـالى﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل:٤٤]، وقال تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٩]، وقـال ﷺ «أَلا إِنِّي أُوتِيـتُ الْكِتَـابَ وَمِثْلَـهُ مَعَـهُ» [سـنن أبي داود، ح: ٣٩٨٨]، فجاءت السنة:

١- موافقة للقرآن دالة على مثل ما دل عليه مؤكدة له.

٢- مبينة له مفسرة موضحة لمجملـه ومـا يشـكل فهمـه عـلى بعـض الناس.

٣- مقيدة له مخصصة لبعض أحكامه.

٤- مستقلة عنه بأحكام ليست فيه.

ج- ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من العلم والعمل والهدي فإن الصحابة ﷺ أعلم الناس بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ فإنهم المخاطبون بالقرآن والسنة وقد سمعوا الخطاب وفهموا المراد وما أشكل عليهم راجعوا النبي ﷺ فيه واستفصلوا منه حتى عرفوا المراد وبين لهم النبي ﷺ دين الله بأقواله وأفعاله وإقراره وأحواله فكانوا أعلم الأمة بالقرآن وما جاء عن النبي ﷺ له من بيان، وقد تلقى التابعون العلم عن الصحابة وعملوا به أمامهم واقتدوا بهم فيه فتلقوا عن الصحابة العلم والعمل جميعاً. فقد كانوا إذا تعلموا عشر آيات من القرآن لم يتجاوزهن حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل فتعلموا العلم والعمل .

د- اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم ونطق بها الرسول الكريم ﷺ فإن الرسول ﷺ أرسل بلسان العرب وخاطبهم بلغتهم وكان المسلمون والمشركون يسمعون الخطاب ويفهمون المراد فالمسلمون استجابوا له. والمشركون أعرضوا عنه وعاندوه لا جهلاً به ولكن عناداً وتكبراً عليه لظنهم معارضته لرياستهم وشهواتهم وقد قامت عليهم الحجة بذلك الفهم والعلم فاستحق المستجيبون المثوبة واستحق المعاندون المعرضون العقوبة فكانت لغة القرآن والرسول

وسيلة البيان والبلاغ وحجة الله على المخاطبين فدل ذلك على أنها مما يفهم بها أهل اللسان مراد الله ورسوله ويحصل بها الاعتقاد لما يجب اعتقاده مع بيان الرسول ﷺ لما أشكل منه.

٣- أصول أهل السنة والجماعة في التلقي والفهم والعمل :

لأهل السنة والجماعة أصول في التلقي والفهم والعمل مستمدة من الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم فمنها :

أ - كل ما جاء عن الله تعالى وصح عن نبيه ﷺ وجب قبوله والعمل به وإن كان أحاديث آحاد سواءاً في ذلك العقائد وغيرها.

ب- حمل النص على ظاهره وحقيقته ما لم يثبت عن الله تعالى ورسوله ﷺ ما يقتضي صرفه عن ذلك.

ج- المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص المبينة لها وفهم الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على منهاجهم من التابعين وأتباعهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم ولا يعارض ما ثبت من ذلك بمجرد احتمالات لغوية أو ظنية.

د- العقل الصريح لا يعارض النص الصحيح فلا يتعارض قطعيان منهما أبداً فإن وجد ما ظاهره يوهم التعارض فالنقل يقدم على العقل لأن النقل معصوم والعقل مظنة الخطأ والتأثر بالهوى وغيره من المؤثرات الأخرى.

هـ- التسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ ظاهراً وباطناً فلا يعارض الكتاب والسنة الصحيحة بما يخالفها من رأي أو قياس أو ذوق أو كشف أو قول شيخ أو سياسة حاكم.

و- يجب التزام الألفاظ الشرعية في العقيدة وتجنب الألفاظ المبتدعة ويجب الاستفسار عن الألفاظ المحتملة فما وافق معناه الحق قبل معناه ورد لفظه وما خالف لفظه ومعناه الحُقَّ رد اللفظ والمعنى جميعاً.

٤- ضوابط الاعتقاد ومعالم المنهاج المستقيم عند أهل السنة :

للاعتقاد السليم والمنهاج المستقيم ـ عند أهل السنة ـ معالم وضوابط ومعايير منها :

١- الإيمان بكمال الدين الذي تمت به على الأمة النعمة قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٥] فهذا الضابط يبطل كل بدعة في أصل الدين.

٢- اليقين ببلاغ النبي ﷺ لكل ما شرعه الله تعالى ديناً موصلاً لمرضاته ومجنباً لسخطه وعقوبته، وهذا الضابط أيضاً يبطل كل بدعة في اصل الدين فإن النبي ﷺ قد بلغ كل ما أنزل إليه من ربه فلم يكتم منه شيئاً ينقص به الدين فيحتاج إلى إضافة أو تكميل.

٣- القطع بأن النبي ﷺ قد بين كل ما أرسله الله به من الدين بياناً شافياً بأقواله وأفعاله وتقريراته لما وافق دينه وإنكاره على ما خالفه ومن

خالفه ممن فعل شيئاً بحضرته وبين وجه الصواب فيه وهذا الأصل أو الضابط يبطل كل بدعة في كيفيات العبادات الثابتة بأصل الشرع.

٤- حفظ مجموع الصحابة ﷺ للدين كله وعملهم به كله وتبليغهم إياه للأمة فما ضيعوا منه شيئاً ولم يجمعوا على هجر شيء منه.

٥- الثقة بحفظ الله تعالى لدينه من الضياع والتبديل والتغيير فقد تعهد الله تعالى بحفظ الوحي ـ الذكر ـ وبيانه وهو يشتمل نصوص الكتاب والسنة قال تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧-١٩]، وقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] فالدين الحق باقي محفوظ من ابتغاه وجده.

٦- الجزم ببقاء طائفة من الأمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره، فعلى مريد نجاة نفسه وسعادتها أن يتعرف على هذه الطائفة بواسطة معرفة أصول اعتقادها وخصائص عقيدتها ومعالم منهاجها وسلوكها ليلحق بها وينضم إليها حتى يكون من اللاحقين التابعين للمهاجرين والأنصار بإحسان وحتى لا يقع في مشاقة الله ورسوله ولا يتبع غير سبيل المؤمنين فيهلك مع الهالكين.

٥- مميزات العقيدة الإسلامية وخصائصها :

للعقيدة الإسلامية مميزات وخصائص تجلي محاسنها وموافقتها للعقل السليم والفطرة المستقيمة وهي معالم تميزها ويحصل بها الفرقان بينها وبين العقائد الأخرى السماوية المحرفة المنسوخة أو الأرضية المخترعة فمن ذلك :

١- أنها العقيدة التي رضيها الله تعالى وشرعها طريقاً موصلاً إلى رضوانه ومثوبته ومنهاجاً لأنبيائه ورسله وصالحي عباده وأساساً لدينه وشريعته قال الله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] وقال تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾
[النساء: ٦٩-٧٠] ولذلك شرع الله لنا في كل ركعة من الصلاة فريضة أو نافلة أن نلح عليه بالدعاء ـ صادقين ـ أن يهدينا طريق المنعم عليهم بالعلم النافع والعمل الصالح لصحة علمهم وصلاح عملهم، وحسن أخلاقهم، وطيب رفقتهم وحسن عاقبتهم.

٢- أنها سبب لصلاح القلب وطمأنينة النفس وانشراح الصدر والنشاط في العمل والانتفاع بالعلم وصحة العمل واستقامة السلوك، والسلامة من الغلو والجفاء والبدعة والشرك.

٣- موافقتها للفطرة القويمة والعقل السليم لقيامها على النقل الصحيح الموافق للعقل الصريح وسلامتها من الاضطراب والأوهام والتناقضات.

٤- اتصال سندها بالنبي ﷺ والصحابة والتابعين اعتقاداً وقولاً وعملاً فلا يوجد أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة إلا وله سند ثابت وأصل راسخ من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح من الأمة.

٥- أنها عقيدة الوحدة والألفة والاجتماع على الحق فإنها عقيدة توضح هدي السابقين الأولين من السلف الصالح للاحقين فهي تبين منهاج السابق وتحمل اللاحق على حسن الإتباع وتمام الإقتداء بالسابق لوضوحها وصحة أصولها وسلامة مأخذها ونفيها لما يخالفها ولذا قال ﷺ : «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي على الحق ظَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهَّ وَهُمْ كَذَلِكَ**».

٦- أنها يترتب عليها صحة العمل فهي شرط لقبوله وحسن أثره على العامل.

٧- أن سعادة الدنيا ونعيم البرزخ وطيب العقبى في الآخرة مترتب على اعتقادها وتحقيقها وصدق التمسك بها والسلامة مما يقدح فيها وينقض كمالها الواجب والبعد عما يخل بها أو يناقضها وينافيها.

٦- ثمرات العقيدة الإسلامية الصحيحة وعواقبها الحسنة :

للعقيدة الإسلامية الصحيحة ثمرات طيبة وعواقب حميدة عاجلة وآجله منها :

١- خشية الله تعالى للعلم بعظمته وجلاله وجماله وغير ذلك من صفات كماله قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر، من الآية: ٢٨].

٢- الاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمر إليه والاستسلام له للعلم بكمال قدرته وعموم مشيئته وسعة رحمته وعظمة حكمته.

٣- تصديق أخبار الله تعالى عما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون للاعتقاد بسعة علمه وأحاطته بكل شيء.

٤- الإذعان والتسليم والانقياد لأحكامه الشرعية والقدرية والجزائية للإيمان بحكمته وفضله ورحمته وعدله وأن أحكامه كلها لحكم سامية وغايات عظيمة وأنها لا ظلم فيها بوجه من الوجوه.

٥- المسارعة والمبادرة إلى طاعة الله تعالى والحذر والفرار من معصيته والمبادرة إلى التوبة إليه من التقصير في حقه طمعاً في رحمته وثوابه وحذراً من غضبه وعقابه.

٦- إنزال الحوائج بالله سبحانه وصدق الضراعة والاضطرار إليه للاعتقاد بغناه وكرمه وجوده وقدرته وسعة فضله ولطفه ورحمته وأنه لا مكره له ولا يتعاظمه شيء أعطاه ولا معقب لحكمه ولا مانع لما أعطاه ولا راد لما قضاه ونحو ذلك مما يورث كمال التعلق به والاستغناء به عن خلقه.

٧- كمال محبته جلا وعلا للاعتقاد بصفات جماله من الرحمة واللطف والحلم والعفو والمغفرة والصفح والجود والكرم.

٨- خوف الله سبحانه والرهبة منه للعلم بصفات عظمته وجلاله من كمال القوة والقدرة وشدة الأخذ والغلبة والقهر والكبرياء، والعزة والغلبة والعظمة.

٩- الثناء على الله تعالى بصفات الكمال والجمال ونعوت العظمة والجلال واللهج بذكره آناء الليل وأطراف النهار والتوسل إليه سبحانه بحسن الثناء عليه وإخلاص العمل له وشدة الاحتياج والافتقار إليه.

الباب الثاني

أ- بيان إجمالي لأركان الإيمان الكلية .

ب- ذكر جملة من الأصول التفصيلية لأهل السنة والجماعة إشتمل عليها متن هذه العقيدة وبعض حواشيها.

جـ - نبذة عن العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية.

أ- البيان الإجمالي لأركان الإيمان الكلية .

الركن الأول : الإيمان بالله تعالى :

وهو التصديق التام والاعتقاد الجازم المقتضي للقول والعمل بوجود الله تعالى وتفرده بالخلق والملك والتدبير والكمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله والتنزه عن النقائص والعيوب ومماثلة خلقه فيما هو من خصائصه فلا سمي له في أسمائه ولا مثل له في صفاته ولا نظير له في أفعاله ولا شريك له في ربوبيته ولا ند له في عبادته فهو تعالى الإله الحق الذي يجب أن يعبد بالحق فلا تنبغي العبادة إلا له ولا يستحقها أحد سواه وتحقيق ذلك بإخلاص العبادة لله وترك الشرك والكفر والبراءة منه ومن أهله .

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة عليهم السلام .

وهو التصديق والاعتقاد الجازم بأن لله تعالى ملائكةً خلقهم من نور خلقهم لعبادته ، وتدبير ملكه وشأن عباده بأمره فهم يتعبدون لله بذلك ومن صفتهم أنهم عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم من خشية ربهم مشفقون وليس لهم من خصائص الإلهية شيء ولا يستحقون شيئاً من العبادة فيعتقد أهل السنة والجماعة وجوب الإيمان بالملائكة إجمالاً وبمن سمى الله منهم من شخص أو جماعة تفصيلاً والتصديق بكل ما ذكره الله تعالى من صفاتهم وطوائفهم طوائفهم ووظائفهم وأعمالهم، الخاصة بهم أو المتعلقة بغيرهم وكمال القيام بمهامهم التي أمرهم الله بها إلى غير ذلك مما أخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم به .

الركن الثالث : الإيمان بكتب الله المنزلة :

وهو الإيمان الجازم بأن لله تعالى كتباً أنزلها على من شاء من رسله هداية لعباده متضمنة شرائعه لعباده – منها ما سماه الله تعالى لعباده كصحف إبراهيم وموسى – وهي التوراة – والزبور والإنجيل والقرآن ومنها ما لم يسمه وأنها كلها كلام الله تعالى حقيقة تكلم الله بها وأنزلها على رسله وأن الله تعالى قد ختمها بالقرآن الذي أنزله مهيمناً عليها ومصدقاً لها

وناسخاً للمؤقت من أحكامها مشتملاً على أحسن ما فيها مع ما شرعه الله تعالى فيه زيادة عليها مما جعله الله به شريعة شاملة كاملة باقية في هذه الأمة إلى آخر الدهر مغنية لها عن أنظمة وأعراف البشر فلا يجوز تعطيل أحكامه ولا التحاكم إلى غيره .

الركن الرابع : الإيمان بالرسل :

أي الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى قد اصطفى رسلاً من الناس يبلغون رسالته يعرفون عباده به ويدعون أممهم إليه ويعلمونهم كيفية عبادته والقيام بحقه، ويبشرونهم وينذرونهم بذكر الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة منهم من قص الله نبأه ومنهم من لم يقصص عنه شيئاً ومنهم من سماه الله ومنهم من لم يسمه، وأنهم كلهم قد دعوا أممهم إلى عبادة الله تعالى وحده وأمروها باجتناب الطاغوت بعثهم الله مبشرين ومنذرين وشهداء على الناس وأئمة لهم وحكاماً بينهم فيما اختلفوا فيه ووكل إليهم بيان ما أنزل إليهم وأوجب على من أرسلوا إليهم اتباعهم وحسن التأسي بهم وحذرهم من الإعراض عما جاءوا به وعن مخالفتهم ومشاقتهم واختارهم الله تعالى على علم فبعثهم في أكرم الناس أنساباً وأحسنهم أعراقاً وأخلاقاً واختصهم بفضائل وأيدهم بأنواع الآيات وفضل بعضهم على بعض وفضل أولو العزم على جملتهم وفضل الخليلين على بقية أولو العزم

وختمهم بأفضلهم وسيدهم وإمامهم خليلـه محمـد صـلى الله عليـه وسـلم ليختم به رسالتهم وختم بشريعته شرائعهم ونسخ به أديانهم. فـلا يعبـد الله تعالى إلا بشريعة الإسـلام فإنـه الـدين الـذي كملـه الله، وأتـم بـه النعمـة، ورضيه، ولا يقبل ديناً غيره، قال تعالى : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ .

الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر :

وهو الإيمان بما أخبر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليـه وسـلم ممـا يكون بعد الموت من أهوال البرزخ وأهـوال ومواقـف القيامـة مـن البعـث والحشر والقضـاء بـين الخلـق والحسـاب والكتـب والمـوازين الحـوض والصراط والقنطرة ، وأمر الشفاعة والجنة والنار وأحـوال النـاس في تلـك المواقف إلى أن يستقر أهل كل دار في دارهم إلى غير ذلك مما أبدى الله تعـالى وأعاد بشأنه في القرآن أو صح عن النبي صلى الله عليه وسـلم وأجمـع عليـه الصحابة والتابعون وأتباعهم بإحسـان وكـان معلومـاً مـن ديـن الإسـلام بالضرورة بل اتفق على جملته أهل جميع الرسالات السماوية .

الركن السادس : الإيمان بالقدر خير وشره :

وهو التصديق التام والاعتقاد الجازم بأن الله تعالى قـد علـم بعلمـه الأزلي ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وكتـب

ذلك في اللوح المحفوظ – الذي هو الذكر – وأنه لا يكون وجود ولا عـدم ولا حركة ولا سكنة ولا فعل ولا ترك إلا بمشيئة الله تعالى وخلقه فكما أنـه تعالى لا يغيب عن علمـه شيء فـلا يخـرج عـن مشـيئته أمـر، ولا يفوتـه أو يعجزه شيء، فإنه تعالى بكل شيء عليم وعـلى كـل شيء قـدير وخـالق كـل شيء ومالك الملك ومدبره ومن فيه على وفق ما سبق بـه علمـه وجـرى بـه قلمه واقتضته حكمته ومضت به مشيئته لا خالق غيره كما لا رب سواه فـما فإن القدر قدرة الرب، ونظام الملك وسر الله تعالى في الخلق، فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن وقد ابتلى العباد فأمر ونهـى ويسرـ وبشرـ وأنـذر ليظهـر واقعاً أيهم أحسن عملاً ، ومـن هـو أهـل لكرامتـه في الـدنيا والأخـرى ولم يكلف نفساً إلى وسعها لها مـا كسـبت وعليهـا مـا اكتسـبت وإليـه المنتهـى الرجعي، والمنتهى ويجزي اللذين أساءوا بما علموا يجزي أحسنوا بالحسنى .

ب – الأصول التفصيلية لأهل السنة والجماعة :

لأهل السنة والجماعة أصول تفصيلية في العلم والاعتقاد، والعمل، والخلق، والتعامل مع الخلق، اشتملت العقيدة الواسطية على جملتها وكلياتها، وتضمنت حواشي أهل العلم عليها تفصيلاً لمهماتها، أشير باختصار إلى جملة منها، لتكون توطئة لفهم متنها، وإدراك مراميها، وليعرف الملم بهذه العقيدة مواقف أهل السنة والجماعة من مخالفهم ممن ينتسب إلى العلم والدعوة في الأصول والمنهاج .

الأصل الأول :

الله تعالى أعلم بنفسه وأحسن حديثاً وأصدق قيلا من خلقه وأراد البيان والهدى لعباده والرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بربه وهو أنصح الخلق وأفصحهم وقد كلفه الله تعالى ببيان ما أنزل إليه من ربه، فلا يسمى الله تعالى ولا يوصف إلا بما سمى ووصف به نفسه في كتابه وفيما صح من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يتجاوز القرآن والحديث .

الأصل الثاني:

إثبات جميع أسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلى وأفعاله الحكيمة، الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بها كما جاءت بألفاظها ومعانيها، وحقائقها، من غير تحريف لألفاظها ولا تعطيل لمعانيها

ودلالاتها، ولا تمثيل لله تعالى فيها بشيء من صفات المخلوقين، وأن يعتمد في إثباتها على الكتاب والسنة لأنها توقيفية ولا دخل للعقل فيها.

الأصل الثالث :

الإيمان بجميع الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة وما دلت عليه من الصفات العلى وما ينشأ عنها من الأفعال الحكيمة فالرحمان أسمه تعالى، والرحمة صفته، وإنزال الغيث من آثار ذلك الاسم وتلك الصفة .

الأصل الرابع :

إثبات تفرد الرب جل وعلا بكل صفة كمال وأنه ليس له شريك ولا مثل ولا كفو .

الأصل الخامس :

لا مساواة بين الخالق والمخلوق فإن الله تعالى ﴿ له المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ فلا يستعمل في حقه سبحانه من الأقيسة إلا قياس الأولى وهو ((كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله تعالى أولى به، وكل نقص يتنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه))

الأصل السادس :

الجمع بين الإثبات والنفي في صفات الرب عز وجل، فالإثبات يراد لذاته، والنفي يراد لإثبات كمال ضده .

الأصل السابع :

يأتي النفي في صفات الرب جل وعلا - في الغالب مجملاً – لأنه أبلغ في الدلالة على التنزيه، ويأتي الإثبات – في الغالب مفصلاً فإنه أبلغ في الدلالة على تنوع الكمالات .

الأصل الثامن :

قد يرد الإجمال في إثبات صفات الرب جلّ وعلا ويراد به إثبات الكمال المطلق والحمد المطلق والمجد المطلق ونحو ذلك مثل قوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وقوله ﴿ وله المثل الأعلى في السموات والأرض ﴾ .

وقد يأتي النفي المجمل مثل قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وقوله ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ وذلك لنفي كل ما يضاد كمال الله المطلق من أنواع العيوب والنقائص .

الأصل التاسع :

البراءة من إلحاد الملحدين في أسماء الله وصفاته وآياته المائلين بها عن معانيها وحقائقها إلى أمور باطلة ومنهم :

أ – المشركون الذين اشتقوا لمعبوداتهم أسماء من أسماء الله تعالى أو سموها ببعض أسمائه كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

ب- ضلاّل أهل الكتاب وغيرهم من الأمم الذين سمو الله تعالى بما لا يليق بجلاله وعظمته، كتسمية اليهود والنصارى لله أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً أو علة فاعلة، وتسمية الدهريين له الطبيعية .

ج – ومن يصف الله سبحانه بما لا يليق بجلاله وعظمته وما يتنزه عنه من النقائص والعيب كقول اليهود – لعنهم الله – إن الله فقير ونحن أغنياء – وقولهم ((يد الله مغلولة))

وزعمهم إن الله تعالى تعب من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت .

د – ومن جحد معانيها وحقائقها، كالجهمية الذين قالوا عن النصوص والأسماء والصفات إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني

فعندهم أن اسم الله السميع لا يدل على سمع، والبصير لا يدل على بصر، والحي لا يدل على حياة .

هـ – من مثل صفات الله تعالي بصفات خلقه كالممثلة الذين قالوا وما نعقل من الصفات والواردة في القرآن إلا أنها مثل صفاتنا .

و – المفوضة الذين قالوا إنهم لا يعلمون معاني نصوص الأسماء والصفات وأنها مما استأثر الله بعلمه.

فيتبرأ أهل السنة والجماعة من هؤلاء المنحرفين لأن الله تعالى توعد الملحدين في أسمائه وآياته بأشد الوعيد وتهددهم بأخطر ألوان التهديد فقال ((إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا)) وقال سبحانه ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)) .

الأصل العاشر :

إثبات الصفات الذاتية المعنوية لله تعالى مثل الحياة . والعلم والقدرة ونحوها على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته وضابطها أنها الملازمة لذات الرب تبارك وتعالى فلا تنفك عنه بحال ويمكن إدراكها بالعقل .

الأصل الحادي عشر :

إثبات الصفات الخبرية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته كالوجه، والعين، واليد ، والإصبع ونحوها مما مسماه بالنسبة لنا أجزاء و أبعاض وإنما قيل عن هذه الصفات إنها خبرية لأنها إنما تتلقى من طريق الوحي فلا يمكن إدراكها بالعقل وإنما تتلقى من طريق النقل الثابت .

الأصل الثاني عشر:

إثبات صفات الأفعال أي :الصفات الفعلية الاختيارية وقيام الأفعال بالرب جل وعلا فإنه الفعال لما يريد ومن تلك الصفات ، كالمحبة والرضا والبغض والكراه. وضابط تلك الصفات أنها يعبر عنها بلفظ الفعل، وأنها واقعة بمشيئة الله تعالى عند وجود سببها ومقتضاها فوجودها عند سببها كمال، وانتفاؤها عند تخلف سببها ليس بنقص.

الأصل الثالث عشر :

إثبات علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه فوق جميع مخلوقاته بالكيف الذي يعلمه سبحانه ، وقد جاوزت أدلة علو الله تعالى على خلقه من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة ألف دليل كلها شاهدة بانحراف المعطلة عن الصراط المستقيم .

الأصل الربع عشر :

إثبات الإرادة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، وأنها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إرادتان :

الأولى : إرادة كونية (قدرية) وهي مقارنة للقضاء والقدر.

الثانية : إرادة دينية (شرعية) وهي مقارنة للمحبة والبغض.

وبينهما فروق وتجتمعان في طاعة المطيع، وتنفرد الكونية في معصية العاصي.

الأصل الخامس عشر :

إثبات معية الله تعالى لخلقه على ما يليق بعظمته وجلاله وهي نوعان :

- عامة ومن مقتضاها العلم والاحاطة والقدرة والقهر .
- وخاصة من مقتضاها التثبيت والتأييد والكلاءة والنصرة لمن أضيفت إليه.

الأصل السادس عشر :

إثبات الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وأنه من الصفات ـ الذاتية باعتبار أصله وأن الله تعالى موصوف به ومن الصفات الفعلية باعتبار آحاده وتجدده ووقوعه بمشيئة الله وقدرته تعالى أي أنه متكلم بما شاء متى شاء وكيف شاء وأن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة وأنه منزل غير مخلوق منه بدء واليه يعود .

الأصل السابع عشر :

إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة في العرصات وفي الجنة من غير إحاطة لما جاء فيها من الآيات القرآنية المحكمة والأحاديث النبوية المتواترة وإجماع الصحابة والتابعين عليها وهي من أعظم ثواب الإيمان وأعظم ما يتنعم به المؤمنون في الجنان خلافاً للخوارج والمعتزلة وغيرهم من فرق العطلة .

الأصل الثامن عشر :

أن حكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل، فإن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتؤكد ما دل عليه كما أنها تقيد مطلقه وتخصص عمومه وتستقل عنه بأحكام ليست فيه .

الأصل التاسع عشر :

من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان اعتقاد في القلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ذلك أن الإيمان الكامل يدخل فيه جميع الدين ظاهره وباطنه أصوله وفروعه .

١- فعقيدة القلب هي ما ينطوي عليه من المعرفة والاعتراف والتصديق.

٢- وعمله هو محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهة الشر والعزم على تركه وهجره، والتوكل والرغبة والرهبة .

٣- وقول اللسان وهو ما يتكلم به من الشهادتين وذكر الله والثناء عليه والدعوة إليه وتعليم العلم وتعليمه والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن وغير ذلك.

٤- وأعمال الجوارح ما يؤدى من الأعمال كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والبر والصلة وأداء حقوق الله وحقوق عباده، وترك ضد ذلك.

الأصل العشرين : من أصول أهل السنة والجماعة :

- القول بزيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالسيئات وهو المأثور عن الصحابة والتابعين وجمهور السلف وذلك لنص القرآن على زيادته وللعلم

بأن الإيمان يتفاضل في القلوب بحسب تفاضل الناس في العلوم والأعمال والقوة والضعف ودلالة السنة الصحيحة على نقصه :

١- حديث أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

٢- حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين الخ.

٣- أن الشرع جاء بجلد الزاني البكر والشارب والقاذف وقطع يد السارق وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ولو كانوا كفاراً لكانوا مرتدين يقتلون، ولم يأت الشرع بقتلهم فدل على بقاء الإيمان معهم وقد ارتكبوا هذه الكبائر .

٤- ولأن الله تعالى أثبت الأخوه الإيمان للمسلمين المقتتلين.

٥- حديث الإيمان بضع وسبعون شعبة فانه يدل على أن الإيمان يكمل بكمالها ويزيد بنقصها.

٦- وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على ذلك، ودلالة العقل على ذلك بداهة فإن ما يقبل الزيادة يقبل النقصان .

الأصل الواحد والعشرين :

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن أهل القبلة وهم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأستقبل القبلة وصلى صلاة المسلمين وأكل ذبيحتهم – فهو مسلم لهم ما لهم وعليه ما عليهم لقوله صلى الله عليه

وسلم:[من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا] ولهذا لا يخرجون من الإسلام أحداً بذنب (دون الشرك ونحوه من نواقض الإسلام) ما لم يستحله بل يسمونه عاصياً أو فاسقاً وهو عندهم كسائر المسلمين فلا يخرج من الإسلام بمعصيته وهو في الدنيا إن لم يتب مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فليس بكافر ولا بمنزلة بين المنزلتين كما تقوله (الخوارج المعتزلة) .

أما في الآخرة إن مات من غير توبة فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة لأول وهلة وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم يخرج من النار بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين ومصيره إلى الجنة بكل حال ما دام معه أصل الإيمان .

الأصل الثاني والعشرين :

ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لمعين بجنة أو نار إلا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم لأن الخواتيم أمور غيبية فلا يعلم حقيقة باطنه وما مات عليه إلا الله لكن يرجون للمحسن الثواب ويخافون على المسيء العقاب.

فلا يقطعون لأحد بجنة أو نار إلا من ورد بشأنه نص ثابت .

الأصل الثالث والعشرون:

محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالاتهم والترضي عنهم والثناء عليهم والاستغفار لهم وإتباعهم على ما كانوا عليه من السنة والهدى .

الأصل الرابع والعشرين :

محبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهم قرابته المسلمون وزوجاته أمهات المؤمنين ويلحق بهم ذرياتهم المتبعون لهم بإحسان فكل أولئك تجب موالتهم، ومعرفة فضلهم وشرفهم وإنزالهم منزلتهم وحفظ وصية النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فأهل السنة والجماعة يأمرون باحترام كل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم وإكرامهم والإحسان إليهم والبراءة ممن أبغضهم وآذاهم أو كفرهم أو سبهم أو طعن في أحد منهم أو استحل شيئاً حرمتهم .

الأصل الخامس والعشرون :

الإمساك عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم من الاختلاف والاقتتال واعتقاد أنهم مجتهدون مأجورون فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد وخطأوه مغفور وذلك لسبقهم إلى الإسلام ومنزلتهم من النبي صلى الله عليه وسلم وما جاءت به النصوص من ذكر فضلهم وفضائلهم

والواجب نحو هم ولذلك يتقرب أهل السنة والجماعة إلى الله تعالى بشأن ما جري من الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم بأمرين .

الأول : سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغض لأحد الصحابة رضي الله عنهم .

الثاني : سلامة ألسنتهم من الطعن فيهم واللعن والسب لهم . وذلك طمعاً في الدخول فيمن أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ((والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم)) .

ويقولون – بلسان الحال والمقال – مغتبطين بالعافية من شهود ما جرى بينهم ما عبر به أحد السلف قائلاً ((تلك دماء وأشلاء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا)) قال تعالى ((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)) .

الأصل السادس والعشرون :

التصديق بما ثبت من الكرامات :من أصول أهل السنة التصديق بما ثبت من كرامات الأولياء وما يجرى الله على يديهم من أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات فيعتقدون ما يثبت منها إجمالاً وتفصيلا وذلك .

١ - لما فيها من الدلالة على كمال قدرة الله تعـالى ونفـوذ مشـيئته فكـما أن الله تعالى سنناً وأسباباً تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعاً وقـدراً، فـإن الله تعالى سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم منها آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٢- أن كرامات الأوليـاء آيـات وبـراهين عـلى صـحة نبـوة الأنبيـاء فـان كرامات الأوليـاء لم تقـع إلا ببركـة اتبـاعهم الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسلام.

٣- أن كرامات الأولياء من البشرى المعجلة في الحياة الدنيا .

الأصل السابع والعشرون :

تقديم كلام الله تعالى وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم على غيرهما فيأخذون بهما ويتركون كل مخالفها من كلام الناس لأن كلام الله تعالى هو الحق ويهدي إلى الحق، ولأن الله تعالى قد أمر بإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وحسن التأسي به وجعل ذلك من طاعته ومن أسباب رحمته ومغفرته ومحبته وحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصبهم فتنة أو يصبهم عذاب أليم)) وجعل سبحانه تحكيم رسوله شرط الإيمان به، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ ممن رغب عن سنته وحذر من المحدثات ووصفها بأنها شر الأمور وأنها ضلالة .

وكذلك أهل السنة يتبعون هدى الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين لأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباعهم ولأنهم أعلم الأمة بمراد الله ورسوله .

الأصل الثامن والعشرون : موازين أمور الناس عند أهل السنة :

- من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يعرضون كل ما يعرض عليهم – من أمور الناس – مما له تعلق بالدين – من العلوم والاعتقادات والأقوال والأعمال والأخلاق والأحوال على كتاب الله تعالى فإنه

أصل الأصول فيه الهدى والبيان في كل أمر، والسنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنها من القرآن وهي بيان له من وجوه كثيرة يتضح بها المراد ويزول معها اللبس)) وكذلك ما كان عليه الصحابة قبل الفتنة والتفرق فما وافق هذه الأصول قبلوه واعتبروه من دين الله تعالى وما خالفها عدوه من المحدثات وردوه على من جاء به كائناً من كان .

الأصل التاسع والعشرون : طريقة أهل السنة والجماعة في الأمر والنهي واعتدالهم فيهما :

- يأمر أهل السنة والجماعة بالمعروف وينهون عن المنكر – أنفسهم وغيرهم على ما توجيه الشريعة ، باليد واللسان ثم القلب فيقومون بهذا الواجب ويوصون به غيرهم حسب الاستطاعة ويراعون جلب المصالح ودفع المفاسد وغير ذلك من القواعد الشرعية مخالفين بذلك أهل الأهواء كالخوارج والمعتزلة ونحوهم ممن يجعلون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة للفتنة وتفريق الأمة والخروج على الولاية وغير ذلك مما تمليه الأهواء المضلة .

الأصل الثلاثون : من أهم أمور الجهاد الولاية العامة :

- يرون إقامة الحج والجهاد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً لما في إقامة هذه الشعائر مع الولاة من العمل بالكتاب والسنة والتأسي الحسن بالسلف الصالح من الأمة ولما ذلك من الأثر الصالح على الأمة وإغاظة العدو ومباينة أهل الأهواء والبدعة إلى غير ذلك من الأمور التي تربو مصلحتها على مفسدة المخالفة فيها بل إن الفتنة في التخلف والمخالفة أكبر والشر أعظم .

الأصل الحادي والثلاثون :

إقامة الشعائر الدينية كالجمعة والجماعة و الأعياد والحج مع عامة المسلمين وراء الأمراء أو نوابهم أبراراً كانوا أو فجاراً وترك التخلف عن تلك الشعائر بحجة فسق من يؤم الناس فيها فإن اعتقاد أن هذه الشعائر لا تقام إلا وراء إمام معصوم من عقائد الرافضة وأشباههم من أهل الأهواء.

الأصل الثاني والثلاثون :

القيام والوصية بما تقتضيه الأخوة الإيمانية من النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم والتعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر من والتواد والتراحم والتعاطف وغير ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض عملاً بالآيات والأحاديث والآثار الثابتة عن السلف الصالح في هذا الشأن .

الأصل الثالث والثلاثون :

تثبيت الأمة في سائر الأحوال بالأمر بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء ، والرضاء بمر القضاء لما يثمره ذلك من عظم المثوبة وحلو العاقبة وكشف الكربة وشكر النعمة وثبات الإيمان ودرء الفتنة .

الأصل الرابع والثلاثون :

التحلي بالخلق الحسن والإحسان إلى مستحقه وحظ الأمة على ذلك والتحذير و النهي عن مساوئها :

أ - فيندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، تعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك ما كان في ذلك مصلحة راجحة.

ب- الأمر ببر الوالدين، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار والإحسان إلى المساكين والأيتام وابن السبيل والرفق بالمملوك والأجير .

ج- النهي عن الفخر والخيلاء والبغي واستطالة على الخلق بحق أو بغير حق كما في ذلك من الظلم والإثم . ولما يحدث من الفتنة والشر .

الأصل الخامس والثلاثون :

إعطاء ولاة أمور المسلمين حقوقهم – ولو مع بغضهم – وإن جاروا وإن ظلموا عملا بما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السلف الصالح من الأمة من السمع والطاعة لهم في غير معصية الله، والنصيحة لهم

، وترك سبهم وعيبهم في المجالس والتحرش عليهم والدعاء لهم . والصبر على جورهم عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم أعطوهم الذي لهم واسألوا الله الذي لكم فإن الله سائلهم عما استرعاهم .

الأصل السادس والثلاثون :

النهي عن الجدال والخصومات في الدين لأنه من أسباب الاختلاف وتخزيب الأمة وهو من الأمور التي هلكت بها الأمم السابقة ، ومن أسباب وعلامات الضلال والهلكة لمن وقع فيه من هذه الأمم لما في سنن الترمذي وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل في الدين ثم قرأ قوله تعالى ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ .

الأصل السابع والثلاثون :

ينهى أهل السنة عن مجالسة أهل الأهواء والبدع نهياً شديداً لما في مجالستهم من مخالفة أمر الله ولأنها سبب الانقياد لأهل الضلال وتعظيمهم ومحبتهم ومتابعتهم على باطلهم وفتنة الناس بهم وتكثير سوادهم وإيثار ما هم عليه قال تعالى ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى

تخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة ((نقله عنه الإمام البغوي رحمه الله))
وقال ابن عباس أيضا لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب .

وقال ابن جرير رحمه الله ((في هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم)) .

جـ- نبذة عن العقيدة الواسطية:

العقيدة الواسطية رسالة عظيمة نفيسة كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية لأحد قضاة واسط بالعراق – فيما قيل ((وسط النهار – بين الظهر والعصر)) ،وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله وسطية أهل السنة والجماعة بين طوائف الأمة في العلم والعمل بما بعث الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق والتعامل به مع الخلق بأسلوب سهل بسيط خالٍ من غريب مفردات اللغة، ومصطلحات أهل الكلام، ومن حشو الكلام الذي يشغل عن المقصود ، ولقد وفق الله الشيخ رحمه الله تعالى إلى حسن عرضها وترتيبها ترتيباً بديعاً في تسلسل موضوعاتها فجاءت اصولها ومسائلها على نسق فريد مؤيدة بالنصوص القاطعة، والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة، فكانت من السهل الممتنع الذي يظن من سمعه أو قرأه أنه يحسن مثله، ولقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في تلك الرسالة جل أو جملة أصول أهل السنة والجماعة، العلمية الإعتقادية، والقولية والعملية والأخلاقية، ونبه على أشهر الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة في أصل من تلك الأصول أو أكثر،وأتبع ذلك بردود إجمالية تبين وجه وخطر مخالفتهم، بحيث يتجلى لمن قرأ هذه العقيدة بتمعن وحسن فهم .

أ – أن مضمون هذه الرسالة مأخوذ من مشكات الكتاب والسنة .

ب- وأن أهل السنة والجماعة تبع للسلف الصالح من الأمة في العلم والاعتقاد والقول والعمل والهدي، يهدي السابق منهم اللاحق، ويتأسى اللاحق منهم بالسابق .

ج- كما تتضح – بجلاءٍ – لمن تمعن هذه الرسالة مخالفة المخالف – من شخص أو طائفة - لأهل السنة والجماعة في أصل واحد من أصولهم أو أكثر ووجه مخالفته حتى لا يغتر بما يعلم من موافقة المخالف لأهل السنة والجماعة في بعض الأصول فيبرر مخالفته، وحتى لا يحمله كون المخالف معظماً عنده على أن يتعصب له أو يبرر ما أخطأ أو ضل فيه وهو يعلم خطأه أو ضلاله فإن الحق أحق أن يتبع وهو ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وأن الباطل وأهله يوم القيامة في النار، وأن من اتبع مبطلاً على باطله وهو يعلم ببطلان مسلكه فإنه على خطر أن يدخل تحت طائلة وعيد من أخبر الله عن قولهم – ((ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا، ربنا أتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيرا)) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف رحمه الله :

بسم [1] الله [2] ....

---

(١) فائدة: تشرع البداءة بالبسملة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أول المصنفات اهتداء بالكتاب المبين فإنه مبدوء بها فإنها أول آية فيه فإن البسملة آية قبل سورة الفاتحة [وعند بعض أهل العلم أنها منها والصواب أنها ليست منها بل هي قبلها وقبل كل سورة إلا براءة] وهي جزء من آية من سورة النمل وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وتأسياً بالنبي ﷺ فإنه كان يكتبها في أول كتبه ومراسلاته إلى عماله وملوك زمانه كما في خبر صلح الحديبية وغيره وكان الصحابة ﷺ يصدرون بها رسائلهم ونصائحهم إلى ولاة أمورهم وذويهم وإنما يبتدأ بها، تبركاً باسم الله تعالى في الأمر ذي الشأن، واستعانة به عليه وبراءة من الحول والقوة إلا به سبحانه. ومتعلق بسم الله فعل محذوف مقدر متأخر مناسب للغرض منها فإن أريد الكتابة فالتقدير بسم الله أكتب وإن أريد القراءة فالتقدير بسم الله أقرأ وإنما يقدر متأخراً لفائدتين :

إحداهما : إفادة الحصر أي أبدأ باسمه وحده لا بسم غيره.

الثانيـــة : التيمن بالبداءة بالاسم العظيم لله تعالى.

(٢) فائدة : لفظ الجلالة «الله» مشتق من أَلِهَ يُؤلَه إلاهَةٌ إي عُبِدَ يُعْبَدُ، عِبَادَةً، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود.

=

.... الرحمن الرحيم، الحمد لله (١) الذي أرسل رسوله بالهدى ودِين الحقِّ (١) ....

فالإله هو المألوه ـ أي المعبود الحق ـ الذي تألهه القلوب ـ أي تكثر ذكره لحبه وكونه مستحقاً للألوهية مستلزماً لصفات الكمال فلا يستحق أن يكون مألوها معبوداً إلا الله تعالى الإله الحق لكماله في ذاته وأسمائه وصفاته فهو = الإله الحق المعبود الحق بالحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا يستحقها أحد سواه فتأليه غيره سبحانه شرك وظلم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وباطل وفساد، و قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقد ذكر لفظ الجلالة «الله» في القرآن أكثر من ألفين وثلاثمائة وستين مرة، وهو اسم خاص بالله عز وجل فلا يجوز إطلاقه على غير الحق سبحانه بل لم يطلق على غير الله عز وجل فلم يسمى به أحد سواه.

(١) فائدة : الحمد : لغة هو الإخبار عن محاسن المحمود بذكر صفاته الجميلة، وأفعاله الحسنة مع حبه وتعظيمه، فإن تجرد من الحب والتعظيم فهو مدح.

والحمد شرعاً: هو الثناء على الله تعالى بذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الحكيمة وآلائه التي لا تحصى مع حبه وتعظيمه وإرادته. واقترن الحمد بالألف واللام للاستغراق للإشعار بأن جميع المحامد كلها لله تعالى ملكاً واستحقاقاً فإنه سبحانه محمود على حسن أسمائه وعلو صفاته وتدبيره الحكيم وشرعه القويم وجزائه الدائر بين العدل والفضل ونعمه السابغة وحججه البالغة.

.... ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً[2] .

---

(١) فائدة : بعث الله محمداً ﷺ «بالهدى» وهو العلم النافع وهو القرآن العظيم وما جاء على لسان النبي ﷺ له من بيان و«دين الحق» وهو العمل الصالح أي سنة النبي الكريم وقد اشتملا ـ أي الكتاب والسنة ـ على جميع مسائل الدين العلمية القولية والعملية أي العقيدة والشريعة فهما مصدراً الحق؛ علماً وعملاً فمن ابتغى الهدى منهما هداه الله ومن ابتغاه من غيرهما أضله الله وولاه ما تولاه، وقد اشتملا على ثلاثة علوم هي أصول العلوم وثمرتها :

= الأول : العلم بأسماء الله وصفاته وتدبيره وأفعاله وهو المعبر عنه بتوحيد المعرفة والإثبات، أو العلم والاعتقاد.

الثاني : العلم بإلهية الله وعبادته بما شرع ووجوب الإخلاص له في ذلك وهو المعبر عنه بتوحيد القصد والطلب وهو الأوامر والنواهي وكيفية الأداء أو الترك شرعاً.

الثالث : علم الثواب والجزاء وهو مقادير الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على المعاصي والمخالفات في الدنيا والآخرة.

(٢) فائدة : شهد الله تعالى على صدق رسوله محمد ﷺ بأمور :

١- بقوله قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾ .

٢- بفعله حيث أيد سبحانه رسوله ﷺ والمؤمنين به بالآيات البينات والنصر على الأعداء.

=

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدّه لا شريك له [1]، ....

٣- وإقراره له على ما يقول ويفعل وينسبه إلى ربه فلو كان كاذباً وحاشاه لعاجله بالعقوبة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٤- إطلاعه على دعوته ورضاه بطريقته فيها فإن من أسمائه تعالى الشهيد أي المطلع على كل شيء العالم بتفاصيله ومن ذلك إقرار نبيه ﷺ ودعوته وأقواله وأفعاله وأحواله وسيرته مع من استحباب له ومن عارضه.

٥- بحكمه وفصله بين رسول الله ﷺ والمؤمنين به، وبين من كذبه وعارضه وأعرض عنه حيث نصر سبحانه رسوله والمؤمنين النصر المبين وخذل وأهلك المشركين والكافرين.

(١) **فائدة في معنى شهادة أن لا إله إلا الله وما يتعلق بها :**

تأتي الشهادة على عدة معاني يحدد المراد منها السياق والاقتران والمناسبة. ومعناها هنا: الإقرار والاعتراف والأخبار الجازم عن اعتقاد القلب بألوهية الله تعالى وحده لا شريك له وأنه هو ألإله الحق وحده المستحق للعبادة من عباده فلا يستحقها أحد معه أو من دونه والتزام الشاهد بها بإخلاص العبادة لله والبراءة من كل معبود سواه وعبادة لغير الله.

فقد تضمنت الشهادة لله تعالى بالوحدانية أمرين هما :

١- النفي: وهو نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن غير الله تعالى كائنا من كان.

٢- الإثبات : وهو إثبات الإلهية واستحقاق العبادة لله تعالى وحده.

=

* فلابد من الجمع بين النفي والإثبات لأن النفي وحده ليس توحيداً، والإثبات وحده لا يمنع الشرك أو المشاركة؛ فإذا اجتمع النفي والإثبات تحقق التوحيد وانتفت المشاركة.

* فمعناها لا معبود حق في الوجود إلا الله تعالى.

* ومقتضاها : إفراد الله تعالى بالإلهية والإخلاص له تعالى في العبادة.

* وتحقيقها من العبد الشاهد بها لله تعالى بأمرين :

الأول : أن يعبد الله.

الثاني : أن يترك الشرك ويبرأ من كل معبود سوى الله.

* وحقها: فعل الواجبات وترك المحرمات والتوبة إلى الله تعالى من التقصير في شيء من ذلك.

* وكمالها: بالتعلق بالله تعالى في سائر الأحوال وذكره بالقلب والأقوال وابتغاء وجهه بصالح الأعمال.

= * وشأنها أنها آية الدخول في الإسلام والعروة الوثقى وكلمة التقوى وشرط قبول العمل وأثقل شيء في الميزان وأعظم سبب للشفاعة وهي مفتاح الجنة.

وآثارها على الشاهد الصادق فيها كثيرة، وفيما يلي ذكر طرف منها:

الأول: امتلاء القلب بمحبة الله تعالى لذاته فإنه لا يوجد في الوجود محبوب لذاته إلا الله جل وعلا فلا يجوز أن تزاحم محبةَ الله تعالى محبةُ أحد من الخلق كائنا من كان فإن ذلك شركاً في المحبة.

الثاني: الافتقار إلى الله تعالى وغاية الاضطرار إليه وكمال التعلق به والثقة بكفايته سبحانه في تحصيل المطلوب ودفع المكروه والمرهوب.

=

.... إقراراً به توحيداً [1] ، ....

الثالث: مباشرة ما شرعه الله تعالى وإباحة من أسبابٍ لنيل المطلوب واتقاء المكروه والمرهوب مع الاستعانة به سبحانه وكمال الثقة به في حصول المقصود بحيث يستغني العبد بربه عن كل من سواه بقوته وعزته ونصرته.

الرابع: الإخلاص له سبحانه بالنية والقول والعمل فيما يأتي وما يذر ابتغاء وجهه ورضاه طمعاً في ثوباه وحذراً من عقابه.

(١) فائدة : في معنى التوحيد :

التوحيد مصدر وحد الشيء يوحده توحيداً أذا: أفرده أي جعله واحداً. فمعنى وحد الله تعالى أفرده أو قال لا إله إلا الله.

والتوحيد شرعاً: إفراد الله تعالى في وصفه وفعله وحقه ونفي المثل والشريك والند عنه، أي أفراده سبحانه فيما هو مختص به، فتوحيد الله تعالى هو إفراده في أفعال الربوبية وخصائص الإلهية والكمال في الذات والصفات والأفعال والتنزه عن العيب والنقائص والمثال؛ وعبادته تعالى بالمقاصد والأقوال والأفعال والأحوال على وفق ما شرع، وعلى سنة رسوله ﷺ الذي أمر الله تعالى أن يصدق ويطاع ويتبع.

= وقد دل الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الأمة، وآثار الرسالات الإلهية والكتب السماوية على أن التوحيد أنواع ثلاثة :

الأول: توحيد الربوبية ـ أو توحيد الله بأفعاله ـ ونفي أن يكون له شريك في خلقه وملكه وتدبيره وفعله. فإفراد الله تعالى بالربوبية من العقائد الصحيحة الفطرية التي يعتقدها ويسلم بها المسلمون أتباع الرسل عليهم جميعاً الصلاة والسلام من

=

كل أمة وحتى عامة عقلاء الجن والإنس من ضلال أهل الكتاب والفلاسفة القدماء ومشركي العرب وعامة مشركي الأمم وأتباعهم فإنهم يعتقدون ـ في الجملة ـ أن الله تعالى وحده هو خالق العالم ومالك الملك المتفرد بالملك والتدبير والخلق والرزق والإحياء والإماتة وجلب النفع ودفع الضر وإجابة دعاء المضطر فلا خالق غيره ولا رب سواه ولم ينكر هذا التوحيد إلا النزر اليسير ممن انحرفت فطرته أو تظاهر بإنكاره جحوداً وعناداً ومكابرة مع استيقانه به في سريرته كفرعون وأشباهه من الجبابرة والضلال كنمرود ونحوهما قال الله تعالى ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾** ﴾ .

وأدلة هذا التوحيد وبراهينه في الأنفس والآفاق والكتب السماوية المنزلة جلية وكثيرة، ولذا قال الله تعالى عن المنكرين لهذا التوحيد كفرعون وأشباه: ﴿ **وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ ولهذا كثر في القرآن والسنة ذكر إقرار الكفار والمشركين بهذا التوحيد وعدم شكهم فيه أو ترددهم بشأنه وذكر ذلك التوحيد في القرآن ليس لمطالبتهم بالإقرار والاعتقاد به فإن ذلك حاصل منهم إذ هم مقرون به أصلاً وإنما كانت الحكمة من ذكره والتذكير بأدلته لتقريرهم به ومطالبتهم = بلازمه وثمرته وهو الإقرار لله تعالى بالإلهية وحده وإخلاص العبادة له والاستقامة على شرعه وأتباع رسله وترك الشرك به والحذر من معصية رسله والإعراض عن هداه وذكره قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ** =

وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

الثاني : توحيد الأسماء والصفات : وهو اعتقاد تفرد الله تعالى فيما أثبته سبحانه لنفسه في كتابه وما أثبته له نبيه ﷺ في صحيح سنته من الأسماء الحسنى والصفات العلا والمثل الأعلى وتنزيهه سبحانه وتعالى عن كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص والعيب ومماثلة الخلق فيما هو من خصاشصهم كما دلت على ذلك سورة الإخلاص وآية الكرسي وأوائل سورة الحديد وأواخر سورة الحشر وغير ذلك مما جاء في القرآن العظيم وما صح عن النبي الكريم فإن الواجب قبول ذلك وإثباته لله تعالى على النحو الذي جاء فنثبت لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العلا على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ونثبت معانيها وحقائقها على ما يدل عليه ظاهرها ونعتقد أحكامها ونثني على الله تعالى وندعوه بها ونعتقد تفرد الرب سبحانه بالكمال المطلق من جميع الوجوه وبكل الاعتبارات وأن الله تعالى لا سمي له ولا مثل له ولا كقوله ولا شريك له ولا ند له اهتداءً بكلامه الله تعالى واهتداءً بسنة نبيه المصطفى ﷺ وأتباعاً للسلف الصالح على منهاجهم في ذلك وسيأتي لذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ مزيد تفصيل في موضعه.

من فوائد توحيد الربوبية والأسماء والصفات :

١ – أن العلم بالله تعلى أصل العلوم كلها فإن من عرف الله تعالى معرفة حقيقية يستدل بما عرفه من أسمائه وصفاته وأفعاله على حكمته وأحكامه = فيما يفعله سبحانه وفيما يشرعه لعباده من الأحكام فإنه سبحانه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته فأفعاله تبارك وتعالى دائرة بين العدل والفضل =

والحكمة فأخباره كلها حق وصدق وأوامره ونواهيه عدل وحكمة وجزاؤه كله إما فضل أو عدل.

٢- أن حقيقة الإيمان أن يعرف العبد ربه الذي يؤمن به وبحسب معرفته يكون إيمانه فكلما ازداد معرفة ازداد إيماناً وأقرب طريق يوصله إلى ذلك معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله وإثبات معانيها وأحكامها ودلالتها وإثبات كمالها لله تعالى ولا يكمل ذلك إلا بتنزيهه سبحانه عما يضادها.

٣- أن العلم يشرف بشرف المعلوم ومتعلق هذا العلم هو الله تعالى فهو أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق فالاشتغال بفهمه والبحث عنه اشتغال بأعلى المطالب وحصوله للعبد من أشرف المواهب وسني المطالب وسبب لبلوغ أعلى المراتب.

٤- أن معرفته تدعو إلى تعظيم الله وخشيته ورجائه ومحبته وعبادته والذل له وهذا عين سعادة العبد ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه في فهم معانيها.

٥- أن الله تعالى خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه وهذا هو الغاية المطلوبة منهم ولا يتحقق انقياد العبد لربه وذله له إلا بتمام معرفته وخشيته.

الثالث: توحيد الإلهية ـ أي إفراد الله تعالى بالإلهية واستحقاق العبادة من الخلق ـ، ـ أي اعتقاد أن الله تعالى وحده هو الإله الحق المستحق لأن يعبد من الخلق ـ: فمن أصول أهل الاعتقاد الحق الضرورية ـ بل هو أصل الأصول كلها ـ اعتقاد تفرد الله عز وجل بالإلهية بأن يقر الشخص بأن الله تعالى هو الإله أي ـ المألوه ـ الحق المتفرد بالإلهية المعبود بالحق وحده فلا يشركه في إلهيته أحد ولا يستحق شيئاً من عبادته أحد كائناً من كان وأن يلتزم الشخص بعبادة الله وحده بما شرع فلا يلتفت =

بشيء من عبادة الله تعالى ـ لا الدعاء ولا = النذر ولا الاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله لغير الله تعالى ولا يركع ولا يسجد لغير الله ولا يحكم بغير شرعه ولا يتحاكم إلى ما يخالف شرعه قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ وقال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ وقال جل ذكره: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ وقل عز من قائل: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فإن أحداً من الخلق مهما كان شأنه ليس له شيء من خصائص الإلهية فلا يستحق شيئاً من العبادة فإن العبادة للإله الحق وحده.

فالعلم بهذا التوحيد والعمل به هو حق رب العالمين الذي بعث بالدعوة إليه جميع المرسلين والنبيين وأنزل به الكتب السماوية وجعله أول واجب على المكلفين لأنه أصل الدين وخلاصة الكتب المنزلة على المرسلين وشرط قبول العمل يوم الدين فهو أصل الدين وهو المقصود ببعثة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ويدل على ذلك أمران:

=

أحدهما: أنه التوحيد الذي أنكره المشركون ووقعت فيه الخصومة فالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يقررونهم بربوبيتة الله تعالى ومعرفته ثم يطالبونهم بتوحيد الله تعالى في إلهيته وعبادته والمشركون يأبون ذلك ويكابرون ويعاندون قال الله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾. فالرس تقول لهم = ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ والمشركون الكفرة يقولون ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ ويقولون: ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾. ومن أجله وفيه وقعت المناظرات، وأقيمت الحجج والبراهين الساطعات وأيد الله تعالى رسله الداعية إليه بأنواع الآيات البينات ثم فصل سبحانه بين أهل هذا التوحيد وخصومهم فنصر الدعاة إليه والمخلصين فيه وبه وأهلك المعرضين عنهم وجعلهم عبرة للمعتبرين فمن أجل هذا التوحيد أحلت دماء المخالفين وسبيت أموالهم وذراريهم وجعلها الله الحكيم العظيم غنيمة لأوليائه المؤمنين.

الثاني: أن لفظ الإله بمعنى المألوه أي المعبود فتفسير كلمة التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ التي بعثت بها جميع الرسل أي أنه لا معبود بحق إلا الله فيجب أن لا يعبد إلا الله ويحرم أن يعبد معه أحد سواه. كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾. أي لا معبود بحق إلا الله فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً فمعنى هذه الكلمة ومقصودها نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن غير الله، وإثباتها لله وحده، وهذا هو دين الإسلام العام الذي بعثت الرسل بالدعوة إليه فاتفقوا عليه وأما الشرائع والأحكام فاختلفوا فيها لأن =

الشرائع مؤقتة وخاصة بأقوام معينين قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ فاتفقت الرسالات السماوية والكتب الإلهية على الدعوة إلى التوحيد الذي هو أصل الإسلام. واختلفت في الشرائع والأحكام حتى ختم الله النبيين والمرسلين بمحمد ﷺ وبعثه بشريعة خالدة للعالمين عامة لجميع المكلفين فاجتمع في دين محمد ﷺ عموم العقيدة وهو التوحيد والاستسلام لله تعالى وعموم الشريعة بحيث لا تتبدل ولا تنسخ = وتصلح لمختلف الأجناس والشعوب والأزمان والأماكن. فهذا التوحيد الذي اتفقت على الدعوة إليه جميع الرسالات الإلهية وتضمنته وبينته الكتب الربانية وهو التوحيد الذي عليـــه خيار الخلق وأكملهم معرفة للحق وأزكاهم نفوساً وأجمعهم للمحاسن وهم جيمع الأنبياء والمرسلين وأصحابهم وأتباعهم وأئمة الهدى من بعدهم وعامة من استجاب لهم من أممهم وهو التوحيد المشتمل على الحق والصدق المزكى للنفوس المطهر للأخلاق، وضده الشرك الذي هو جعل العبادة خلطة بين الله تعالى وبين أحدٍ من خلقه وحقيقته ـ أي الشرك ـ تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله أو من حقه وهو عدل برب العالمين وأظلم الظلم من المكلفين وأعظم محيط للعمل ومخرج من دين الله عز وجل وتأذن الله أن لا يغفر لمن مات عليه وأن يحرم على من لقيه به الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أي يجعلون له عدلاء من خلقه مساوين له فيما يستحقه، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ فكان الشرك أظلم الظلم لأنه تعدى على حق علام الغيوب ومقلب القلوب، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ فالشرك أعظم محبط ـ أي مبطل ـ للعبادة لأنه يفسدها إذ هو ضدها =

.... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله [1] ، صلى الله عليه [1] وعلى آله [2] وصحبه وسلَّم تسليماً مَزِيداً.

فالعبادة ـ أي التوحيد ـ والشرك لا يجتمعان، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ أي لا يغفر إشراكاً به إلا بالتوبة من الشرك ولزوم التوحيد طول الحياة حتى الممات. وقال سبحانه ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ فتضمنت الآية الكريمة التنبيه على شؤم الشرك وشفاعته وأنه أعظم شقى لأهله في الدنيا والآخرة.

(١) فائدة : شهادة أن محمداً رسول الله هي الإقرار الجازم والإخبار القاطع عن اعتقاد الشاهد بنبوة النبي ﷺ [أي إيحاء الله إليه بشرع]، وبرسالته ﷺ أي إرساله ﷺ لتبليغ رسالته إلى من أرسل إليهم ووجوب قبولهم منه واستجاباتهم له؛ لأنه مرسل إليهم من الله تعالى بما أوحاه إليه من الشرع وتقتضي من الشاهد :

* تصديقه ﷺ فيما أخبر.
* طاعته فيما أمر.
* اجتناب ما نهى ﷺ وزجر.
* أن لا يعبد الله تعالى إلا بما شرع وعلى الكيفية التي بين.

فائدة : الشهادة للنبي ﷺ بالعبودية فيها :

* إشعار بأنه ليس له من خصائص الإلهية شيء وإنما هو عبد والعبد لا يعبد بل يقتدى به ويتبع لأنه أعبد الناس لربه وأرضاهم عنده فيتأسى به في عبادته.

=

* ووصفه بالرسالة ـ إشعار بأنه لا يأمر ولا ينهي ديناً من عند نفسه وإنما يبلغ عن مرسله وحق الرسول أن لا يكذب بل يصدق ويعتقد ثبوت ما جاء به شرعاً ورضا الله تعالى به ديناً ويطاع ويتبع.

(١) فائدة: صلاة الله على عبده هي ثناؤه سبحانه عليه في الملأ الأعلى [كما أخرج البخاري رحمه الله ذلك عن أبي العالية] فصلاتنا على النبي ﷺ هي سؤالنا الله تعالى أن يثني على عبده ورسوله محمد ﷺ في الملأ الأعلى وهم الملائكة ـ عليهم السلام ـ.

(٢) فائدة: آل الشخص هم أهل بيته وأل النبي ﷺ أعم من ذلك إذ تشمل صنفين من الناس:

= الأول: أزواجه رضي الله عنهن وقراباته من بني هاشم المؤمنين به، وأصحابه رضي الله عن الجميع فهم جميعاً آله وأصحابه الذين أمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

الثاني: أتباع النبي ﷺ وآله وأصحابه بإحسان إلى آخر الدهر فإن آل الشخص هم أتباعه على أمره قال النبي ﷺ هم أتباعه على ملته ودينه فصار للآل معنيان:

أ – معنى خاصاً مقيداً وهم أزواجه ﷺ وقراباته.

ب– معنى عاماً مطلقاً وهم أصحابه وأتباعهم بإحسان إلى آخر الدهر الذين هم إخوانه قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وصح أن النبي ﷺ قال: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا

=

أمّا بعد [1]؛ ....

.... فهذا اعتقاد [2] الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة،

إِخْوَانَنَا قَالَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ مِنْ أُمَّتِكَ بَعْدُ قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً كَانَ لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ بُهْمٍ دُهْمٍ أَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ ثُمَّ قَالَ أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا».

(١) فائدة : قول الشيخ (أما بعد) : أما بعد كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب لأسلوب، ولهذا جاء بها الشيخ رحمه الله تعالى بين مقدمة الرسالة، وذكر مضمونها وموضوعها، فيندب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات والتأليف = لمراسلات تأسياً بالنبي ﷺ فإنه كان يأتي بها في خطبه ومراسلته وأخذاً بسنة خلفائه الراشدين وأئمة الهدى والدين فإنهم كانوا يأتون بها كذلك. وقد قيل إنها فصل الخطاب الذي أوتيه داود ـ عليه السلام ـ والمشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

(٢) فائدة الاعتقاد لغة : مصدر إعتقد كذا، اعتقاداً وعقيدة، أي اتخذه عقيدة؛ وأصله مأخوذ من عقد الحبل، إذا ربطه وشده وتوثق منه ثم استعمل ـ اصطلاحاً ـ في عقيدة القلب وتصميمه الجازم التام والاعتقاد الجازم الذي ينبني عليه القول =

أهلِ السُّنة [1] ....

والقصد والعمل بمقتضاه أي ما ينعقد عليه قلب المرء ويتخذه مذهباً وديناً يدين به.

والاعتقاد شرعاً: هو ما عبر عنه الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: «هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره» أي التصديق التام والاعتقاد الجازم بما ذكر تصديقاً واعتقاداً ينبني عليه القول والعمل والقصد وهذا الإيمان يتفاضل فيه الناس فيزيد وينقص بحسب موجبات ذلك ويزول بالكلية بجحوده وارتكاب ما يضاده وينافيه..

(١) **فائدة السنة لغة**: هي الطريقة المسلوكه، والسيرة حسنة كانت أو قبيحة.

والسنة اصطلاحاً يقصد بها هنا: ما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وأصحابه المهديون من الاعتقاد والأقوال والأعمال والأحوال. فلا تطلق السنة ـ في عرف السلف ـ إلا على ما يشتمل ذلك كله. وإنما خصه بعض المتأخرين منهم بما يتعلق بالاعتقاد لأنه أصل الدين لأن المخالف فيه على خطر عظيم، فالخلفاء الراشدون والصحابة المرضيون لا يتفقون على ضلالة ولا يجمعون على خلاف الحق ولذا أمر النبي ﷺ بإتباع سنته وسنة الخلفاء = الراشدين ـ يعني الخلفاء الأربعة الذين تولوا الأمر بعده وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ـ وهم أخص الصحابة وأفضلهم فجعل سنتهم كسنته في الإتباع وهذا بخلاف غيرهم من ولاة الأمر لأن الخلفاء الراشدين مهديون، وقد أخبر النبي ﷺ أن الخلافة بعده ثلاثون، وإنما وصف الخلفاء الراشدون بذلك لأنهم عرفوا الحق وقضوا به وعملوا به، وهكذا بقية =

.... والجماعة (١) ....

الصحابة فإنهم خلفاء راشدون لأنهم خلفوا النبي ﷺ في تبليغ رسالته وإمامة أمته في الاعتقاد والقول والعمل والجهاد في سبيل الله عز وجل.

وأهل السنة : هم أهل الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته. وبالجملة فهم الملازمون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الاعتقاد والقول والعمل، سموا بذلك لأنهم انتسبوا إلى سنة النبي ﷺ دون غيرها من المقالات والمذاهب واجتمعوا على الحق الثابت الذي جاء في الكتاب والسنة وهذا مما خالفوا فيه أهل البدع. فإن أهل البدع انتسبوا ونسبوا:

* إما لبدعهم وضلالتهم كالقدرية والمرجئة.
* وإما إلى أئمتهم كالجهمية، والقرمطية.
* وإما إلى أفعالهم القبيحة كالرافضة والخوارج.

(١) فائدة : الجماعة ـ في الأصل ـ هم القوم المجتمعون على أمر والمراد بالجماعة ـ في باب العقيدة ـ سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة الهدى من بعدهم وأتباعهم في العلم والاعتقاد والعمل. سمى أولئك ـ الجماعة ـ لاجتماعهم على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد تكاثرت الأدلة من القرآن والسنة في الأمر بالاجتماع على الحق وإتباعه = ولزوم المجتمعين عليه كقوله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** ﴾ وجاء التحذير من الفرقة والاختلاف والانحراف عن سبيل المؤمنين كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ =

.... وهو الإيمان بالله [1]، ....

بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ وقوله جل ذكره: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ وقوله ﷺ «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ» وقوله «ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِخْلاصُ الْعَمَلِ للهِ وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ».

(١) فائدة : ذكر الشيخ رحمه الله تعالى هنا الإيمان العام المجمل الذي يجب على كل أحد الإيمان به فإنه يجب على كل مكلف أن يؤمن بالله تعالى ورسوله ﷺ ويقر بجميع ما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر وما أمر به الرسول ونهى عنه بحيث يقر بجميع ما أخبر به وما أمر به، ويقر بما بلغه من تفصيل ذلك ولا يجد في نفسه شيئاً منه وبذلك يكون من المؤمنين، فلا يشترط العلم بمعنى كل فرد مما أخبر به الله ورسوله.

وإنما الواجب أمران :

* تصديق خبر الله ورسوله.

* العمل بأمر الله ورسوله امتثالاً للأمر حسب الاستطاعة وتركاً للنهي عامة وبذلك يحصل الإيمان والتقوى اللذان تتحقق بهما الولاية لله. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

= فائدة في تعريف الإيمان :

=

الإيمان لغة : ذهب كثير من أهل العلم أن الإيمان في اللغة هو التصديق بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ أي بمصدق لنا، فصدقت وأمنت معناهما عندهم واحد.

* وذهب آخرون إلى أن الإيمان في اللغة هو الإقرار والاعتراف بالشيء عن تصديق به بدليل التفريق بين قولك :

١- أَمنت بكذا أي أقررت به.

٢- وصدقت فلاناً ـ أي صدقت قوله أو خبره ـ ولا تقول آمنت فلاناً.

* وعليه فالإيمان يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق وهو الإقرار والاعتراف بالشيء المستلزم لقبول الخبر والإذعان للحكم فهو أمر علمي اعتقادي يترتب عليه أمر قلبي وقولي وعملي، فإن من كذب الخبر، أنكره قلباً، ورده قولاً، وترك العمل بمقتضاه فعلاً، ومن صدق الخبر اطمأن إليه قلباً، ونطق به قولاً وحقق العمل بمقتضاه فعلاً.

أما الإيمان شرعاً : فقد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الإيمان عقيدة وقول وعمل، فهو اعتقاد القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح فكم من آية قرآنية صريحة وحديث نبوي صحيح جاء فيها إطلاق اسم الإيمان على اعتقادات القلوب وأعمالها. وأقوال الألسن وأعمال الجوارح.

وهو عند أهل السنة : قول باللسان، واعتقاد بالجنان ـ أي القلب ـ وعمل بالأركان ، أي الجوارح ـ يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان «فليس بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأقوال والأعمال» فهو قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح. وأما ما يجب الإيمان به فهي أصول =

الإيمان أي أركانه وأسسه التي دل عليها الكتاب والسنة وأجمع عليها سلف الأمة بل أجمع عليها المؤمنون بالله ورسله من كل أمة، وهي ستة نذكرها فيما يلي:

= **الركن الأول : الإيمان بالله تعالى ، وفيه مطالب :**

أولاً : تعريفه : هو التصديق التام والاعتقاد الجازم بوجود الله تعالى، وتفرده سبحانه بالخلق والملك والتدبير، وكمال الوصف والفعل، والتنزه عن كل نقص وعيب، وعن المثل والكفء والشريك والند وإفراده تعالى بالإلهية واستحقاق العبادة وإخلاص العبادة له، وترك الشرك والكفر به والبراءة منهما وأهلهما.

ثانياً: ما يتحقق به الإيمان : فلا يصح إيمان عبد بالله تعالى حتى يتحقق منه أشياء :

أ - الاعتقاد بوجود سبحانه فإنه هو الموجود واجب الوجود لذاته، وهو موجد الأشياء وممدها بما تحتاج إليه في وجودها.

ب- إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والملك والتدبير فإنه تعالى خالق كل شيء ورازق كل حي ومالك الظاهر والخفي من هذا العالم علويه وسفليه وما فيهما وما بينهما ومدبر جميع الخلق بمقتضى علمه وحكمته ويسمى هذا توحيد الربوبية قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ وقال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ الآية.

ج- التصديق والإيمان والإثبات بما ثبت له سبحانه بصريح القرآن وصحيح السنة من الأسماء الحسنى والصفات العلى وأنواع الكمالات التي لا تحصى والتنزه =

عن النقائص ومماثلة المخلوقات فيما هو من خصائصها أو المعدومات قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

د- اعتقاد تفرد الله تعالى بالإلهية واستحقاق العبادة وإخلاص العبادة والدعاء له، وترك الشرك به والبراءة منه ومن أهله. فإن المتفرد بالخلق والملك والتدبير، والذي له ملك السموات والأرض وهو عل كل شيء قدير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير وله الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، هو الإله الحق، الذي يجب أن يذل له ويخضع ـ اختياراً ورغبة ورهبة ـ من جميع عقلاء الخلق قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ «ولهذا جاء الأمر بهذا التوحيد جازماً وصريحاً في التنزيل كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ والنصوص بهذا الشأن كثيرة فلجلاء هذا الحق أمر الله عقلاء الخلق به، وما جاءت المقدمات والمناظرات فيه إلا لمن انحرف عنه لجهل فيه أو لشبهة قوية طرأت عليه. كما جاء ذلك صريحاً في سياق دعوة كل من نوح، وإبراهيم، ومحمد عليهم وسائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى التسليم. قال تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ =

قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. وفيما نزل على محمد ﷺ قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾.

= ثالثاً : من ثمرات الإيمان بالله تعالى :

١ – الثناء على الله تعالى بالأسماء الحسنى والمثل الأعلى ونعوت العظمة والجلال والجمال، واللهج بذكره في سائر الأحوال تلذذاً بذكره، وطلباً لمثوبته، وهو من أعظم أسباب صلاح القلوب وسلامتها، وزكاة النفوس وطهارتها، ونور البصيرة واهتدائها بل هو من أعظم نعيم الجنة لمن دخلها ـ جعلنا الله تعالى من أهلها ـ فإن أهل الجنة يلهمون التسبيح كما نلهم النفس.

٢ – دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى بحسب الحاجات والأحوال، ورغبة إليه وثقة به في تحصيل الخير واستجارة به من الشر وأهله، واستغناء بالله عن الخلق، وسكوناً إليه واضطراراً إليه، فإن الدعاء من أعظم أسباب حصول النعماء، وصرف البلاء، والوقاية من سوء ما يجري به القضاء، والنصر على الأعداء، وزيادة الإيمان والاهتداء.

٣ – صدق التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، والاعتماد عليه، والثقة به، والتحرر من التعلق بغيره.

٤ – نشاط الهمة والقوة في المسارعة إلى الخيرات، والمنافسة في الأعمال الصالحات، ومجانبة الخطيئات، والمبادرة إلى التوبة من جميع الزلات، فكلما قوي الإيمان بالله وأسمائه وصفاته قوي حظ العبد من هذه الأمور.

٥ – التصديق بأخباره والتسليم لأحكامِه والاعتراف بحكمته وعدله ورحمته، وفضله، واعتقاد أن ذلك كله صدق وحق، وأنه لحكم عظيمة وغايات سامية.

=

٦- التسليم لتدبيره سبحانه لملكه وتصرفه في خلقه وقضائه لعبده، وأنه كله عن علم تام وقدرة باهرة وحكمة بالغة، وأنه دائرٌ بين الفضل والعدل، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون، وهو تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون.

٧- تحقُّق الأمن والهداية للمؤمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

٨- الفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة والأجر الحسن الكريم والثواب العظيم. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

٩- النصر المبين على الأعداء من الكافرين والمنافين وسائر المناوئين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾.

١٠- الاستخلاف في الأرض وتمكين الدين وأمن أوطان المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ ﴾.

١١- اجتماع الكلمة ووحدة الصف والتعاون على تحقيق الغايات المطلوبة شرعاً، وفي ذلك تحقيق عزة المسلمين وكرامتهم لوحدة عقيدتهم وصحتها، فإنه لا يجمع الناس جمعاً تاماً إلا العقيدة الصحيحة التي يلتزم بمقتضاها الجميع، وضعف التمسك بالعقيدة الصحيحة أو الضلال في الاعتقاد من أسباب الاختلاف والتفرق والنزاع والتعصب لغير الحق من الأهواء والأجناس والألوان والشعارات المصطنعة، واعتبر ذلك بحال العرب قبل الإسلام؛ فإنهم لما كانوا ضاليِّن في عقيدتهم كانوا مختلفين متفرقين متحاربين، قد فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون. ثم لما مَنَّ الله
=

عليهم بالإيمان والعمل الصالح اجتمعوا على الكتاب والسنة، وتعاونوا على البر والتقوى، وتناهوا عن الإثم والعدوان، واعتصموا بالله مولاهم، فاتحدوا وتحابوا وعزوا وانتصروا وسادوا الأمم وصاروا أئمة الدنيا والعالم، وصدق الله العظيم إذ يقول ممتناً على رسوله والمؤمنين ومذكراً لهم بهذه النعمة العظيمة: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، ويقول: = ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهكذا في هذا الزمان لما ظهرت فيهم خصال الجاهلية التي قضى عليها الإسلام ظهرت فيهم أحوال الجاهلية من التفرق والضعف والفقر والذلة وغلبة الأعداء عليهم ولن يزالوا في تردي وشقاء حتى يراجعوا الإسلام ليتم الله عليه الهدى والأنعام ولذا قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

١٢- امتلاء القلب من خشية الله، وتحلي العبد بالتقوى لله، فإن من عرف الله تعالى حق معرفته واستشعر عظمته وجلاله وكبرياءه وذكر جماله وكماله وآلاءه امتلأ قلبه من خشية الله، فكان أتقى لله ممن ليس كذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ ﴾، فالخشية صفة عباد الله الصالحين ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا
=

.... وملائكته [1]، ....

﴾. ولذا لما كان النبي ﷺ أكمل الأمة معرفة بربه تبارك وتعالى كان أعظمهم له خشية واكملهم له تقوى، قال ﷺ : «وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ» و قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾.

١٣- الطاعة المطلقة لله تعالى والانقياد الاختياري لحكمه الشرعي، فلا يختار المؤمن غير ما اختار الله ورسوله ﷺ له شرعاً، ولا يتحاكم إلى غير كتابه وسنة = نبيه ﷺ ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾، وقال ﷺ «لا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ» وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ الآية.

١٤- الإحسان إلى الخلق ورحمتهم والعفو عنهم والصفح طمعاً في حصول ثواب ذلك من الله لمن كان كذلك، فالراحمون يرحمهم الله، ومن عفا عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له. قال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾.

(١) الركن الثاني الإيمان بالملائكة، وفيه مطالب :

أولاً : تعريف الملائكة لغة : الملائكة لغة جمع ملاك مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة فالملائكة ـ عليهم السلام ـ رسل الله تبارك وتعالى يبلغون رسالاته إلى رسله وأنبيائه من البشر وينفذون أمره في ملكه، قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي =

ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾.

ثانياً: تعريف الملائكة اصطلاحاً: الملائكة مخلوقات نوارنية قال ﷺ «خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ» فهي مخلوقات عاقلة متكلمة تتشكل بالصور الكريمة، مجبولة على الطاعة والعبادة موصوف بالبر والكرم وغير ذلك من الأوصاف العظيمة الكريمة، ومسكنهم السماء.

ثالثاً: مجمل الإيمان بالملائكة: الإيمان بالملائكة ـ عليهم السلام ـ هو الاعتقاد الجازم بان لله تعالى ملائكة مخلوقين من نور خلقهم الله تعالى لعبادته وتدبير ملكه وعبادته بأمره وبما جاءت به النصوص من طوائفهم ،اوصافهم ووظائفهم وأعمالهم وأنهم كما قال الله تعالى: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ وأنهم على خَلْقٍ عظيم وجميل لا يتشكلون إلا بالصور الكريمة.

رابعاً: مفصل اعتقاد أهل السنة والجماعة في الملائكة:

١- الإيمان بوجودهم ومادة خلقهم وما ثبت من صفتهم وكثرتهم وما جاءت به النصوص من خصائصهم والحكمة من خلقهم.

٢- الإيمان بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وكمال طاعتهم له واعتقاد تفاضلهم في الخلق والعمل والفضل.

٣- تبرئتهم مما زعمه المشركون فيهم من أنهم بنات الله أو يشفعون عنده بغير إذنه أو أنهم يشفعون لمن أشرك به والاعتقاد بأنهم عباد مكرمون في غاية العبودية =

والطاعة لله تعالى والافتقار والاضطرار إليه فليس لهم من خصائص الربوبية ولا الصفات الإلهية شيء ولا يستحقون شيئاً من العبادة قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٤ – الإيمان تفصيلاً بمن سمى الله منهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان ومالك، وأصنافهم، وما ذكر الله من وظائفهم وأعمالهم وإجمالاً فيما أجمل من شأنهم واعتقاد قيامهم بما يكلفون به من أعمال على أتم وجه وأكمله.

٥ – محبتهم واحترامهم وحسن صحبتهم ومراعاة الأدب معهم فيما دلت النصوص على أنهم يحضرون المسلم عنده.

٦ – التأسي بهم في دوام عبادتهم لله تعالى دون سأم أو ملل مع كثرة الذكر والاستغفار والاعتراف بالتقصير في حق الله عز وجل فهمها اجتهد العباد في طاعة ربهم فحق الله تعالى عليهم أعظم وأكبر.

= ٧– الحذر من أذيتهم بالروائح الكريهة والألفاظ البذيئة والأعمال القبيحة ونحو ذلك من الأحوال التي لا تليق بالمؤمنين فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

٨– التحلي بالأعمال والأوصاف والأحوال التي جاءت أدلة الكتاب والسنة أن الملائكة تستغفر وتدعوا لأهلها وتشهد لهم بالخير عليها طمعاً في إجابة دعائم للمسلم وصلاتهم عليه وإعانتهم له.

خامساً : منزلة الإيمان بالملائكة من الإيمان : الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان القطعية الثابتة بالأدلة اليقينية من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة فقد ورد مقروناً بالإيمان بالله تعالى وما ذاك إلا لأنه من الإيمان بالغيب كما قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ

=

﴾ وثبت في الصحيح من غير وجه قوله ﷺ «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِّ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ» الحديث؛ فالإيمان بالملائكة ـ عليهم السلام ـ أصل عظيم من أصول الإيمان لأنه من الإيمان بالغيب ومن الإيمان بسند الرسالة والشرع ومن خصال البر الواجبة وأركان الاعتقاد الحتمية.

* فإنكار الملائكة ضلال مبين وكفر بالله العظيم قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾.

* ومن زعم أنهم قوى الخير الكامنة في المخلوقات فقد كذب الله ورسوله وقال ما لا علم له به، وافترى على الله الكذب وقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴾ .

* فالواجب الإيمان بهم وأداء ما يجب نحوهم وعدم الغلو فيهم أو الجفا بحقهم والحذر من سوء الأدب معهم.

سادساً : من ثمرات الإيمان بالملائكة :

١ – أن الإيمان بهم من تحقيق الإيمان بالغيب الذي هو أصل أصول الإيمان بالله تعالى وما جاء عنه سبحانه.

٢ – الثقة بسند الرسالة فإن منهم ـ عليهم السلام ـ السفراء بين الله تعالى وبين رسله في تبليغ رسالته، وهم موصوفون بالغاية من الأمانة والقوة والصدق وكمال الديانة والعصمة من الذنوب، ومنها الكذب والخطأ.

٣– معرفة علاقاتهم بالإنسان وقربهم منه في أحوال كثيرة والحفظ الدائم، وهذا يقتضي الأدب معهم والحياء منهم والأنس بهم وحسن صحبتهم.

٤ – التأسِّي بهم في دوام طاعتهم لله تعالى وحسن عبادتهم له ودوام ذكرهم له، وهذا مما يحمل على كمال الاستقامة واستدامة الطاعة.

٥- الحذر من أذيتهم بالأقوال البذيئة أو الأفعال السيئة أو الروائح الكريهة، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

٦- طمع المؤمن في استجابة الله تعالى لدعائهم له واستغفارهم له والأخذ بأسباب ذلك من التحقق بالإيمان والمسارعة إلى الخير والاشتغال بالذكر.

٧- اجتناب ما يسبب بعد الملائكة من الشخص أو المكان كالصور والتماثيل وآلات اللهو والكلاب والقاذورات ونحو ذلك مما جاءت النصوص مفيدة بعد الملائكة عن الشخص أو المكان بسببه حذراً من أسباب بعد الملائكة عنا.

٨- الإيمان بعظمة الله تعالى وقوته وقدرته وحكمته في خلق أولئك الكرام على هذه الخلقة العظيمة الكريمة الحسنة القوية.

٩- شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم حيث وكل بهم هؤلاء الملائكة الكرام يحفظونهم ويحفظون عليهم أعمالهم ويعينونهم على عبادة ربهم.

١٠- ملازمة الاستقامة والحذر من مقارفة المعاصي حذراً من أن يكتبوا علينا إثماً أو يشهدوا علينا بمعصية فإنهم شهود مرضيون، وإن العبد إذا ذكر حضورهم معه استحى منهم.

١١- نشاط الهمم والجوارح في فعل الخيرات والمبادرة إلى البر لعلمنا بحضورهم مجالسه وحبهم له ودعائهم لفاعله وإعانتهم له.

١٢- الإلحاح على الله تعالى بدعائه وبالثناء عليه سبحانه رجاءَ موافقة دعائهم واستغفارهم لنا، فإن الموافقة من أسباب الإجابة. =

١٣- الطمأنينة في المواطن التي يحضرونها يصلون على المسلم فيها رجاءَ بركة حضورهم وتحصيل المزيد من دعائهم وصلاتهم.

.... وكتبه [1] ، ....

(١) الركن الثالث : الإيمان بالكتب، وفيه مطالب :

أولاً : تعريف الكتب لغة : الكتب جمع كتاب، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها.

ثانياً : تعريف الكتب اصطلاحاً : المراد بالكتب هنا: كتب الله تعالى التي حوت كلامه الذي أوحاه إلى رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ سواء منها ما نزل مكتوباً كالتوراة، أو نزل وحياً ثم كتب بعد ذلك كالقرآن وسائر الكتب المنزلة.

ثالثاً : المراد بالإيمان بالكتب إجمالاً: الإيمان بالكتب هو الاعتقاد الجازم والتصديق التام بأن لله تعالى كتباً أنزلها على من شاء من رسله متضمنة لأصول وكليات شرائعه رحمة لعباده وهداية لهم ووكل إلى رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بيانها وإمامة الناس في العمل بها والبعد عن مخالفتها.

رابعاً : مفصل اعتقاد أهل السنة والجماعة في كتب الله تعالى :

* اعتقاد أن لله تعالى كتباً أنزلها على رسله مشتملة على بيان أصول دينه وقواعد شريعته وكلياته أحكامه ومهماته الأخلاق التي يحبها الله ويرضاها والنهي عما يضاد ذلك.

* الإيمان بما سمى الله منها تفصيلاً كالتوراة وصحف إبراهيم والزبور والإنجيل والقرآن وإجمالاً فيما لم يسمه فلا يعلم عددها إلا الله تعالى.

* اعتقاد أنها كلها كلام الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وأنها حق وصدق وهدى لمن خوطب بها من الأمم مشتملة على مهمات الدين الذي تعبدهم الله تعالى به وأنها بينت من قبل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أكمل بيان = وأتمه بحيث اتضحت لهم على وجه قامت به الحجة واتضحت به المحجة وأمكن =

ووجب العمل وزالت به المعذرة فلا يحل لهم مخالفتها ولا تعطيلهـا ولا التحـاكم إلى غيرها.

* أن تلك الكتب كانت مؤقتة لأمم معينـة وأمكنـة وأزمنـة محـددة وأن بعضـها ينسخ بعضاً وقد نسخها الله تعالى كلها بالقرآن العظيم.

* أنها كلها دعوة إلى عبادة الله تعالى وترك الشرك به وتفصيل لحقه سبحانه عـلى خلقه ونهي لهم عن مخالفته وبيان الثواب والعقاب وأنها يصدق بعضها بعضاً فلا تعارض بينها ولا تناقض فإن وجد في شيء منها ما يوهم ذلك فليس من جهتهـا وإنما هو من جهة إفهام بعض الناس وعقولهم.

خامساً: ومما يتحقق به الإيمان بالقرآن:

أ - الاعتقاد الجازم بأن الكتب السابقة جميعاً ختمت بالقرآن الذي أنزله الله تعالى مصدقاً لها ومهيمناً عليها ومشتملاً على أحسن ما فيها وناسخاً لما كان مؤقتاً مـن أحكامها وما فيها من الآصار والأغلال ومشـتملاً عـلى أحسـن مـا فيهـا وعـلى أحكامٍ جديدة ليست فيها فقد ضمنه الله تعالى أحسن ما فيها وزيـادة وأغنـى بـه عنها وجعل أحكامه وتشريعاته خالدة باقية صالحة مصـلحة للعبـاد منـذ نزولـه حتى يأتي الله بأمره.

ب- أن القرآن أعظم الكتب المنزلة على المرسلين على الإطلاق فهو أعظم الآيات التي أنزلت على النبيين وأخر شريعة تعبد الله بها المكلفين وقد أشتمل على شريعة عامة للثقلين إلى يوم الدين وقد يسره الله تعـالى وتكفـل بحفظـه وتعهـد ببيانـه وأعجز الورى عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لـبعض ظهـير، ومـا فـرط الله تعالى فيه من شيء بل جعله تبياناً لكل شيء وهدى للتي هي أقوم فلا يسع أحـداً من الثقلين ـ بعد نزوله ـ إلا الإيمان به وعبـادة الله تعـالى بشريعته ولا تحـل لهـم مخالفتـه أو التحـاكم إلى غـيره قـال تعـالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى

=

.... ورسله (1) ....

﴿ نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ فلا دين إلى ما جاء به ولا شريعة إلى ما أشتمل عليه وما جاء عن النبي ﷺ من بيانه ففيه كل ما يحتاج = إليه الناس في أمر معاشهم ومعادهم قال ابن مسعود رضي الله عنه : أنزل في هذا القرآن كل علم وكل شيء قد بين لنا فيه.

ج- فيجب على الثقلين الإيمان بالقرآن العظيم وتدبره وفهمه والعمل بأحكامه وتعليمه للناس والتسليم لمتشابهه والاعتبار بقصصه ومواعظه وتلاوته آناء الليل وآناء النهار والذب عنه والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها.

سادساً : من ثمرات الإيمان بالكتب :

١- العلم بعناية الله تعالى بعباده؛ حيث أنزل لكل قوم كتاباً بلسانهم يهديهم به إلى عبادته.

٢- العلم بحكمة الله تعالى في شرعه؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾.

٣- شكر نعمة الله على ما بيَّن من العبادة وعلى ما أعظم من المثوبة.

٤- عبادة الله تعالى على بصيرة بالكتاب المنزل وتأسياً بالنبي المرسل الذي أوجب الله عليه بيان كتابه هداية أمته به.

(١) الركن الرابع : الإيمان بالرسل، وفيه مطالب :

أولاً : تعريف النبي لغة : النبي لغة : مأخوذ من النبأ وهو الخبر لأنه منبأ أي مُخْبَرٌ بخبر من قبل الله عز وجل، أو مأخوذ من النَّبْوَة وهي المرتفع من الأرض لأن الأنبياء مصطفون من أرفع وأشرف أممهم حسباً ونسباً وسؤدداً.

ثانياً : تعريف النبي اصطلاحاً : النبي من نبأه الله تعالى بشرعه وأرسله إلى قومه بما نبأه به فإن أرسله الله إلى قوم مؤمنين برسالة سابقة فهو نبي وإن أرسله إلى قوم =

كافرين أو لم تبلغهم رسالة سابقة فهو رسول. فالنبي: إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع سابق وأرسل إلى قوم مؤمنون به لتجديده وإمامتهم فيه؛ وأما الرسول: فهو إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع جديد أو بعث بشرع سابق إلى قوم كافرين أو لم يبعث إليهم رسول قبله.

= ثالثاً: مجمل الإيمان بالأنبياء والمرسلين :

* والإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو الاعتقاد الجازم بأن لله تعالى رسلاً أرسلهم إلى أقوامهم يبلغونهم رسالته ويدعونهم إلى عبادته وينذرونهم من عبادة الطاغوت التي هي الشرك به ويبشرون المطيعين بثوابه وينذرون العصاة بعقابه ويكونون قدوة لأممهم في عبادة الله تعالى وترك مخالفته وشهداء عليهم في تحقيق طاعته وحكاماً بينهم فيما اختلفوا فيه فمن سمى الله منهم يؤمن به تفصيلاً باسمه ومن لم يسمه يؤمن به إجمالاً ووجوب أتباع من أرسل إلينا منهم وهو محمد ﷺ.

رابعاً : مفصل اعتقاد أهل السنة والجماعة بالأنبياء والمرسلين :

١ – يعتقدون أن الله تعالى قد بعث رسلاً من الناس اختارهم واصطفاهم على علم ليكونوا سفراء بينه وبين عباده في تبليغ رسالته وبيان ما أرسلوا به.

٢ – أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقهم وأبرهم أخلاقاً وأعرقهم أحساباً وأشرفهم أنساباً وأن الله تعالى خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد وبرأهم من كل عيب خلقي ومن كل خلق رذيل.

٣– أنهم معصومون من الكذب والكتمان فيما يبلغون من الشرع والغش والخيانة للأمم ومعصومون من كبائر الذنوب وأما الصغائر فقد تقع منهم لكن لا يصرون عليها ولا يقرون عليها بل ينبهون عليها ويوفقون للتوبة منها.

=

٤- أنهم معصومون من الخطأ فيما يبلغونه من الدين وما يخبرون به من أمر الدنيا جازمين.

٥- اعتقاد أن الله آتاهم من الآيات ما آمن على مثله البشر للدلالة على صدقهم فيما جاءوا به ودعوا الناس إليه.

٦- وأن الله تعالى قد فضل بعضهم على بعض فاتخذ إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليماً وأيد عيسى بروح القدس وجعله يبرئ الأكمه والأبرص = ويحيى الموتى بإذن الله وخص محمداً ﷺ بختم النبوة وجعل رسالته عامة للجن والإنس خالدة إلى آخر الدهر وأعطاه الشفاعة وأعلى المنزلة في الجنة إلى غير ذلك من فضائله وخصائصه.

٧- أنهم جميعهم عباد الله تعالى مخلوقون له فليس لهم شيء من خصائص الربوبية أو صفات الإلهية فلا يستحقون شيئاً من العبادة وإنما أكرمهم الله بالرسالة ووصفهم بكمال العبودية وأثنى عليهم بذلك، وجعلهم أئمة لأتباعهم في هديهم وعبادتهم.

٨- أنهم بلغوا رسالات ربهم ونصحوا لأممهم وبينوا كل ما أنزل إليهم من ربهم بياناً اتضحت به المحجة على من أرسلوا إليهم وقامت بهم عليهم الحجة وزالت به عنهم المعذرة بحيث لا يسعهم جهله ولا تحل لهم مخالفته ولا يجوز لهم ترك شيء مما جاءوا به.

٩- الإيمان بأن رسالتهم حق وتصديق ما صح من أخبارهم وأن رسالتهم واحدة فمن كفر بواحد منهم كفر بهم جميعاً.

=

١٠- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم واعتقاد أنهم ختموا بإمامهم وسيدهم محمد ﷺ فقد ختمت النبوة والرسالة بهم وأرسل إلى عامة الثقلين الجن والإنس فلا نبي بعده فمن ادعى النبوة وصدق مدعيها بعده كفر.

خامساً: منزلة الإيمان بالأنبياء والرسل: الإيمان بالأنبياء والمرسلين هو أحد أصول الإيمان الستة التي الإيمان بها من الإيمان بالغيب ومن التقوى والبر ومن شأن الرسول والمؤمنين ومن موجبات المغفرة والجنة قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ = غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. والكفر بالرسل ضلال مبين لأنه تكذيب لرب العالمين، وطعن في سند الدين، وفي أئمة الناس فيه. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ والإيمان بأحد منهم وتكذيب الآخر تكذيب لهم جميعاً لأن رسالتهم واحدة ودينهم واحد ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ الآية.

مسألة: هل من الجن رسل: الرسل من الإنس فقط وليس من الجن رسل نص على ذلك مجاهد وابن جريج وغيرهم من أئمة السلف والخلف قال ابن عباس الرسل من بني آدم ومن الجن نذر وروى ابن جرير عن الضحاك ابن مزاحم أن من الجن رسلاً واستدل بالآية ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾

=

.... وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾(١) [الحديد: ٣].

وفي ذلك نظر فإنها محتملة وليست صريحة وهي والله أعلم للتغليب كقوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾.

والدليل على أن الرسل من الإنس:

* قولـه تعـالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ ونوح عليه السلام أدمي ومحمد ﷺ أدمي وما بينهما من بني أدم.

* قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ حيث حصر النبوة والكتاب بعد في إبراهيم وذريته ولم يقل أحد من الناس إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته بل هي في الإنس كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

(١) العلم: هو إدراك المعلومات على ما هي عليه إدراكاً جازماً وهو من الصفات الذاتية العظيمة التي اتفقت على إثباتها الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة فمن ذلك:

أ – نصوص القرآن فقد تمدح الله بها كثيراً، وأثنى بها على نفسه في مقامات كثيرة. ومدح بها خواص خلقه وأنه تعالى فضلهم بها على غيرهم تفضيلاً، وختم بإثبات صفة العلم كثيراً من الآيات التي تشتمل على مهمات الأحكام وضمنها السياقات التي تشتمل توجيه العباد لمثوبته وحثهم على الإخلاص له لعلمه ببواطنهم وما أكنته سرائرهم، وإطلاعه على أعمالهم حال عملهم، وعلمه بنياتهم ومقاصدهم، =

وعلى تخويف العباد من شؤم مخالفات أمره وتعدي حدوده؛ فالعلم من صفات الكمال العظيمة الدالة على جلال الله تعالى وعظمته وإحاطته وقدرته وأن الملك والخلق تحت قبضته، فله سبحانه العلم الكامل التام من جميع الوجوه على ما يليق بجلاله. فهو تعالى عليم بكل شيء لا يخفى عليه شيء فاسمه سبحانه العليم والعلم صفته ومتعلقات علمه لا يحيطه بها إلا هو، قال تعالى ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾، فأكد سبحانه على إحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة الظاهرة والباطنة فقد أحاط علمه بالضمائر وما أكنته السرائر ومن تمام علمه أنه ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ ﴾ وأنه تعالى المختص بعلم الغيب فعنده مفاتيح خزائنه وأنه تعالى أحاط علماً بالبر وباطن البحر وباطن الأرض وأحصى ورق الشجر، كما قال تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ فهو سبحانه العليم الذي = أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي وما بينه ولا يخلو من علمه زمان ولا مكان ويعلم الغيب والشهادة؛ وهذا من صيغ العموم التي لم يدخلا تخصيص أبدا فيشمل عموم علمه تعالى:

١ - علمه بنفسه وما له من الصفات الكاملة والأفعال الجليلة.

٢ - علمه بأفعال عباده كلياتها وجزئياتها.

٣- علمه تعالى بالمستحيل كقوله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾.

=

٤- علمه بالممكن أي بما لم يكن لو كان كيف يكون كقوله تعالى ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾. فدل ذلك على إحاطة علم الله تعالى بكل شيء وأنه لا يستثنى منه شيء.

ب- السنة الصحيحة فكل ما ثبت من نصوص السنة بشأن القدر فهو دليل على إثبات صفة العلم والنصوص في ذكر إحاطة علمه سبحانه وسعته وتفاصيل دقائق معلوماته ومتعلقاته كثيرة جداً لا يمكن حصرها فضلاً عن استقصاتها وأنه عليم عظيم كامل العلم من كل وجه فلم يسبقه جهل ولا يعقبه نسيان ولا يعتريه ذهول ولا نقص.

فالواجب الإيمان بعلم الله تعالى والاعتقاد بكماله وسعته وإحاطته والثناء عليه باسمه العليم ووصفه بالعلم العظيم والاعتقاد بسعة علمه وإحاطته وتنوع متعلقاته وأنه تعالى علم كل شيء مما تعلق بشأنه وشأن ملكه وعباده وأنه ليس كمثله شيء في علمه فهو عليم ذو علم تام شامل لا يعتريه نقص ولا يلحقه قصور بوجه من الوجوه.

وقد كفر من جحد علمه أو مثله بعلم البشر أو خصه بزمان ومكان أو نفي القدر أو قال إنه يخفي عليه شيء من أفعال البشر أو مثاقيل الذر فإنه تعالى قد علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ويدخل في ذلك ما يتعلق بذاته وأفعاله وما يتعلق بخلقه وأفعال عباده.

ج- وقد أجمع السلف على إثبات هذه الصفة وأشتد نكيرهم على من أنكر مقتضى اسمه العليم وما تضمنه من إثبات صفة العلم التي أثبتها الله تعالى = لنفسه وتمدح بها وأيدى وأعاد بشأنها وأنها من أوسع الصفات وأعظم الكمالات، وتبرؤوا ممن أنكر علم الله تعالى وأخبروا أنه لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يؤمن بذلك وإلا فإنه ضال هالك.

=

إحاطة عِلمِه بجميع مخلوقاته

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ ﴾ [سبأ: ٢]، ....

د- والعقل دل على ثبوت العلم لله تعالى ذلك الوصف العظيم الذي انتصب دليله في الأنفس والآفاق فإن أدلة علمه كثيرة منها :

* بديع خلقه يدل على سعة علمه وعظمته.
* وتدبيره للملك يدل على عظمة علمه وحكمته.
* وتعلميه عباده فإن معطي الشيء أحق بكماله.

فما أضل نفات العلم وما أكفرهم وما أهلك غلاة القدرية وما أشقاهم إذ أنكروا ما تواطأ على إثباته الكتاب والسنة والإجماع والعقل الصحيح ودلت عليه آيات الله تعالى في الأنفس والآفاق. ولهذا اشتد نكير السلف الصالح من الصحابةو التابعين على القدرية النفاة ـ نفاة العلم ـ وردوا عليهم بوجوه من الرد :

١ - فتبرؤا منهم.

٢- أخبروهم أن الله تعالى لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلا ولو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ومن سبق علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها.

٣- قالوا لمخاصمي القدرية: ناظروهم بعلم الله القديم فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا كفروا.

وقد انقرضت هذه الطائفة لعظم ضلالها وبطلان مذهبها.

.... ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ١١].

وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾(١) [الفرقان: ٥٨].

---

(١) فائدة: في قوله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ :

١- وجوب التوكل على الله في جميع الأمور وأنه من أعظم وأفضل أنواع العبادة التي أمر الله أن تخلص له.

٢- الجمع بين النفي والإثبات في صفات الله عز وجل وهو الشاهد من الآية.

٣- تخصيص صفة الحياة ونفي الموت للدلالة على كمالها فإن الحي الذي له الحياة الدائمة الكاملة هو الذي يوثق به في تحصيل المصالح بخلاف المخلوق الذي حياته ناقصة ومؤقتة فإنه إذا مات ضاع من يتوكل عليه.

٤- وتعريف التوكل لغة: هو التفويض يقال وكلت أمري إلى فلان فوضته والتوكل شرعاً: هو تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتماداً بالقلب عليه وثقة به في =

وقولــه: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] [التحـــريم: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١].

جلب ما ينفع ودفع ما يضر مع الأخذ بها شرعـه الله تعـالى وأباحـه مـن أسـباب تحصيل ذلك فإن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل بل هو من تمامه.

(١) فائدة في صفة الحكمة: أجمع المسلون على وصف الله سبحانه وتعالى بالحكمة فلـه سبحانه الحكمة الباهرة في خلقه وله الحكمة البالغة في شرعه وتفصيل حكمة الله تعالى في خلقه وأمره تعجز عن معرفة تفاصيلها عقول البشرـ، فلـيس للعبـاد أن يعلموا تفاصيل حكمة الله تعالى. بل يكفيهم العلم العام والإيمان التام والـدلائل على ذلك من الكتاب والسنة لا تحصى لكثرتها ولا سبيل إلى اسـتيعاب أفرادهـا، ومن ذلك :

أ – النصوص المتضمنة لإثبات اسمه الحكم والحكيم، وأحكم الحاكمين المتضمنة إثبات صفة الحكمة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته.

ب – وما في خلقه وتدبيره وشرعه وجزائه من الإحكام فإنه أثر عن حطمته تبارك وتعالى.

ج – ولأنها صفة كمال وخلوه سبحانه وتعالى منها نقص ينزه الله عز وجل عنه.

قال أهل السنة: هو حكيم في خلقه وأمره والحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة فاسمه سبحانه: الحكيم فيه إثبات الحكمة. والحكمة تتضمن كمال علمه وخبرته وأنه خلق وقدر وأمر ونهى لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد وكذلك الإحكام الـذي في خلقه دليل على علمه وحكمته.

=

وحكمته سبحانه صفة ذاتية قائمة به كسائر صفاته من علمه وقدرته وسمعه وبصره وحكمته في خلقه وأمره نوعان:

أ – إحكام هذا الخلق وإيجاده في غاية الأحكام والإتقان.

ب- صدوره لأجل غايات محمودة مطلوبة له سبحانه التي خلق لأجلها وأمر لأجلها.

= ❋ فالحكيم الذي له الحكم فهو الحكم والحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة وله الحكمة التامة في جميع أحكامه فيضع جميع الأمور مواضعها اللائقة بها وأحكامه تعالى أنواع :

أ – أحكام كونية قدرية فهو تعالى الذي أحكم خلقه وقدره في صورته المعينة ولغاية محمودة.

ب- أحكام دينية وشرعية فهو سبحانه يحكم بين عباده بوحيه الديني الشرعي الذي أنزله على رسوله.

ج- أحكام جزائية فيثيب المطيعين من فضله ويعاقب الكفار ومن شاء من العصاة بعدله في الدنيا والآخرة وينزل يوم القيامة فيقضي بين العباد وسائر الخلق.

❋ وقد أنكرت الجهمية والأشعرية وغيرهم من طوائف الضلال ثبوت هذه الصفة لله عز وجل وردوها بأنواع التأويلات الباطلة ومنها أن الحكمة نوع حاجة والله تعالى غني عن الحاجة.

ويرد عليهم بأن نفي الحكمة عن الله تعالى أمر خطير وذلك :

أ – لأنه يتضمن نفي الإرادة والقدرة ولازم هذا نفي فعل الرب جل وعلا.

ب- ولأن عدم الحكمة عبث ونقص يتنزه عنه الرب تبارك وتعالى.

=

وقوله: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [1] ......

فإثبات الحكمة كمال يحمد عليه الله جل وعلا وهو واجب له كما قال تعالى ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ .

(١) فائدة: في اسم الله تعالى ﴿ٱلۡقَدِيرُ﴾ قد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على إثبات اسم الله تعالى «القدير» وهو متضمن لصفة القدرة قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وقال تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ وقال سبحانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ ففي تلك الآيات إثبات اسم الله تعالى = القدير ومعناه ذو القدرة، فالقدير اسمه تعالى والقدرة صفته. فالقدرة من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته فلا يماثله فيها أحد من خلقه. والقدرة وصف يتمكن به الفاعل من الفعل بدون عجز فالله تعالى قدير على كل شيء فلا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء لكمال قدرته. فجميع الأشياء منقادة لقدرته تابعة لمشيئته فلا يخرج حادث من الأفعال والأعيان عن قدرته وخلقه كما لا يخرج منها شيء عن علمه ومشيئته، ولهذا ورد كثيراً أن يختم الله سبحانه آيات الخلق بوصف العلم والقدرة لأن الخلق لا يكون إلا بعلم وقدرة فهو من أثرهما مسبوق بهما ودلالته عليهما من باب دلالة الالتزام. والقدرة إنما تتعلق بالأشياء الممكنة لأن غير الممكنة ليست بشيء لا في الخارج ولا في الذهن. فلا تعلق للقدرة بالمستحيل فالواجب إطلاق ما أطلقه الله تعالى كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وعليه فلا وجه لقول صاحب الجلالين ـ في سورة المائدة ـ «وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر» فهذا خطأ لأن العقل لا حكم له فيما يتعلق بذات الله وصفاته، وقد اتفق المسلمون وأهل الملل السماوية أن الله على كل شيء قدير وأنه القوي العزيز كما دل على ذلك القرآن والسنة فهو =

...... ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ[(١)] ذُو ٱلْقُوَّةِ[(١)] ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

تعالى القوي القدير وهاتات الصفتان متقاربتان. ومن القدرة قدرته تعالى على الفعل والفعل نوعان:

١- لازم: كالاستواء والنزول والإتيان والمجيء ونحو ذلك من أفعاله اللازمة القائمة به فلا تتعدى إلى مفعول.

٢- متعدي: كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع والهدى والضلال ونحو ذلك مما يتعدى إلى مفعول.

فمما يدخل في عموم قدرته، قدرته تعالى على أفعاله وأفعال عباده قال تعالى ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾ الآية وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

(١) فائدة: من أسمائه تعالى ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ فعال من أبنية المبالغة، ومعناه: الذي أعطى الخلائق أرزاقها وساقها إليها «وَالرَزْقُ» ـ بفتح الراء وإسكان الزاي ـ صفته سبحانه من صفات أفعاله وهو العطاء.

والرِزْقُ بكسر الزاي الحظ والنصيب مما يعطيه وينقسم الرزق إلى قسمين:

١- الرزق المطلق وهو ما يستمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو رزق القلوب من العلم النافع والإيمان والعمل الصالح.

٢- ورزق البدن وهو ما ينفع من الكسب.

=

إثبات السَّمع والبَصَر لله سُبحانَه

وقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[٢] [النساء: ٥٨].

وما من مخلوق إلا له رزقه وما من دابة إلا على الله رزقها فالحل والحرمة من جهة الكسب لا من جهة القسمة القدرية الكونية، لأن القسمة القدرية ترتيب المسببات على أسبابها.

(١) **فائدة**: من الأسماء الحسنى الثابتة لله تعالى القوي ومن أوصافه العلي القوة قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ فمعنى القوي ـ من أسماء الله الحسنى ـ ذو القوة أي كامل القوة، والقوة وصف يتمكن بها الفاعل من الفعل من دون ضعف فالقوة وصف الله العظيم التي لا تنسب إليها قوة المخلوقات وإن عظمت. ومن الفروق بين القوة والقدرة:

١ - القوة يقابلها الضعف ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ والقدرة يقابلها العجز.

٢ - القوة أعم من القدرة فكل قوي من ذي الشعور ـ أي الإحساس ـ قادر وليس كل قادر قوي.

(٢) فائدة: السمع والبصر من صفات الله تعالى الذاتية الثابتة له سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته دلت على ثبوتها الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة وإجماع الصحابة ﷺ.

=

أ - فمن الآيات المحكمات قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فالسميع، والبصير اسمان كريمان من أسماء الله الحسنى كل واحد منهما يتضمن صفة ثبوتية لله تعالى فالسميع يتضمن صفة السمع والبصير يتضمن صفة البصر فمعنى السميع أنه سبحانه ذو سمع يليق بجلاله وعظمته يسمع به جميع المسموعات ومعنى البصير أنه سبحانه ذو بصر حقيقي لائق بجلاله وعظمته يبصر به جميع المبصرات.

ب- وفي سنن أبي داود بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ «قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى سَمِيعًا بَصِيرا قَالَ ورَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ» وإنما وضع النبي ﷺ أصابعه رفعاً لتوهم متوهم أن السمع والبصر غير الحقيقين المعلومين ففي هذا الهدي النبوي إشارة إلى حقيقة الصفة ونفي ما قد يتوهمه متوهم من إرادة خلاف ذلك وقد عاب سبحانه وتعالى على المشركين أنهم اتخذوا من دونه آلهة ناقصة ليس لها من صفات الإلهية شيء ومن ذلك أنها لا تسمع ولا تبصر كما قال تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام أنه قال لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ فدل على أن السمع والبصر من صفات الكمال التي تمدح الله تعالى بها وأثنى بها على نفسه وعاب آلهة المشركين وتنقصها لفقدها لهذين الوصفين الكريمين من جملة ما فيها من النقائص والعيوب الدالة على بطلان إلهيتها ونقصان عقول من اتخذها آلهة مع الله تعالى أو من دونه فدل على أن الإله الحق المعبود بالحق المنزه عن النقص والعيب ومماثلة الخلق متصف بصفات الكمال التي منها السمع والبصر فوجب إثبات ذلك لله تعالى على ما يليق بجلاله وأنها من صفات كماله ونعوت عظمته =

إثباتُ المَشيئَة والإرادَة لله سُبحانَه

وقولــه: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ (١) لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

وجلاله، وأن الله تعالى ليس معطلاً منها ولا مماثلاً لأحد من خلقه فيها فإنه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ بل ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

ج- وقد أجمع السلف على هذا المعنى ولم يخالف ذلك إلا من اتبع الهوى أو أخذ عمن قال على الله وفي دينه بغير هدى فالحمد لله على الهدى.

والسميع من أسماء الله تعالى له معنيان :

الأول: سمع بمعنى الإجابة أي مجيب الدعوات كما قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ وهو من الصفات الفعلية.

الثانية: سمع بمعنى مدرك المسموع ـ أي الصوت ـ وهو أقسام :

أ- سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله لعموم الأصوات كقوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ في قصة المجادلة قالت عائشة رضي الله عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات إني لفي حجرتي وإن بعض كلامها ليخفى عليَّ والسمع بهذا المعنى من الصفات الذاتية.

ب- سمع يراد به التأييد والنصر وهو من الصفات الفعلية لأنه مقرون بسببه قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾.

ج- وسمع يراد به الوعيد والتهديد كقوله سبحانه ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾.

(١) فائدة: النصوص في الكتاب والسنة التي فيها إثبات مشيئة الله تعالى وإرادته لا تحصى لكثرتها. وقد أجمع علماء الإسلام قاطبة من سلف الأمة وأئمتها على إثبات =

وقولـــــه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١].

مشيئة الله سبحانه وإرادته فكل شيء بمشيئة الله تعالى وإرادته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فإثبات مشيئة الله تعالى من سنن المؤمنين وإنكارها من سنن الكفرة المشركين ومن سلك سبيلهم من المتكلمين لقول المؤمن ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ قال ذلك حثاً للكافر على الإيمان بالله والإقرار بمشيئته فأهل الإسلام بل أهلل الملل السماوية ـ ما خلى المعطلة ومنهم القدرية المجوسية ـ يثبتون مشيئة الله تعالى العامة الشاملة. وقد خالف الرسل كلهم من نفي مشيئة الله بالكلية ولم يثبت لله تعالى مشيئة ولا اختياراً كما هو قول طائفة من أهل الكلام المتبعين للفلاسفة الذين يقولون بجواز أن يكون في الوجود ما لا يشاؤه الله أو أن يشاء ما لا يكون. وهذا إلحاد وضلال لأن هؤلاء يزعمون أن الله تعالى شاء من الكافر الإيمان وأن الكافر شاء الكفر والعصيان فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله فوقع الكفر والعصيان والله تعالى لم يشأ ذلك ولازم ذلك وصف الله تعالى بالعجز تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ (١) ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ ....

---

(١) فائدة: قال الله جل وعلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ وقال الله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ وقوله تعالى ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾. ففي الآيات الكريمات المحكمات وما جاء في معناها :

١ – إثبات الإرادة لله تعالى صفة لائقة بجلاله وعظمته وأنها شاملة للهداية والإضلال كوناً وقدراً، والهداية ديناً وشرعاً من التحليل والتحريم لحكمة بالغة وأن الله تعالى لا اعتراض عليه في شيء من أمره وشأنه فله تعالى الحكمة البالغة والحجة الدامغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

٢ – أن الإرادة نوعان :

أ – إرادة كونية قدرية يكون بها تدبير الملك والخلق ـ وهي مرادفة للمشيئة ـ كما قال تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ كما قال تعالى ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ وقوله ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾.

ب – إرادة دينية شرعية متعلقة بما تعبد الله به العباد أن يدينوا له به ـ وهي مرادفة للمحبة والرضا ـ كقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ وقوله ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾.

= فمن الفروق بين الإرادتين :

=

١ – الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لذاتها وقد تكون مقصودة لغيرها فهي من إرادة الكونيات كخلق إبليس، والإرادة الشرعية مقصودة لذاتها كإرادة الطاعات.

٢ – الإرادة الكونية متعلقة بما يريد الله أن يفعله أو يجعل العباد فاعلين له، والشرعية تتعلق بما يريد الله من العبد أن يفعله له.

٣– الإرادة الكونية متعلقة بالخلق والتكوين والشرعية متعلقة بالتحليل والتحريم.

٤ – الإرادة الكونية لابد من وقوع المراد بها والشرعية قد يقع المراد وقد لا يقع.

٥ – الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة والإرادة الدينية بمعنى المحبة.

٦– المراد بالكونية قد يكون محبوباً مرضياً لله تعالى كخلق آدم وطاعة المطيع وقد لا يكون محبوباً لله تعالى كخلق إبليس ومعصية العاصي والمراد بالإرادة الشرعية لابد أن يكون محبوباً مرضياً لله تعالى.

فائدة :

أ – تجتمع الإرادتان في حق المطيع وتنفرد الكونية في حق العاصي.

ب– من لم يفرق بين الإرادتين أخطأ في فهم النصوص وعارض بين الشرع والقدر فضل وأضل.

ج– ولقد هدى الله ـ بفضله ـ أهل السنة والجماعة فميزوا بين الإرادتين وآمنوا بهما جميعاً، وأيقنوا أن المراد الكوني والمراد الشرعي تابعان لحكمة الله تعالى. فكل ما قضاه الله كوناً أو تعبد الله به عبادة شرعاً فإنه لحكم عظيم ومقاصد سامية قد يدركها العقلاء وقد لا يدركوها وصدق الله الحكيم إذ يقول ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ويقول ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ .

.... ﴿صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ۖ(1) وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(١) فائدة الإرادة: هي صفة قائمة بالله تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه كالإيجاد والإعدام ودليلها قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾، والبرهان العقلي هو أن العقل حاكم أن الضدين بالنسبة إلى القدرة سواء فلابد من مخصص وإلا لزم ترجيح أحدهما بلا مرجح، وقد دل الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الأمة أن الإرادة في نصوص الوحي نوعان:

الأول: إرادة قدرية كونية وهي الشاملة لجميع الموجودات وترادفها المشيئة وهي المرادة في قوله تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾.

الثاني: إرادة دينية شرعية ترادفها المحبة والرضا ودليلها قوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾.

لذا فمن أصول أهل السنة والجماعة التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية. وأن الإرادة الكونية ترادف المشيئة، وأن الإرادة الشرعية بمعنى المحبة وأن الله تعالى قد يريد كوناً ما لا يحب شرعاً، وأن ما أراده الله شرعاً فهو محبوب له. وأن ما وقع من الطاعات فقد اجتمعت فيه الإرادتان الكونية والشرعية وما وقع من المعاصي فقد انفردت فيه الإرادة الكونية. فتجتمع الإرادتان فيما وقع من الخير، وفي حق المطيع، وتنفرد الكونية فيما وقع من الشر وفي العاصي.

إثبات مَحبَّة الله ومودَّتَه لأوليائِه
على ما يَلِيق بجلاله

وقوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقوله: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [1] [المائدة: ٥٤].

---

(١) فائدة : في إثبات صفة المحبة لله تعالى:

قد دل عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. وهي محبة تليق بجلال الله تعالى كسائر الصفات وكذلك المودة وهي صدقة لله تعالى دل عليها اسمه الودود والود صفاء المحبة وخالصها. والحب مشتق من الملازمة والثبوت. فالمحب ملازم لذكر محبوبه متصف بحبه على الدوام، والله تعالى يوصف بالإرادة والود والحب والخلة حينما ورد النص. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَّ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَـمَا اتَّخَـذَ =

إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً» وفي الصحيحين عنه
= قال: «وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ» وقد قال الإمام أحمد: لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شفاعة المشنعين. وقد أنكر الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم محبة الله لشبهة فاسدة وردوها وردوا بها صفة من صفات الله الثابتة له فقالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين متناسبين ويرد عليه بأن المناسبة لفظ مجمل قد يراد به عدة معاني: منها القوالة والمناسبة والله سبحانه منزه عن ذلك ومنها المماثلة والله تعالى ليس كمثله شيء، ومنها الموافقة في معنى من المعاني. وضدها المخالفة والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة فإن أولياء الله تعالى يوافقونه في حب ما أمر به فيفعلون على الوجه الذي أمر ويحبونه ويوافقون في كراهية ما نهى عنه فيتركونه وفيما يعطيه فيصونه ويشكرونه ولذلك ينالون محبته ومثوبته فيما يثليهم به فيصدون عليها ملتمسين أجره ومثوبته فيحسنون والله يحب المحسنين ويقسطون والله يحب المقسطين ويوترون والله وتر يحب الوتر فهذه المناسبة حق وهي من صفات الكمال وهي من عبادة من جليل الأعمال من يحب صفات الكمال ويثبت عليها أكمل ممن لا فرق عنده بينها وبين أضدادها والذي يتصف بما يحبه الله فعلاً وتركاً هو حبيب الله والذين يعطلون الله تعالى من صفة المحبة.
المنكرون للمحبة طائفتان :
الأولى: الجهمية وهي أول من خالف في المحبة فتقول محبة الله لعباده ومحبة العباد لربهم وأدلوا محبة الله لعباده بإحسانه إليهم، وحجتهم إياه بقاعدة وربما قوال هي إرادة الإحسان.
الثانية: الأشعريةو غيرهم أثبتوا محبة العبد لربه، وأنكره محبة الله لعباده.

وقولـــــه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤].

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج: ١٤].

إثبات اتصافه
بالرَّحمة والمغفرَة سُبحانه

وقوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (١) ....

(١) فائدة: في قوله تعالى ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وأمثالها من الآيات التي فيها ذكر الرحمة إثبات اسم الله تعالى الرحمن وصفة الرحمة له سبحانه وهي صفة فعلية حقيقية لائقة بجلال الله تعالى وعظمته لا يعلم كيفيتها إلا هو:

أ - فالرحمن دال على الصفة القائمة به والرحيم دال على فعله أي أنه يرحم برحمته من يشاء من عباده.

ب- ولقد أثنى الله سبحانه على نفسه بالرحمة في مواضع من كتابه كقوله تعالى ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ الآية وقوله سبحانه ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ﴾ وأخبر تعالى في معرض الثناء على صالح عباده عن ثنائهم عليه بالرحمة عليه وتوسلهم بها إليه قائلين ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ فقرن سبحانه رحمته بعلمه للدلالة على سعتها فكل شيء وصل إليه علمه تبارك وتعالى وأحاط به فرحمته سبحانه وسعته فإنه تعالى رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما فرحمته تعالى العامة في الدنيا عمت المسلم والكافر والبر والفاجر والناطق والبهيم لكن رحمته =

بالكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية محدودة وموقته فليست شيئاً بالنسبة لرحمة الله المؤمن التقي المرحوم دنيا وآخرة فإنهما كلاهما يشتركان في الرحمة في الرزق من طعام وشراب ولباس وسكن ومال وولد ونحو ذلك من متاع الدنيا لكن المؤمن يوفق لجلبها من حلها والتمتع بها في وجهها والاستعانة بها على طاعة ربه وشكر المنعم بها عليه وهو أيضاً مرحوم رحمة إيمانية من التوفيق للعلم النافع وحسن القصد في كل شيء والإحسان في كل شيء من إجابة الدعاء واللطف في القضاء والإعانة عند

= البلاء والتوفيق لشكر النعماء وصرفها في طاعة المولى، وما عند الله له من الرحمة أعظم وأكمل قال تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾.

ج- ولقد أخبر النبي ﷺ أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدة بولدها. وأن رحمة الله تعالى تسبق أو تغلب غضبه وسأل الله تعالى الرحمة في أحاديث صحيحة كثيرة بهذا المعنى.

د- والعقل دل على الرحمة فإن وصول الخيرات إلى العباد وصرف البليات عنهم دليل ظاهر من أدلة الرحمة فإن دلالة النعم على الرحمة ـ أظهر من دلالة التخصيص على الإرادة ـ الذي يبالغ فيه المتكلمون ـ فإن إدراك النعم دلالة على الرحمة يستوي في العلم به الخاص والعام، أما دلالة التخصيص فلا يدركها إلا خواص أهل العلم.

=

هـ- وقد أجمع السلف الصالح على إثبات صفة الرحمة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

فلا يعطل الله تعالى من صفة من صفات كماله ولا تفسر بغير ما يدل عليه ظاهر النص، ولا يمثل الله تعالى فيها بخلقه. فدل على إثبات صفة الرحمة لله تعالى الكتاب والسنة والإجماع والعقل أفترد هذه الأدلة القطعية الضرورية من أجل توهمات توهمها جاهل أو صاحب هوى أو متزندق ما قدر الله حق قدره لا في أسمائه وصفاته ولا في كلامه وآياته والرحمة صفة أزلية أبدية كاملة شاملة ولهذا جاءت في القرآن بصيغة أفعل التفضيل كقوله تعالى ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ للدلالة على سعة الرحمة وشمولها وأن الله أرحم من خلقه بهم = من أنفسهم وبغيرهم منهم. فالرحمة لله تعالى اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر وجاء استعمالها في القرآن بالأمرين، والرحمة المضافة إلى الله تعالى نوعان:

أ – نوع يضاف إليه سبحانه إضافة الصفة إلى موصفها وهو المراد هنا كقوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقوله ﷺ «بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ».

ب- نوع يضاف إلى الله تعالى إضافة المخلوق إلى خالقه كالجنة كما في الحديث «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ» وكما في الحديث «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ».

فقد علم بالضرورة من كتب رب العالمين ودين المرسلين عليهم الصلاة والسلام أن الله تعالى متصف بالرحمة كسائر صفات عظمته على الوجه اللائق بجلاله وهي من صفات ذاته فهي صفته ونعته كقوله تعالى مخبراً عن نفسه ومثنياً بها عليه بسم الله الرحمن الرحيم، وكقوله العزيز الرحيم وكقوله ﷺ يقول الله تعالى «أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ» الحديث وقوله ﷺ «الرَّاحِمُونَ = يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ» الحديث فهذه =

النصوص وما جاء مثلها كلها في وصف ذات الله تعالى بالرحمة فدل على ثبوت الرحمة لله تعالى:

أ – السمع وهو الآيات والأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك.

ب– إجماع السلف: حيث لم ينقل عن واحد منهم ما يفيد التوقف في إثبات تلك الصفة فضلاً عن ردها وإنكارها.

ج– بل لم ينقل عن العرب وهم أهل اللسان توقفهم في ثبوت تلك الصفة لله تعالى فضلاً عن إنكارهم وردهم لها مع أنهم أحرص شيء على المعارضة.

د– ودل على اتصاف الله تعالى بالرحمة العقل فإن كل ما يسوقه الله تعالى لعباده عن الخيرات وما يصرفه عنهم من الشرور والمصائب والبليات فهو من رحمته فكل النعم الحاصلة والنعم الواصلة للعباد من رحمته سبحانه وكل النقم المدفوعة عن الأولين والآخرين فمن آثار رحمته.

= هـ– التخصيص: وهو من أكثر ما يستدل به أهل الكلام على الإرادة وهو خلق الأشياء على ما هي عليه فلم تكن شيئاً واحداً فإنه من اقوى وأظهر شيء في الدلالة على الرحمة منه على الإرادة لأن دلالة سوق النعم ودفع النقم على الرحمة أظهر إذ يشترك في إدراك ذلك الخاص والعام ودلالة التخصيص على الإرادة لا يدركها إلا أهل العلم فدلت النصوص والعقل والواقع على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله الله وعظمته وهذا ما يدين به ويعتقده أهل السنة والجماعة عملاً بأنواع الأدلة الثابتة المثبتة لذلك إثباتاً قطعاً لا يمكن دفعة ولا صرفة فلا ينكر ذلك ولا يجحده الامكابر للحق أو فاقد للعقل ومن هذا وصفه فخلافه لا يعتد به قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ فالرحمة صفة أزلية أيدية كاملة شاملة لائقة بجلال

=

الله تعالى وعظمته فإن الله تعالى ذكر الصفة وأثنى بها على نفسه على وجوه متنوعة ليدل على ثبوت الصفة وكمالها وسعتها وشمولها واستمرارها.

ز- فتارة ذكرها مقترنة بالألف واللام بالا من كقوله ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

و- وتارة ذكرها بالصفة كقوله ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾.

ز- وتارة يذكرها بالفعل كقوله ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾.

ح- وتارة تأتي الإشارة إليها بأفعال التفضيل كقوله ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ويمثل هذه الوجه جاءت السنة الصحيحة المطهرة فدل ذلك على ثبوت الصفة وانتفاء المجاز فالرحمة صفة حقيقية قائمة به سبحانه والرحمن دال على أنه يرحم برحمته خلقه وأنها من الصفات الذاتية فمن حيث اتصافه سبحانه أزلاً وأبداً فهي ذاتية ومن حيث أجناسها وأنواع المرحومين، وأوقات رحمته إياهم فهي صفة فعلية.

= ولا يصح تفسير الرحمة بالإحسان أو إرادة الإنعام لأمور:

أحداها: مخالفته لظاهر لفظ الرحمة في الكتاب والسنة.

الثاني: مخالفته لإجماع السلف.

الثالث: عدم الدليل عليه.

الرابع: أن الإحسان أو إرادة الإنعام من آثار الرحمة وليسا حقيقتها.

وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى حسن وهو :

١ - أنها جرت مجرى الإعلام فهي أوصاف يراد بها الثناء على الله. والرحمن من أبنية المبالغة أي ذو الرحمة الواسعة القائمة به، والرحيم يدل على فعله سبحانه المتعدي إلى خلقه وأنه يرحم من يشاء برحمته.

=

.... [النمل: ٣٠]، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً [1] وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧]، ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾....... [الأحزاب: ٤٣]، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [2] [الأنعام: ٥٤]، ﴿ وَهُوَ

٢- في الجمع بين الصفتين فائدة هي الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة وخاصة وعامة.

٣- أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقيها بالمرحوم.

٤- والأول للوصف أي دال على أن الرحمة صفة والثاني دال على الفعل أي أنه يرحم خلقه برحته فالرحمن هو الموصوف بالرحمة والرحيم هو الراحم برحمته.

(١) فائدة في صفة الرحمة: كل ما كان من صفة الرحمة فهو غالب لما كان من صفة الغضب وأنه سبحانه لا يكون إلا رحيماً ورحمته من لوازم ذاته ـ كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وإحسانه فيستحيل أن يكون على خلاف ذلك. وليس غضبه كذلك فإنه ليس من لوازم ذاته فإنه لا يكون غضباناً دائماً لا يتصور إنفكاك الغضب عنه، ورحمته وسعت كل شيء. وغضبه لم يسع كل شيء وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة ولم يكتب على نفسه الغضب ووسع كل شيء رحمة وعلماً ولم يسع كل شيء غضباً وانتقاماً.

(٢) فائدة الكتابة: الكتابة المضافة إلى الله تعالى نوعان:

الأول: كتابة قدرية كونية كقوله تعالى ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ وقوله ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾، وقوله ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ =

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1] [يوسف: ٦٤].

أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾. فقد كتب الله تعالى على نفسه الرحمة تفضلاً وإحساناً منه إلى خلقه من غير أن يكتبها أحد عليه.

الثاني: كتابة شرعية أمرية كقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، وقوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، وقوله ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾.

(١) **فائدة**: لا يجوز الاستمرار على المعاصي اعتماداً على رحمة الله تعالى وسعة عفوه لأمور:

الأول: أن الإصرار على الصغائر يجعلها من الكبائر لما في ذلك من الاستهانة بوعيد الله تعالى والأمن من مكره.

الثاني: أن الصغائر وسيلة إلى الكبائر فمن استمر عليها متهاوناً بعقوبتها فإنه لا يؤمن أن تجره إلى ما هو أكبر منها وهذا من شؤم احتقار الذنب، ومن أمارات النفاق لأن المؤمن يستعظم ذنبه لتعظيمه ربه، والمنافق يستخف بذنبه لنقص تعظيمه لربه.

= الثالث: أن المعاصي بريد الكفر فالصغائر تجر إلى الكبائر والكبائر تجر إلى الكفر لما تحدثه من ران في القلب وقسوة وأن يبتلى المرء بأن يزين له سوء عمله.

الرابع: أن الله تعالى قد يعاقب العبد على المعصية خاصة مع التهاون بها مع العلم يعظم الذنب.

الخامس: أن الله تعالى كلما ذكر الرحمة ذكر بعدها العذاب كقوله تعالى ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ فقد جمع الله =

ذِكْر رِضَى الله وغَضَبه وسَخَطِه وكَراهِيَته وأنْه متَّصِف بذلك

قوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾[1] [المائدة: ١١٩].

تعالى في عدة آيات بين الرحمة والعذاب حتى لا يتعلق المفرط بآيات الرحمة وينهمك في المعاصي ويستحسنها بل يكون راجياً خائفاً إذا قرأ آيات الرحمة رجاء وإذ قرأ آيات العذاب خاف فيكون خائفاً راجياً على الدوام ويكون الخوف والرجاء له بمنزلة جناحي الطائر.

(١) **فائدة** : الله تعالى موصف بصفة الرضا على من وجد منه مقتضى الرضا:

١ - فيرضى عن العمل قال تعالى ﴿ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴾.

٢- ويرضى عن العامل قال تعالى ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾.

٣- وقال ﷺ «إِنَّ اللهَّ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» .

فالرضا صفة من صفات الله تعالى حقيقية متعلقة بمشيئة فهي من الصفات الفعلية الاختيارية المتجددة لوقوعها بمشيئة الله تعالى وإرادته كسائر الصفات الفعلية وقد دل على ثبوت صفة الرضا لله تعالى الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل السالم من الهوى والبدعة.

= ١ - فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾.

٢- ومن السنة قوله ﷺ في قصة مجيء الملك للأبرص لأقرع والأعمى الحديث وفيه إن الله قد رضي عنك وسخط على صاحبيك.

٣- وأجمع السلف الصالح على إثبات الرضى الله تعالى في حيث لم ينقل عنهم حرف واحد يخالف ظاهر ما دل عليه الكتاب والسنة بهذا الشأن.

=

٤- والعقل يثبت الرضا له تعالى استدلالاً عليه بإثابة الله تعالى للطائعين وحسن جزائهم في الدارين.
٥- ولو لم يدل العقل على الرضا فإنه لا يمنعه.
٦- ويكفي في إثباته دلالة القرآن والسنة وإجماع السلف.
٧- ثم أن الرضى صفة فعل ومن كمال ربوبية الله تعالى أن يكون فعالاً لما يريد فمن كمال تصرفه أنه تعالى يرضى عن أقوام لأعمالهم الموافقة للشرع ويسخط على آخرين لمعصيتهم وإعراضهم عن الشرع فمقتضى الرضا محبة المرضي عنه والإحسان إليه كما دلت عليه النصوص الشرع.
ولا يجوز تفسير الرضا بالثواب ونحوه لأن ذلك :
أ – مخالف لظاهر اللفظ.
ب- مخالف لإجماع السلف.
ج- ليس عليه دليل.
د- الثواب من مقتضاه وليس هو حقيقته.
فوجب الإيمان بصفة الرضا لله تعالى، وإثباتها على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته وأنه لا يمثل بخلقه فيها أو يعطل منها.
وليعلم أن رضى الله تعالى عن عباده هو أعظم وأجل من كل ما يعطوا من النعيم ولهذا وعدهم الله تعالى به في الدنيا والآخرة ويقول لهم في الجنة: أحل عليكم رضائي فلا أسخط عيكم بعده أبداً، وبهذا يكمل النعيم جعلنا الله ممن يقال له ذلك بوجه الكريم قال تعالى ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾.
= وأما رضا العباد عن الله تعالى فأوله رضاهم بالإلهيته وعبادته وعملهم بطاعته وترك معصيته والاستغفار إليه من التقصير في حقه وخاتمته رضى كل واحد منهم بمثوبته ومنزلته مهما كانت وسروره بها واغتباطة بفضل الله تعالى عليه حتى يظن
=

وقوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ[1] ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء: ٩٣].

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾[2] [محمد: ٢٨]، ....

أنه لم يؤتى أحد مثل ما أوتى قال تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾.

(١) فائدة في صفة الغضب: صفة الغضب ثابتة لله جل وعلا بالأدلة القطعية ـ كسائر الصفات الإلهية ـ وهي من الصفات اللائقة بجلاله وعظمته التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه فإن ذلك قد أثبته الله تعالى لنفسه وأتبنه له = رسوله عليه الصلاة والسلام وأيضاً فإن الغضب على من يستحق الغضب عليه من القادر وعقوبته بعدل صفة كمال والرسل عليه الصلاة والسلام أجمعون كلهم جاؤا :

١ - إثبات الرضا لله تعالى في وقته وعلى من يستحقه لطاعته لله تعالى وشكره لنعمته.

٢ - بإثبات الغضب لله تعالى في وقته وعلى من يستحقه لمخالفته أمره.

وبذلك صاروا مبشرين ومنذرين وقامت حجة الله تعالى على المكلفين ببيان الفضل، والعدل من رب العالمين في ثوابه للعاملين.

(٢) فائدة : **في الصفات الاختيارية :**

* كل ما يتعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب سبحانه فهو من الصفات الفعلية الاختيارية.

=

.... ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[1] [الزخرف: ٥٥].

وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

= ❋ فمن أعظم الأصول النافعة دنيا وآخرَة:

١- أن يعرف الإنسان ربه تبارك وتعالى بما نعت ـ أي وصف الله به نفسه ـ من الصفات الفعلية.

٢- وأن الصفات الفعلية الاختيارية من صفات الكمال وأضدادها صفات نقص.

٣- وأن القائلين بمنع قيام الصفات الفعلية الاختيارية بالله تعالى حجتهم داحضة وشبهتهم واهية فإن السلف يثبتون ما يقوم بذات الله سبحانه من الصفات والأفعال مطلقاً والنصوص الإلهية متظاهرة بإثبات إتصاف الرب تبارك وتعالى بالصفات والأفعال. وهذا معلوم بالضرورة لمن سمع الكتاب والسنة وفهمها بفهم الصحابة رضوان الله عليهم، وعلم ما كان عليه السلف الصالح قاطبة من العلم والاعتقاد والقول والعمل والهدي.

(١) فائدة: الأسف يطلق على معنين:

الأول: شدة الغضب والسخط وهو المراد بقوله تعالى أي أغضبونا أشد الغضب عاقبناهم فالله تعالى يوصف بالأسف على هذا الوجه على ما يليق بجلاله وعظمته وليس كمثله شيء في ذلك، كما أنه تعالى لا مثل له في جميع نعوته وصفاته.

الثاني: شدة الحزن كما قال تعالى عن يعقوب ﷺ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ الآية، وهذا في حق المخلوق ولا يليق بحق الله جل وعلا.

وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

ذكر مَجيء الله لفَصل القَضاء بين عِبَاده
على ما يَليق بجلاله

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[1]

---

(١) فائدة في الإتيان والمجيء: دلت على المجيء والإتيان لله تعالى الآيات المباركات المحكمات الدالة على مجيئة سبحانه يوم القيامة والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ المثبتة مجيء الرب تعالى يوم القيامة وإتيانه أهل الجنة في الآخرة في مثل يوم الجمعة وقد حكى الدرامي رحمه الله تعالى اتفاق الكلمة من المسلمين على أنه سبحانه ينزل يوم القيامة لفصل القضاء ولم يشكوا في ذلك وأن الإتيان المذكور والمضاف إلى الله تعالى هو إتيان الله بنفسه يوم القيامة لا إتيان غيره. فالإتيان والمجيء من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى عن ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل بأحد من خلقه ولا تعطيل له سبحانه من صفات كماله وقد أخبر سبحانه أن مجيئه وإتيانه إنما يكون يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده وقد فرق سبحانه في قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية. ففرق سبحانه بين إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان
=

.... [الفجر: ٢١، ٢٢]، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٥].

إثبات الوَجْه لله سُبحانه

وقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ (١) [القصص: ٨٨].

بعض آياته بالعطف بالواو والعطف يقتضي المغايرة فدل على أن إتيانه في وقته إتيان حقيقي لائق بجلاله وعظمته فقسم تعالى ونوع ومع هذا التقسيم يمنع أن يكون القسمان واحداً فيمنع حمل مثل هذا اللفظ على مجازة وعلى حقيقته، والأصل الحقيقة حتى يرد دليل يجب الرجوع إليه يصرفه عن الحقيقة إلى المجاز.

(١) فائدة: في صفة الوجه :

أ – الوجه في اللغة مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه وهو في كل شيء بحسب ما يضاف إليه وإذا أضيف الوجه إلى الله تعالى فهو من الصفات الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله الدالة على عظمته وكماله.

ب– وقد ورد الوجه في القرآن مضافاً إلى الذات الإلهية وأضاف النعت إلى الوجه في قول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ فدل على أن الجلال والإكرام من صفات الوجه وأن الوجه من صفة الذات اللائقة بجلال الله تعالى وعظمته فإضافته إلى الله تعالى من إضافة الصفة إلى موصوفها.

فالوجه لله تعالى من الصفات الذاتية الخبرية كالسمع والبصر واليد ونحوها من صفات الذات فالواجب على العباد :

=

١- قبول النصوص الواردة بتلك الصفة ومعرفة معناها باللسان الذي نزل به القرآن ونطق به الرسول ﷺ وفهمه الصحابة ﷺ والتسليم لها.

٢- اعتقاد ثبوت صفة الوجه لله تعالى على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته وأن الله تعالى ليس كمثله شيء في وجهه كسائر صفاته وعلى ذلك مضى الصحابة والتابعون وأئمة الهدى من بعدهم وهذا هو الذي عليه أهل السنة = والجماعة يؤمنون أن لله تعالى وجهاً حقيقياً لائقاً بجلال الله تعالى وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه.

٣- أن إثبات الوجه لله تعالى إثبات معنى لا إثبات كيفية فإن الله سبحانه أخبرنا عن الوجه ولم يخبرنا عن الكيفية ومن المعلوم أن الله تعالى ليس كمثله شيء في سائر صفاته والوجه من صفاته قال ﷺ مخبراً عن ربه «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» فدل صريح الكتاب وصحيح السنة وما كان عليه السلف الصالح من الأمة على ثبوت صفة الوجه لله تعالى. والعقل لا ينكر تلك الصفة ولو أنكرها كان إنكارها قدحاً في العقل لثبوتها في النقل وإطباق السلف الصالح على الإقرار بها حيث لم يثبت عنهم كلمة واحدة في التوقف فيها فضلاً عن إنكارها.

د- أما الجهمية وأضرابهم من المعطلة نفاة الصفات المخالفين للقرآن والسنة وإجماع الصحابة فنفوا صفة الوجه عن الله تعالى وكل ذلك تحريف للنصوص وتأويل باطل مردود من وجوه:

أحدها: أن الله تعالى قد أضاف الوجه إلى الذات المعظمة المقدسة وأضاف النعت إلى الذات في قوله سبحانه ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ فثبت أن الجلال والإكرام نعت للوجه وليس صلة وأن الوجه صفة للذات كما ذكر معنى ذلك البيهقي رحمه الله تعالى.

=

الثاني: أنه جاء عطف الوجه على الذات في قوله ﷺ «أَعُوذُ بِاللهِّ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ» والعطف يقتضي المغايرة فدل على أن الوجه ليس هو الذات وإنما هو صفه من صفاتها.

الثالث: وكذلك تفسير الوجه في قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ بأنه الثواب مردود لمخالفته ظاهر النص وإجماع السلف.

الرابع: أن كل ما فسر به المعطلة الوجه من الثواب والجهة ونحو ذلك فهو تفسير للصفة بأشياء مخلوقة قابلة للوجود والعدم وذلك من أبطل الباطل الذي يدركه كل عاقل وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

= الخامس: استعاذة النبي ﷺ بوجه الله تعالى في قوله «أَعُوذُ بِاللهِّ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ» تدل على أن الوجه صفة يوصف بها الله تعالى لا خلقاً من خلقه فإنه لا يستعاذ بالمخلوق إذ الاستعاذة بالمخلوق شرك بالله تعالى.

فدلت النصوص وإجماع السلف على أن كل ما جاء من لفظ الوجه مضافاً إلى الله تعالى فإنه يراد به وجه الله الذي هو صفة من صفاته حتى قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي جهة توجهون إليها فثم وجه الله تعالى فإنه محيط بكل شيء كيف لا وقد قال ﷺ «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللهَّ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»وهكذا قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي إلا ذاته المتصفة بالوجه ووجه الله تعالى لا يمكن الإحاطة به وصفاً ولا تصوراً بل كل شيء يفرضه الذهن فإنه تكييف بلا حجة والله تعالى في جميع صفاته فوق ذلك وأعظم قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ فوجب الإيمان بخبر الله تعالى عن نفسه ومن ذلك ما أخبر عن وجهه والتسليم له سبحانه في مراده وإثبات معناه بمقتضى اللغة التي

=

إثبات اليدين لله تعالى

وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] [ص: ٧٥]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

نزل بها القرآن وتكلم بها من كلفه الله تعالى بالبيان والبراءة من التعطيل والإلك والبهتان..

(١) فائدة: جاءت نصوص الكتاب الصريحة والسنة الصحيحة على إثبات صفة اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله كقوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وقوله ﷺ «يَمِينُ اللهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» وقال ﷺ = «خزائن الله ملأى ويداه سحاء الليل والنهار» وقوله ﷺ مخبراً عن ربه «وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ» وقد جاء ذكر اليد صفة لله تعالى في القرآن والسنة على ثلاث صيغ:

الأولى: الإفراد كقوله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وإخباره ﷺ أن الله كتب التوراة بيده، والإفراد لا يمنع التعدد إذا ثبت لأن المفرد المضاف يفيد العموم ففي الإفراد الدلالة على الجنس. وهو هنا جنس اليد صفة لله تعالى.

الثانية: التثنية كقوله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وقوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ وقوله ﷺ «خزائن الله ملأى ويداه سحاء الليل والنهار» الخ. فأفاد ذلك العدد أي أن لله تعالى يدين اثنين وعلى ذلك أجمع أهل السنة.

=

الثالثة: الجمع كقوله تعالى ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ وأقل الجمع اثنتان فلا تدل على أكثر من اثنين فلا يراد بالجمع هنا حقيقة الجمع وإنما يراد به التعظيم لأن الله تعالى جمع اليد وأضافها إلى ضمير الجمع ولو أريد به حقيقة الجمع فإن أقل الجمع اثنان وعلى ذلك أجمع السلف فتحصل من نصوص الكتاب والسنة في اليدين مما سبق ذكره وما جاء بمعناه ما يلي :

١ – إن لله تعالى يدين إثنتين حقيقتين لائقتين بجلاله وعظمته وأنهما صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

٢ – أن الله تعالى يفعل بيده :

أ – فبهما يخلق كما خلق آدم بيده.

ب – وبهما يقبض السموات ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ﴾ .

ج – وبهما يأخذ «يأخذ الصدقة بيمينه».

د – وبهما ينفق «يَدُ اللهِّ مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

هـ – وبهما كتب التوراَة كما كتب سبحانه التوراة بيده.

٣ – أنهما يدان حقيقتان لا يعلم كيفيتهما إلا الله تعالى فلا يجوز تفسيرها بالمجاز ولا بما يخالف ما دل عليه ظاهر القرآن.

= ٤ – وجوب الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر النبي ﷺ به عن ربه ومن ذلك ما ثبت بالآيات الصرحية والأحاديث الصحيحة وأجمع عليه السلف الصالح من إثبات صفة اليدين لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته.

٥ – وجوب البراءة من غلو الممثلة الذي مثلوا الله تعالى بخلقه فسووا أحسن الخالقين بالمخلوقين والمكيفة المفترضين بعقولهم كيفيات صفات الله عز وجل.

٦ – البراءة من تحريف المعطلة الذين عطلوا الله تعالى من صفة اليدين فردوا النصوص الصريحة بالشبهات العارضة وحرفوا الكلم عن مواضعه فقد أولت

=

إثبات العينَين لله تعالى

الجهمية والمعتزلة والأشعرية اليد المثبتة لله تعالى صفة لائقة بجلاله بالنعمة أو القدرة مجازاً لأن العرب تقول: له عندي يد يجزيه الله بها أي له على فضل ونعمة وهذا تحريف مردود من وجوه :

الأول: أن الأصل الحقيقة فدعوى المجاز مخالفة للأصل إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

الثاني: أن ذلك خلاف الظاهر فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذا التأويل.

الثالث: أنه خلاف ما فسرها به السلف الصالح الذين هم أعلم الأمة بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ حيث لم يثبت عنهم حرف واحد خلاف الظاهر.

الرابع: أنه لا يوجد دليل ثابت يصرف الظاهر عن حقيقته.

الخامس: ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الله تعالى لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة عدة بيده، وكتب التوراة بيده.

وما ثبت في محاجة موسى ﷺ لآدم أنه قال أنت الذي خلقك الله بيده .. إلخ فهل يصح في نقل صحيح أو عقل صريح أن الله تعالى لم يخلق بنعمته أو قدرته إلا ثلاثاً إذا فسرت بهما اليد في هذا النص وأمثاله.

السادس: أن الله تعالى خص آدم وفضله على إبليس بأن خلقه بيده فلو كانت اليد بمعنى القدرة أو النعمة لم يكن لآدم تفضيل أو تخصيص دون غيره فإن جميع المخلوقات إنما خلقت بقدرته.

= السابع: أنه لا يصح استعمال المجاز بلفظ التثنية فلا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً.

الثامن: اقتران لفظ الطي والقبض والإمساك باليد فيه أظهر الدلالة على أن المراد حقيقة اليد لا اليد المجازية.

وقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾[1] [الطور: ٤٨]، ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءً........

(١) فائدة: دل القرآن العظيم على إثبات العين صفة لله تعالى لائقة بجلاله وعظمته.

قال الله تعالى ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ وكذلك السنة الصحيحة فقد قال ﷺ «إذا قام العبد في الصلاة قام بين عيني الرحمن» وقال ﷺ «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» وهما عينان حقيقتان لائقتان بجلال الله وعظمته فوجب إثباتها له تعالى من غير تمثيل، فهما من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله. وما جاء في النصوص من إفراد العين فيراد به إثبات الجنس والتثنية يراد بهما العدد وأنهما عينان إثنتان والجمع من أجل التعظيم وأقل الجمع إثنتان. ولا يجوز تفسير العينين بالعلم ولا بالرؤية مع نفي الصفة وذلك لأمور منها:

١- مخالفته لظاهر النصوص.

٢- مخالفته لإجماع السلف على إثبات العين.

٣- لا دليل عليه.

٤- أما تفسير بعض السلف لقوله تعالى ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي بمرأى منا فجوابه:

أ- أنهم لم يريدوا بذلك نفي حقيقة معنى صفة العين.

ب- أنه تفسير باللازم مع إثبات الصفة.

.... ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ [القمر: ١٣، ١٤]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

إثبات السَّمْع والبَصَر لله سُبحانه

وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: ١]، وقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤]، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠]، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

إثبات المَكْر والكَيْد لله تعالى
على ما يَليق به

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

وقولـه: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤ ﴾ [آل عمـــــران: ٥٤]، وقولــــــه ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ ﴾[1] [النمل: ٥٠].

(١) فائدة في المحال، والمكر، والكيد: هذه الصفات من صفات الله تعالى الفعلية التـي لا يوصف الله تعالى بها على سبيل الإطلاق لأنها تكون مـدحاً في حـال، وذمـاً في حال، فلا يوصف الله تعالى بها إلا حين تكون مدحاً وهو فـيما إذا كـان في مقابلـة فعل أعدائه.

١ - فشدة المحال معناها أنه تعالى شديد الأخذ بالعقوبة لأعدائه، أي شـدة المكـر بهم مأخوذ من الحيلة وهي أن يحتال بخصمه حتى يوقعه فيما يكره.

٢- والمكر، والكيد هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصـم فـيما يكـره من حيث لا يشعر.

فقد تضمنت النصوص الصريحة من القرآن والسـنة الصـحيحة إثبـات صـفات المكر والكيـد والخـداع والاسـتهزاء والسـخرية وغيرهـا مـن صـفات الأفعـال الاختيارية فتثبت لله تعالى على النحو الذي جاءت به مع مراعاة أمور :

الأول: أن الله تعالى لم يصف نفسه بها مطلقاً وإنما وصف بها نفسه في مقابلـة مـن فعل ذلك متجرءاً عليه سبحانه مؤذ ياً بها لأوليائه عـلى وجـه الجـزاء فهـو تعـالى يفعل ذلك مع من يستحقه وهذا محمود في حقه. فهو سبحانه يفعل من ذلـك مـا يحمد عليه عدلاً منه وحكمة.

=

وقوله: ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥، ١٦].

وصف الله بالعَفْو والمَغْفِرة والرَّحمة والعِزَّة والقُدْرة

وقوله: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا [1] قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء: ١٤٩]، ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ [1] رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

الثاني: وإذا كان لا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقاً ولا يجوز أن يشتق لـه منهـا اسماً لأن ذلك لا يدل على المدح مطلقاً والأسماء تدل على الكمال المطلق.

(١) فائدة: العفُوُّ من أسماء الله تعالى الذي له العفو الشامل الـذي يقتضي مغفـرة مـا صدر من العصاة من الذنوب خصوصاً إذا أتوا بأسباب المغفـرة مـن الاسـتغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة والعفو صفته فلولا عفوه تعالى مـا تـرك عـلى ظهرها من دابة وهو تعالى عفو يحب العفو عن عباده ويحـب مـنهم أن يسـعوا في الأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه، ومـن كمال عفوه أن المسرفين إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صـغير وكبـير وأنـه جعـل الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب مـا قبلهـا والجمعـة إلى الجمعـة، والعمـرة إلى العمرة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن ما اجتنبت الكبائر فجعل تبـارك وتعالى هذه الأعمال الصالحة أسباباً لعفوه عن ذنوب عباده.

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) [المنافقون: ٨]، وقوله عن إبليس: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢].

---

(١) فائدة: من أسمائه سبحانه الغفور ومعناه ذو المغفرة، والمغفرة ـ صفته ـ ومما يشاركهما في المعنى من أسمائه تعالى «الستير» فكلها دالة على الستر ووقاية شر الذنوب، فالغفور سبحانه هو الساتر للذنب الماحي له وإذا غفر الله الذنب زالت عقوبته فتفسير الغفار بالستار تقصير في معنى الغفر فإن المغفرة = معناها وقاية شر الذنوب بحيث لا يعاقب على الذنب فمن غفر ذنبه لم يعاقبه عليه وأما مجرد ستره فلا يكفي لأنه قد يستره ويعاقبه عليه في الباطن ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً لم يغفر له وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب. فإنه ما من ذنب إلا وله عقوبة شرعية أو قدرية فإن لم يغفر للعبد كان عرضة لعقوبة ذنبه وإن ستره الله في الدنيا كان عرضة لعقوبته في الآخرة لقوله ﷺ «وَمَنْ سَتَرَهُ اللهُ فَذَلِكَ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ» فلا يسلم العبد من عقوبة ذنبه إلا بالمغفرة ولذا قال تعالى عن نفسه ﴿ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فقرن الله تعالى بين هذين الاسمين لأنهما دالان على معنى متشابه. ففي المغفرة زوال المكروب وآثار الذنوب، وفي الرحمة حصول المطلوب والله تعالى غفور أي كثير المغفرة على الدوام وهو سبحانه رحيم أي كثير الرحمة وكثرة فمن رحمهم رحمن.

(٢) فائدة: صفة العزة: من أسماء الله تعالى الثبوتية العزيز وقد جاء في مواضع كثيرة من القرآن الكريم وهو يتضمن صفة العزة وهي من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى ومن معانيها القوي الشديد والغالب الذي لا يغلب والذي =

إثبات الاسم لله ونَفي المِثل عنه

وقوله: ﴿ تَبَٰرَكَ[1] ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ ....

لا مثل له وهو معز أوليائه، وكثرة وروده دليل على إثبات صفة العزة لله تعالى ثبوتاً قطعياً وعلى الوجه اللائق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وأخبر تعالى عن نفسه بقوله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾ وصفة العزة لها ثلاث معاني:

الأول: عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين.

= الثاني: عزة الامتناع فإنه سبحانه هو الغني بذاته عن جميع خلقه فلا يحتاج إلى أحد ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه ولا نفعه فينفعونه بل هو النافع الضار، المعطي المانع.

الثالث: عزة القهر والغلبة لكل الكائنات فهي كلها مقهورة لله تعالى خاضعة لعظمته منقادة لإرادته فجميع نواصي المخلوقات بيده لا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) فائدة: في قوله ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ﴾: تبارك فعل ماضي مأخوذ من البركة، والبركة: لغة النماء والزيادة، والتبريك الدعاء بالبركة ومعنى تبارك: تعاظم أو علا وارتفع شأنه وهذا اللفظ لا يطلق إلا على الله تعالى ولا يستعمل إلا بلفظ الماضي ففي الآية إثبات أن اسم الله تعالى مبارك تنال معه البركة وهذا يستلزم كمال صفاته وسعة كمالاته فإنه إذا كان مستحقاً للإجلال والإكرام كما قال تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨ ﴾ لزم أنه يكون متصفاً في نفسه بما يوجب ذلك =

فالإجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحب والحمد فهو سبحانه صاحب الجلال والعظمة الذي لا شيء أجل منه ولا أعظم منه وهو سبحانه الذي يُكْرَمُ عما لا يليق به فهو مكرم من عباده وقيل الذي يكرم عباده الصالحين بأنواع الكرامة في الدنيا والآخرة وقد فسر التبارك بعدة معاني كلها مما يدخل في معنى عموم لفظه فهي من تفسير التنوع، منها: تعالى، وارتفع، وتعاظم، وتقدس، وتمجد، والذي تجئ البركة من قبله وتحل بذكر اسمه، وقيل: تبارك في ذاته وبارك فيمن شاء من خلقه
= وهذا أحسن الأقوال وهو قول الحسين بن الفضل فتباركه سبحانه صفة ذات له وصفة فعل ولعل المراد من قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ﴾ الإشارة إلى تجدد الكمالات الاختيارية التابعة لمشيئته وقدرته فإنها تتجدد على وفق حكمته فالخلو منها قبل اقتضاء الحكمة لها لا يعتبر نقص ووجودها عند اقتضاء الحكمة لها تجدد كمال. والبركة المضافة إلى الله تعالى نوعان:

الأول: بركة هي صفته تضاف إليه إضافة الصفة إلى موصوفها كالرحمة والعزة والفعل منها ﴿ تَبَارَكَ ﴾ ولا يقال ذلك لغيره سبحانه فإنه لا يصلح إلا لله عز وجل فإنه المُبارِكُ ومن جعل الله البركة فيه فهو المُبَارَكُ قال تعالى عن المسيح بن مريم عليه السلام قال: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾.

الثاني: بركة هي فعله والفعل منها بارك الشيء وفيه وعليه والمفعول منها مبارك وهو ما جعله الله كذلك فكان مباركاً بجعل الله تعالى البركة فيه.

.... ﴿وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[1] [الرحمن: ٧٨].

وقولـــه: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

وقولـه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا[2] وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقـرة: ٢٢]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) فائدة في التبـارك: إذا وصف الله بها فمعناه تعالى وتعاظم وإذا وصف بها اسـمه فمعناه أن البركة تكون باسمه فإذا صاحب اسمه شيئاً مباركـاً أي حلـت البركـة بذكر اسمه فإن اسمه سبب للبركة في الشيء إذا صحبه فتحل الذبيحة معه وتحرم بدونه وتصح الطهارة مع ذكر اسمه ولا تصح إذا لم يذكر على أحد القـولين، ولا يضر الشيطان ولذا قدر بجماع ذكر عليه اسم الله تعالى.

(٢) فائدة في نفي الند عن الله تعالى: قال تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي أنه تعالى لا ند له من خلقه يستحق ما يستحقه. والأنداد: جمع ند: وهو المثـل المناوئ المضاد الذي يستحق أن يعطى ما يستحقه الله تعالى من صفته أو حقه فإن الله تعالى هو الإله الحق الذي يجب أن يوحد ويفرد في خصائصـه وحقـه فكـما أن الله سبحانه متفرد في الخلق والملك والتدبير فلا شريك له في ذلـك ولا سـمي لـه يستحق اسمه وهو تعالى واحد في أوصافه وكمالاته لا مثل له فهو واحد في إلهيتـه وعبادته فلا ند له يستحق أن يعبد معه أو من دونه فيجب أن يوحـد الله تعـالى في =

نفي الشَّريك عن الله تعالى

وقولـــــه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾[1] [الإسراء: ١١١]، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[2] [التغابن: ١].

عبادته فلا يجعل له ند من خلقه في ألهيته وعبادته قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾.

(١) فائدة في نفي الشريك في الملك والولي من الذل: قال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ الآية فنفى سبحانه عن نفسه أن يكون له شريك في الملك أو ولي من الذل وذلك لكمال ملكه وكمال غناه وكمال حاجة الخلق إليه، وكمال عزته = وغناه. فليس نفي الولي عنه سبحانه مطلقاً وإنما فيها نفي الولي من الذل، فإنه تعالى لا يوالي أحداً لذاته، بل هو العزيز بنفسه ومن كان يريد العزة فلله العزة جميعاً وإنما يوالي سبحانه عباده المؤمنين نعمة منه ورحمة وحكمة وإحساناً وجوداً وفضلاً وكرماً لا حاجة منه سبحانه إلى العباد وسائر الخلق فإنه تعالى الغني الحميد.

(٢) فائدة في تسبيحه تعالى: قال تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ الآية، وقال تعالى ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، وفي الآية الأخرى ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ و قال تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فسبحان اسم مصدر من التسبيح الذي هو التنزيه والمباعدة عن السوء. ففي =

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ١، ٢].

تسبيحه تعالى نفسه تنزيه له وتباعده عن شرك أهل الشرك وسوء وصفهم لله تعالى، وفي ذكر تسبيح المخلوقات لله تعالى، وفي الآية دلالة على أن جميع المخلوقات تسبح الله سبحانه أي تنزهه وتقدسه وتسبيحه تعالى يتضمن نفي صفات النقص عنه، وإثبات ما يلزم ذلك من إثبات كماله وعظمته، فكان في التسبيح تعظيم له مع تبرئته من السوء. ولا شك أن جميع المخلوقات والأشياء في السموات والأرض تسبح بحمد ربها وتشهد له بكمال العلم والقدرة والعزة والحكمة والتدبير والرحمة قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وهي تسبحه بلسان الحال أي بخضوعها له ونفاذ أمره فيها وما في وجودها من الحكمة وما فيها من بديع الصنعة وتسبحه ويسبحه أهل الإيمان وسائر المخلوقات غير الكفار بلسان المقال لقوله عن الملائكة عليهم السلام ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وعن أهل الإيمان ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ وعن سائر المخلوقات = ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وقال عن داود عليه السلام ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي سبحي معه.

وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾(1) عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ .... عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢]، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾(2) [النحل:

---

(١) فائدة: قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ الآية: فأخبر سبحانه بعدم وجود إله معه ثم أوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة وهو قوله ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾، وبيان ذلك:

١- أنه إذا تعددت الآلهة فلابد أن يكون لكل منهم خلق وفعل وهذا غير واقع لأنه لو وجد ذلك لاقتضى التنافر بين أجزاء العالم مع أن المشاهدة تثبت أنه ليس في الخلق تفاوت بل فيه انسجام وانتظام.

٢- أو أن يعلو بعضهم على بعض وذلك يقتضي أن يكون الإله العالي هو الإله وحده، فلما تقرر من واقع الخلق لدى العقلاء أنه لم ينازع الله تعالى في خلقه وملكه أحد، ولم يضاده في تدبيره الكوني لخلقه وملكه أحد، دل ذلك على وجوه إفراد الله تعالى في إلهيته وإخلاص العبادة له، والكفر بكل معبود معه أو من دونه.

(٢) فائدة: القرآن مملوء من إبطال أن يكون شيء من المخلوقات يماثل الله تبارك وتعالى في شيء مما هو مختص به إبطالاً لما عليه المشركون الذبن يمثلون المخلوقين بأحسن الخالقين العادلون برب العالمين.

=

٧٤]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

إثبات استواءِ الله على عَرْشِهِ

وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾(١) [طه: ٥] في سبعة مواضع:

فالذي أنكره الله تعالى على المشركين أن جعلوا لله نداً من خلقه يعبدونه كما يعبدون الله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ فأنكر هذا التشبيه والتمثيل عليهم الذي هو أصل عبادة الأصنام. وقال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ فحمد سبحانه نفسه وأثنى عليها بما له من صفات الكمال المبرأة من كل نقص وعيب وأنه سبحانه الغني بذاته عما سواه فغناه سبحانه وصف ذاتي له فلا ند له ولا شريك ولا معين وأعظم ما عليه المشركون قبل بعثه النبي ﷺ هو دعوى الشريك لله والولد والقرآن مملوء من تنزيهه سبحانه عن هذين الوصفين فتنزيهه عن المثل والولد يجمع كل التنزيه. وأكثر الشرك في بني آدم من القول بأن له ولدا ولذلك كان التنزيه عنه أكثر لإبطال هذه الدعوى المتضمنة لأعظم التنقص لله عز وجل.

(١) **فائدة في العلو لله تعالى**: الله تعالى هو العلي الأعلى بجميع معاني العلو الثلاثة وهي:

=

الأول: علو القهر والسلطان، فقد اتفق الناس على أن الله تعالى عالٍ على كل شيء قدير عليه بمعنى إنه قاهر له، قادر عليه متصرف فيه كيف شاء ، ومتى أراد قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾.

الثاني: علو القدر وهو علوه تعالى عن كل عيب وتنزهه عن كل نقص، أو وصف لا يليق بجلاله وعظمته فإن له تعالى الكمال المطلق ـ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ـ من كل وجه وبكل اعتبار قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ وقال تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ وقال سبحانه ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴾.

الثالث: علو الذات: وهو علوه سبحانه بذاته على جميع خلقه وهذا النوع هو الذي خالفت فيه المعطلة حيث أنكروا علو الله تعالى على خلقه علواً ذاتياً. فأنكروا أن يكون الله تعالى في العلو وأنكروا بناءاً على ذلك أن يكون الله في السماء ـ أي على السماء ـ وأن يشار إليه بأنه فوق السموات، وأنكروا استواء الله على العرش وقد رد علهم أهل السنة والجماعة وقرروا بالأدلة القطعية علو الله تعالى على خلقه بذاته وأنه مستو على عرشه فوق سماواته منفصل عنهم وقد دلت على علو الله تعالى على خلقه وفوقيته أدلة لا تخفى شهرة ولا تحصى كثرة فدل عليه القرآن والسنة وإجماع السلف والعقل والفطرة.

= أ – فمن أدلة القرآن :

١ – النصوص المصرحة بفوقيته قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ وقال سبحانه عن الملائكة ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾.

=

٢- إخباره تعالى بصعود الأشياء وعروجها إليه ونزولها منه كقوله تعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ .

٣- تصريحه برفع بعض خلقه إليه كقوله تعالى عن عيسى ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

٤- تصريحه تعالى بعلوه المطلق الدال على جميع أنواع العلو ذاتاً وقدراً وأفعالاً قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ وقوله ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ فالعلي والأعلى هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه.

٥- تخصيصه بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض كقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ وقوله ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾.

٦- تصريحه تعالى بأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه.

٧- إخباره سبحانه بأنه استوى على العرش الذي هو أعلى مخلوقاته وقد جاء ذلك في سبعة مواضع على وجه التمدح والثناء بذلك على نفسه وقد جاءت مقرونة بما يبهر العقول من صفات كماله ونعوت عظمته وجلاله وعظيم تدبيره وحكمته في أفعاله فكل هذه الأنواع من النصوص تدل دلالة قطعية على إثبات علوه سبحانه على خلقه وأنه تعالى فوق عرشه بائن من خلقه فليس بين طبقات السماء ولا في الأرض ولا تحت الأرض ولا في كل مكان كما تزعم أهل الأهواء القائلون بالباطل تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً .

ب- ومن السنة الصحيحة :

١- سؤال النبي ﷺ للجارية «أَيْنَ اللهُ؟ فَقَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» فأقر النبي ﷺ الجارية على قولها: (إن الله في السماء» وشهد لها بالإيمان فهو من أصرح الأدلة على إثبات العلو لله تعالى والفوقية وإبطال ما قالته المعطلة الجهمية.

٢- وقال ﷺ «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» [رواه مسلم].

٣- وكانت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها في حياة النبي ﷺ تقول مفتخرة على أزواج النبي ﷺ «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ» [رواه البخاري].

ج- إجماع السلف :

فقد نقل ابن عبد البر عن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل ـ أي التفسير ـ قولهم في تأويل قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم أحد ممن يحتج به. وقال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به النصوص من صفاته.

د- وقد دل العقل السالم من الهوى والشبهة على أن الله تعالى فوق العالم، فإن العلو أشرف الجهات ولا يكون الله تعالى إلا عالياً فإن علوه سبحانه من صفاته الذاتية التي لا ينفك سبحانه وتعالى عنها.

هـ- وعلو الله تعالى فوق جميع خلقه أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم فإنه ما من محتاج إلى الله تعالى مضطر إليه إلا ويجد من نفسه ـ عند الدعاء والرجاء ـ ضرورة أن يتوجه إلى الله تعالى في تحصيل حاجته ببصره وقلبه إلى السماء فلقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين على أن الله تعالى فوق السماء، فهو أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم =

وغيرهم، ولا عجب في ذلك فإن من ابين ما شهدت به الشرائع والعقول والفطر علو الله تعالى بذاته فوق جميع العالم، فلم ينكر ذلك إلا من = تلوث فهمه بعلوم ضلال اليونان والرومان وتلوثت فطرته بالتعطيل والإعراض عن هدي القرآن وما جاء به النبي ﷺ من بيان وفتن بشبهة وزخرفة داعي هوى من جند الشيطان.

والمنكرون لعلو الله تعالى واستواءه على العرش هم:

أ - معطلة الجهمية القائلون بأن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين له، ولا محايث له فينفون عن الله الوصفين الذين لا يخلو موجود من أحدهما وهذا تناقض منهم يعلم به فساد قولهم ومعتقدهم والمعطلة في هذا الباب هم المعتزلة ومن وافقهم.

ب- حلولية الجهمية القائلون بأن الله تعالى حال في كل مكان وبطلان مذهبهم أظهر من أن يرد عليه.

ج- طائفة من أهل الكلام والتصوف القائلون باجتماع النقيضين في حق الله تعالى فيقولون إنه بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان.

فائدة : مما علم بالضرورة أن الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقراً إلى سافله فالله تعالى قد جعل الهواء فوق الأرض وليس مفتقراً إلى حملها والسحاب فوق الهواء وليس مفتقراً إلى أن يحمله ما تحته والسموات فوق الأرض وليست محتاجه إلى حمل الأرض لها فإذا كان هذا في الخلق فالعلي الأعلى الغني عما سواه المفتقر إليه ما عداه أولى بالغني عن جميع خلقه فهو أولى بالعلو مع الغنى عمن تحته كائناً من كان فإنه الخالق وما سواه مخلوق وإنه رب كل شيء ومليكه فإذا كان فوق جميع خلقه فكيف يقال أنه مفتقر إلى عرشه أو خلقه والأصل أن =

في سورة الأعراف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال في سورة يونس ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. وقال في [سورة الرعد: ٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال في [سورة طه: ٥] ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾، وقال في [سورة الفرقان: ٥٩] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾، وقال في [سورة السجدة:٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال في [سورة

علو الله على خلقه وصف لازم له كما أن عظمته وعزته وكبرياءه وقدرته أوصاف لازمة له سبحانه.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على علو الله تعالى على جميع خلقه وأنه فوق كل شيء ولا شيء فوقه تعالى بل هو تعالى عليّ بذاته مستوي على عرشه فوق جميع الخلق وعلوه تعالى من لوازم ذاته فهو تعالى مستوي على عرشه بائن من خلفه غني عن عرشه وجميع خلقه والعرش وما دونه من الخلق = في غاية الافتقار والاضطرار إليه فاستواؤه تعالى على عرشه لا عن حاجة إليه بل لحكمة يعلمها وهو تعالى محيط بكل شيء إحاطة عظمة وسعة وعلم وقدره.

الحديـــــــد: ٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[1].

---

(١) فائدة في الاستواء على العرش:

أ – في سبع آيات محكمات كريمات أثبت الله تعالى لنفسه استواءه على عرشه على ما يليق بجلاله كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ ولفظ استوى في اللغة إذا عدى يعلي فمعناه العلو والارتفاع.

ب– وثبت بالسنة الصحيحة المعلومة بالاضطرار أنه ﷺ أخبر الأمة أن ربهم الذي يعبدونه فوق كل شيء وأنه على العرش الذي هو سقف السموات.

ج– وأجمع السلف الصالح على إثبات تلك الصفة لله تعالى فإنه كما أنه متقرر لديهم أن الله تعالى بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فمتقرر لديهم أن الله تعالى فوق العرش فوق جميع المخلوقات فهم مثبتون لعلو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه يعتقدون أن ربهم الذي يعبدونه فوق العرش واستواء الله على عرشه هو علوه عليه.

فصفة الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر وهي من الصفات الفعلية فالاستواء فعل فعله سبحانه بمشيئته وقدرته وهو مختص بالعرش لا يضاف إلى غيره من المخلوقات فالله تعالى مستوي على عرشه بالكيفية التي يعلمها جل شأنه فالاستواء معلوم من حيث المعنى ـ وأنه العلو والارتفاع ـ بمقتضىـ اللغة التي =

إثبات عُلُوِّ الله على مخلوقاته

وقوله: ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾(١) [فاطر: ١٠]، ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا

نزل بها القرآن، ونطق بها الرسول ﷺ، وفهم بها الصحابة ـ أهل اللسان ـ كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ وتلقى هذا المعنى عن الصحابة التابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم وعامة المسلمين.

فائدة: والعرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات ولا يقدره قدره إلا الله تعالى قال ﷺ «عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ» متفق عليه، وقال ﷺ «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَسقفُهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» [رواه البخاري].

(١) فائدة في رفع الأعمال إلى الله تعالى:

١ - ثبت في الصحيح أن الله تعالى يرفع إليه عمل اليوم قبل الليل ـ يعني في آخر اليوم ـ وعمل الليل قبل النهار ـ يعني في آخر الليل ـ فهذا رفع يكون في اليوم والليلة.

٢ - أما الأسبوع فإن أعمال العباد تعرض على الله تعالى كل يوم أثنين وخميس ولذا كان النبي ﷺ يصومهما يزين عمله عند عرضه يقول فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

=

﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

إثبات معية الله لخَلْقه

قولـــــه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾ [1] [الحديد: ٤].

٣- ويرفع عمل العام في شعبان ـ كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ عـن شـعبان إن شهر ترفع فيه الأعمال فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم.

٤- وإذا انقضى الأجل رفع عمل العمر كله وطويت صحيفة العمل.

(١) فائدة: المعية لغة: مطلق المقارنة والمصاحبة:

- وشرعاً: صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ولا يعلـم كيفيتهـا إلا هو سبحانه كسائر صفاته وقد دل على معية الله تعالى لخلقه كتاب الله تعالى، وسنه =

نبيه ﷺ ، وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم في ذلك أحد يعتد بقوله.

١ - فمن القرآن قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وقوله تعالى عن نبيه ﷺ ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ .

فدلت الآيات السابقة على أن المعية نوعان :

= فالأولى: معية عامة لعموم الخلق مقتضاها العلم والإحاطة.

والثانية: معية خاصة بالمؤمنين مقتضاها كلاءته سبحانه وحفظه وتسديده وتثبيته ونصره لمن كان الله معه.

٢ - وقد جاءت السنة مواطأة للقرآن ـ في تقرير المعية ـ مؤكدة له :

أ - ففي المعية العامة يقول ﷺ «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك أينما كنت».

ب - وفي الخاصة يقول ﷺ للصديق «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا».

٣ - وقد أثبت ذلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين حيث لم ينقل عنهم حرف واحد يخالف ما دل عليه القرآن والسنة بل أطبقوا على تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ إنه معكم بعلمه وذلك أن حكم هذه المعية العامة ومقتضاها أنه =

وقولـــــه: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ

تعالى مطلع عليهم شهيد عليهم ومهيمن عليهم. أما المعية الخاصة فقد دل سياق آياتها على أن المقصود بالمعية فيها ـ إضافة إلى العلم والقدرة ـ أنه تعالى معهم بتأييده ونصره، وأنه يجعل للمتقين مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فهو تعالى معهم بالنصر والتأييد والإعانة ونحو ذلك. فهذه المعية التي يثبتها أهل السنة والجماعة ـ ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مخالطة للخلق مختلطة بهم، أو أنه بذاته في كل مكان أو أن وجوده عين وجود المخلوقات ونحو ذلك من مقالات الجهمية والصوفية وغيرهم من الزنادقة ـ بل هي معية لائقة بجلال الله تعالى وعظمته لها مقتضى يفهم من سياق النص ومناسبته.

* فائدة الفرق بين المعية العامة والمعية الخاصة:

١ – العامة مقتضاها العلم والإطلاع والإحاطة بجميع الخلق، والخاصة مقتضاها الكلاءة والحفظ والتأييد والتسديد والرعاية والنصر.

٢ – العامة صفة ذاتية والخاصة من الصفات الفعلية.

= ٣– العامة تأتي في سياق التخويف والمحاسبة والحث على المراقبة والخاصة تأتي في سياق التثبيت واللطف والهداية والتسديد والعناية.

٤ – العامة تأتي مطلقة، والخاصة تأتي مرتبة على الاتصاف بالأوصاف التي يحبها الله ويرضاها.

مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠](١).

---

(١) فائدة: المعية: لا تدل على المخالطة وإنما تدل على مطلق المصاحبة كما قال رسول الله ﷺ «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ» فالله تعالى مع المسافر في سفره ومع أهله في وطنه وهو تعالى فوق عرشه وقال ﷺ «إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ» إلخ. فإثبات معية الله تعالى لعبادة لا يقتضي الحلول والاختلاط وذلك من وجوه:

الأول: أن كلمة مع في اللغة في جميع مواردها إنما تفيد المصاحبة والموافقة وهكذا استعمالها في الكتاب والسنة لا يوجب اتصالاً واختلاطاً كقوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ وقوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فإذا كان استعمالها في اللغة والكتاب الذي نزل بها. ولسان الرسول المكلف ببيان ما نزل إليه من ربه في كون المخلوق مع المخلوق لا يدل على اختلاط ذاته بذاته فهي أن لا تدل على ذلك في حق الخالق أولى وأحق.

= الثاني: إجماع السلف الصالح من الأمة وأئمتها على أن الرب تبارك وتعالى مستوي على عرشه بائن من خلقه وليست المخلوقات على عظمتها شيئاً بالنسبة له تعالى.

الثالث: أن الله تعالى فطر الخلق ناطقهم وبهيمهم على أن ربهم فوقهم بائن منهم، فعلم الخلق بأن الله فوق العالم علم ضروري فطري ولهذا فإنهم كلهم إذا حزبهم =

وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]،

أمر من الشدة أو حاجة وجهوا قلوبهم إلى السماء لعلمهم أن الله فوقهم فوجهوا قلوبهم إلى الله يدعونه.

الرابع: أن الله قد جعل المعية الخاصة في القرآن أكثر من العامة ولو كان اختلاط ذاته بالمخلوقات لكانت عامة لا تقبل التخصيص فإنه قد علم أن قوله تعالى ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ يراد تخصيص النبي ﷺ وأبا بكر دون عدوهم من الكفار.

الخامس: أن القمر وهو من أصغر مخلوقات الله السماوية وهو فوق الناس وهو مع المسافر وغير المسافر ولا يشك عاقل أنه غير مخالط للناس مع كونه معهم حقيقته فدل على جواز هذا في حق الله تعالى وأولى فإن الله تعالى ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أحق أن يكون مع خلقه دون مماسة أو اختلاط لأنه تعالى﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فلا يلزم من كون الله تعالى مع خلقه أن يكون مختلطاً بهم لأنه تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ .

السادس: أن العلو من صفات الله تعلى الذاتية التي لا ينفك سبحانه وتعالى عنها. فكيف يجوز شرعاً أو عقلاً أنه إذا كان مع أحد من خلقه معية عامة أو خاصة أن يكون مخالطاً أو مماساً لما كان معه.

السابع: أنه خلاف ما فسر السلف الصالح المعية به فإنهم فسروا المعية العامة بالعلم والإحاطة والخاصة بالكلاءة والحفظ والتأييد والتثبيت.

الثامن: أنه يلزم منه لوازم باطلة وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

إثبات الكلام لله تعالى

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾[1] [الأنعام: ١١٥].

---

(١) فائدة: صفة الكلام لله تعالى صفة جليلة من صفات كماله قد دل عليها القرآن وصحيح السنة وإجماع السلف.

أ – فمن القرآن قوله تعالى ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ الآية وقوله سبحانه ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وقوله عز وجل ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

ب– ومن السنة قوله ﷺ «أَلا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي» وفي حديث الإسراء والمعراج قال الله تعالى «قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»، «مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ» [متفق عليه].

= ج– وقد نص السلف والأئمة من بعدهم على أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وكما شاء بما شاء.

=

وهذه الصفة ـ كسائر الصفات الثابتة في الكتاب والسنة ـ لا يلزم من إثباتها أي لازم باطل، بل كلام الله تعالى لا يماثل كلام المخلوقين كما أنه تعالى لا يماثل في شيء من صفاته صفات المخلوقين فصفة الكلام من صفات الله تعالى الذاتية من حيث تعلقها وقيامها بذاته واتصافه بها، ومن صفاته الفعلية ـ من أحاد الكلام ـ أي من حيث تعلقها بقدرته ومشيئته فإذا كان من المعلوم أن الله تعالى لم يزل ولا يزال كامل القدرة نافذ المشيئة علم أنه لم يزل ولا يزال متكلماً بما شاء إذا شاء متى شاء. لأن الكلام من أعظم صفات الكمال التي يستحيل نفيها عن الله تعالى وكلماته غير متناهية فلا تفنى ولا تبيد. قال تعالى ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ ولم يقدر الله تعالى حق قدره من زعم أن كلامه مخلوق من جملة المخلوقات التي تنتهي وتصور هذا القول كاف في رده والقول ببطلانه فهو تعالى متكلم متى شاء كيف شاء بما شاء ولم يزل ولا يزال بصفة الكلام معروفاً وموصوفاً وكلامه تعالى من صفاته الذاتية الفعلية ـ فهو غير مخلوق ـ كسائر صفاته وأفعاله. قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ وقال تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ ذلك لأن أمره كلام ونهيه كلام وعطاءه كلام ومنعه كلام وخلقه كلام وإفناءه كلام فالكلام متعلقاته كثيرة :

١ – يتكلم تعالى بما يتعلق بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وقد أخبر تعالى بذلك وأبدى وأعاد.

=

وقولـــــه: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾(١) [النســـــاء: ١٦٤]، ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ ....

٢- ويتكلم بما يتعلق بجميع مخلوقاته بالأحكام القدرية والأحكام الشرعية والأحكام الجزائية.

= ❊ وكلماته كلها حق وعدل وصدق فإنه تعالى يقول الحق صدقاً في الأخبار ومن أصدق من الله قيلاً وعدلاً في الأحكام والأوامر والنواهي ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون قال تعالى ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقًا وَعَدۡلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ ﴾.

(١) فائدة: كلام الله تعالى نوعان:

الأول: الكلام الكوني القدري الذي تكون به الأشياء قال تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾. ومن السنة حديث النواس بن سمعان وفيه قال ﷺ «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَنَادَوْا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ». فهذا الكلام به توجد الموجودات وبه تفني إذا شاء الله، وبه يحصل تدبير الملك وأمر الخلق، وصرف الرزق، عطاؤه سبحانه كلام ومنعه كلام، وهذا مستمر ولا يحصيه إلا الله تعالى. قال تعالى ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾.

=

.... ﴿لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥]. ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ(١) ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ﴾ ....

الثاني: كلام ديني شرعي وهو القرآن وما خاطب به الله تعالى نبيه ﷺ غير القرآن كخطابه تعالى له ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ونحو ذلك مما صح من الأحاديث القدسية وهذا قد تم وكمل وانقطع بوفاة النبي ﷺ.

(١) فائدة: الأدلة على أن القرآن كلام الله، وأن كلام الله الكوني لا ينفد.

١ - قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾.

٢ - قوله ﷺ «أَلا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي» حتى قوله «فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي».

٣- قوله ﷺ «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهَّ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» فدل على أن كلام الله غير مخلوق فإنه لا يستعاذ بمخلوق إذ الاستعاذة بالمخلوق شرك.

=

٤- قوله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ = عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فذلك دليل على أن كلام الله غير مخلوق لأن كل مخلوق ينفد ويبيد.

٥- لم يقل أحد من السلف أن القرآن مخلوق أو قديم بل الآثار متواترة عنهم بأنهم يقولون القرآن كلام الله فروى أحمد في المسند عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ».

٦- قال تعالى ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات فإن من لابتداء الغاية فإن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله تعالى كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محلاً كان صفة له كقوله ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ وإنكار هذه الصفة وتحريفها ـ أعني صفة الكلام لله تعالى ـ أمر خطير وكفر عظيم لوجوه:

الأول: أنه في الحقيقة إبطال للشرع أي الأمر والنهي والثواب والعقاب لأنه تكذيب للمرسلين فأنهم عليهم الصلاة والسلام إنما أخبروا الأمم بكلام الله الذي أنزل إليهم فالإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده والكفر بكلام الله تعالى كفر بالرسالة فإن الذين كفروا بالرسل نوعان:

أ- نوع كفر بكلام الله الذي أنزله على رسله من البشر ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾، ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾.

ب- نوع كفر برب متفرد بالخلق والملك والتدبير مثل فرعون وقومه.

=

.... يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل: ٧٦].

إثبات تنزيل القرآن من الله تعالى

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ

الثاني: أنه إنكار للقدر وإبطال له ومعناه تعطيل الملكوت من رب عليم حكيم يدبر ملكه وخلقه بعلمه وحكمته فيضع الأمور مواضعها اللائقة بها ويشرع لعباده ما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الثالث: وإذا بطل الشرع والقدر، كان لازم ذلك إنكار وجود الله تعالى.

بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

إثبات رؤية المؤمنين لربِّهم يومَ القيامة

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[1] [ق: ٣٥].

---

(١) فائدة: في رؤية الله تعالى يوم القيامة: جاءت النصوص القرآنية وتواترت الأحاديث النبوية والآثار السلفية وأجمع أهل الحق على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وأنها أعظم نعيم أهل الجنة فاتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون على ثبوتها في دار القرار وأنكرها أهل البدع من الخوارج وأهل الاعتزال ومن أدلة ثبوتها :

١ - من القرآن قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال سبحانه ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وقل جل ذكره في وصف المكذبين بيوم الدين ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فيرجى لمن آمن بيوم الدين وما فيه من النظر إلى وجه رب =

العالمين أن يحظى بذلك النعيم العظيم ويخشى على من كـذب بـبعض مـا في يـوم الدين أن يحرم من النظر إلى رب العالمين.

٢- ومن السنة ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن صهيب ﷺ عن النبـي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيـدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الْآيَـةَ لِلَّـذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ» وخرج ابن جرير وابن مردوية عن أبي موسى الأشعري ﷺ عـــن النبـــي ﷺ قـــال: «إن الله يبعـــث يـــوم = القيامة منادياً ينادي بصوت يسمع أولهم وأخرهم يا أهل الجنة إن الله وعـدكم الحسنى والزيادة، والحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجـه الـرحمن» قـال الإمـام البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب الرؤية هـذا تفسـير قـد اسـتفاض واشـتهر بـين الصحابة والتابعين ومثله لا يقـال إلا بتوقيـف، قلـت: يعنـي ثبـوت ذلـك عـن الرسول ﷺ لأن هذا بيان ثواب فلا يقال بالرأي وأخرجه الإمام اللالكائي بسنده إلى ابن معين رحمه الله قال عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤيـة كلهـا صـحاح وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال «فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَـا فَـافْعَلُوا» قال العلماء رحمهم الله المعنى ترون ربكم رؤية ينزاح معهـا الشـك وتنتفـي معهـا الريبة كرؤيتكم القمر لا ترتابون ولا تمترون فيه. قال علي بن المديني سألت عبـد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قـرأ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ قال الرؤية فقلت إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون =

هذه الأحاديث أن الله ينزل إلى السماء الدنيا وأن أهل الجنة يرون ربهم فحدثني ابن المبارك بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال أما نحن فقد أخذنا دنينا هذا عن التابعين والتابعون أخذوه عن أصحاب النبي ﷺ فهم عمن أخذوه قال عبدالعزيز بن أبي الماجشون ولم يزل يملي لهم ـ يعني المبتدعة وأضرابهم ـ الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه الكريم ونضرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً يُنْظِرُ بها وجوههم دون المجرمين، ويفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر = إليهم ولهم عذاب أليم. وقال الإمام أحمد: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي وقال أيضاً: وقد بلغه أن رجلاً قال إن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً وقال: من قال أن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر أو فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائناً من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ وقال تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ وقال: من كذب بالرؤية فهو زنديق، وقال أيضاً: نؤمن أي بالرؤية ـ وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيها ولا نرتاب. وقال من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وقال أبو عبد الله أيضاً: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ رددنا على الله أمره قال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

=

فمن الإيمان بالله تعالى وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر. الإيمان بأن الله تعالى يرى يوم القيامة عيانا بالأبصار كما ترى الشمس صحواً ليس دونها سحاب وكما يرى القمر ليلة البدر لا ضيم في رؤيته وذلك لأمور:

الأول: لأن القرآن العظيم دل على ذلك في أكثر من موضع ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

الثاني: ولما تواتر عن النبي ﷺ في الإخبار برؤية المؤمنين لربهم كقوله ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» في رواية البخاري «يرونه عياناً».

الثالث: وللآثار الواردة بإثبات الرؤية الله تعالى يوم القيامة عن الصحابة والتابعين وهي كثيرة وشهيرة.

= الرابع: أن من سمع النصوص الواردة في الكتاب والسنة وتأملها علم بالاضطرار أن النبي ﷺ أخبر برؤية المعاينة وأن الصحابة ﷺ قد عقلوا ذلك وفهموه وصدقوه وفرحو به.

والحكمة في تشبيه رؤية المؤمنين لربهم ـ برؤية الشمس والقمر ليس دونها سحاب ـ لأنه ليس في الموجودات المرئية في الدنيا أعظم من هذين ولا يمكن أن يراها الإنسان أكمل من الرؤية التي وصفها النبي ﷺ فهو تشبيهه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى أجل وأعظم من أن يحاط به وهذا يبين أن المؤمنين يرون ربهم أكمل ما يعرف من الرؤية.

وقولــه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

وهذا الباب في كِتاب الله كثير، مَن تدبَّر القُرآن طالبـاً للهـدى منـه، تَبيَّن له طريق الحقِّ [1].

---

(١) فائدة: اتفق أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم ـ مهتدين بالكتاب والسنة على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعين رأسه في الدنيا ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا وعلى هذا دلت النصوص:

١ – فمن القرآن قوله تعالى ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ فلو كان ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج لصرح الله تعالى بها فإنها ـ أي رؤيته ﷺ لله لو رآه ـ أعظم كرامة يكرمه بها وأدل دليل على نبوته ورسالته ولكن الله تعالى أضاف الرؤية للآيات الكبرى.

٢ – أنه ثبت عن النبي ﷺ قوله «إنَّ اللهَ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» وقال في أهل الجنة «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» ... إلخ. =

=

الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من السُّنَّة

٣- وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه ﷺ رأى ا÷ بعينه.

٤- وما جاء من الأحاديث مما فيه رؤيته ﷺ ربه إنما كان في المدينة كقوله ﷺ «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» الحديث رواه الترمذي وكذلك حديث أم الطفيل وحديث ابن عباس ونحوها مما فيه رؤيته ﷺ لربه إنما كان بالمدينة مما يدل على أنها رؤية منام وأما الإسراء والمعراج فكان بمكة قبل الهجرة ولم يثبت في جميع أحاديث الرؤية الرؤية بالعين ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالها أنهم قالوا: إن محمداً ﷺ رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم أمران:

أ – إما إطلاق الرؤية واحتمال الرؤية بالعين ترده النصوص.

ب- وإما تقييدها بالفؤاد وهذا لا يفيد الرؤوية بالعين وبهذا يثبت خطأ قول من يزعم أن الله يرى في الدنيا من أهل العلم إما لعدم صحته عنه أو لعدم صراحته أو لمعارضة النصوص له وكذلك خطأ ضلال الصوفية ونحوهم الذي يزعم أحدهم أنه يرى الله بعينه في الدنيا فإن هؤلاء ضلال مخالفون للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وما يدل على بطلان هذا :

١- قوله تعالى لموسى عليه السلام لما سأل ربه الرؤية ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ يعني بعينيك في الدنيا.

٢- ولأنه لم يثبت للنبي ﷺ رؤية ربه بعيني رأسه فغيره أولى.

٣- وقوله ﷺ : «فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَأَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تَمُوتُوا».

ثمَّ في سُنَّة رسول الله صلى ؛ فالسُّنَّةُ تُفسِّر القرآن وتبيِّنه، وتَدُلُّ عليه، وتُعبِّر عنه [1] .

(١) فائدة في السنة مع القرآن :

أتى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ الحكمة ـ التي هي السنة ـ وهي وحي ثاني مثل القرآن قال تعالى ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الآية وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» وبذلك تحقق تكميل الدين وبيان القرآن للمسلمين الذي وعد الله تعالى به بقوله ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾، والذي جعله الله تعالى مهمة نبيه ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية. وقد علم النبي ﷺ أمته السنة كما علمها القرأن، وهي تتناول كل ما تكلم به النبي ﷺ غير القرآن من أنواع الخبر والأمر، والعفل، والترك، وغير ذلك من وجوه التشريع الواردة في السنة والتي تكميل للقرآنو بيان له، فقد اتفق الصحابةوالتابعون بشأن السنة على أمور:

الأول: أن النبي ﷺ قد بين للناس لفظ القرآن ومعناه، فمعاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون ـ اتفاقاً ظاهراً ـ مما توارثته الأمة عن نبيها ﷺ كما توارثت ألفاظ القرآن.

الثاني: أن بيان النبي ﷺ للقرآن تحقق بأقواله، وأفعاله، وتقريره لما فعل بحضرته أو في زمانه موافقاً لما جاء به، وإنكاره ما كان من تصرفات الناس أو أقوالهم مخالفاً ما جاء به وبيان وجه الصواب فيه قال حسان بن عطية رحمه الله كان جبرائيل عليه السلام ينزل بالقرآن والسنة على النبي ﷺ ويعلمه إياها كما يعمله القرآن.

=

= الثالث: أن الأحاديث الثابتة الصحيحة عن النبي ﷺ ـ عند أهل العلم ـ تأتي مع القرآن على أحوال هي من وجوه بيان السنة له فمنها:

أ – أنها تأتي مقررة لنصوص القرآن مؤكدة على معناها فتكون مواطأة للقرآن دالة على مثل ما دل عليه.

ب- تأتي مفسرة لمجمل القرآن مبينة له موضحة للمراد به.

ج- تكشف معانيها كشفاً مفصلاً كما فسر النبي ﷺ الزيادة في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بأنها النظر إلى وجه الله الكريم.

د- تخصيص بعض عموم القرآن كقوله تعالى ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ حيث قال ﷺ «إِنَّ اللهَّ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ».

هـ- وقد تأتي السنة بأحكام ليست في القرآن كما صح أنه ﷺ «نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ الطَّيْرِ وَعَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ».

و- تدفع عنه الاحتمالات كما فسر النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بأنه الشرك.

ز- جاءت الأحاديث في باب الاعتقاد وفي باب الأحكام موافقة للآيات مع زيادة تفسير لمجمل الآيات، أو تأتي مع التفسير بزيادات لا تعارض القرآن.

كل ذلك لتقوم حجة الله به ويعلم أن الرسول ﷺ قد بين ما أنزل إليه من ربه وأنه بلغ ألفاظه ومعانيه بياناً حصل به العلم اليقين وقامت به الحجة وزالت به المعذرة وأوجب العلم والعمل وبينهما ﷺ أحسن البيان وأوضحه، ومما ينبغي التأكيد عليه في هذه المناسبة ما يلي:

١ – لم يصح عن الرسول ﷺ ما يخالف القرآن أو يخالف صريح العقل وإنما قد يفهم بعض الناس ذلك.

=

وما وَصَف رسول الله ﷺ به ربَّه عزَّ وجلَّ من الأحاديث الصِّحاح التي تلقَّاها أهلُ المعرفة بالقَبُول، وَجَبَ الإيمان بها كذلك .

فمن ذلك :

ثبوت النُّزول الإلهي إلى سماء الدنيا على ما يَليق بجلاله

مِثْلُ قوله ﷺ : «يَنْزِلُ (١) رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ......

٢- وقد يكون في الحديث زيادة على القرآن وهي زيادة بيان.

٣- لذا قد أجمع أئمة الإسلام على الأخذ بحديث الرسول ﷺ إذا صح ولم يأت بعده حديث آخر ينسخه.

٤- ولا يعارضون الحديث الصحيح بالقرآن ولا بالإجماع ويعلمون أن هذه المعارضة من أبطل الباطل. =

٥- ولهذا كان من طريق أئمة الإسلام أنهم يستدلون بالآيات القرآنية ثم يتبعونها بالأحاديث النبوية الموافقة لها كما هي طريقة البخاري رحمه الله تعالى.

(١) فائدة: في صفة النزول:

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ... الخ» وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلِ ...الخ» قال الذهبي رحمه الله إسناده قوي والأحاديث في إثبات النزول الإلهي متواترة من وجوه كثيرة عن نحو ثمانية =

وعشرين صحابياً مما يدل على أن النبي ﷺ كان يبلغ ذلك في كل موطن ومجتمع، فصفة النزول صفة فعلية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة القاطعة التي لا مطعن في ثبوتها ودلالتها.

= لذا فأهل السنة والجماعة يعتقدون ثبوت تلك الصفة لله تعالى ـ كسائر صفات كماله ـ على ما يليق بجلاله وعظمته وبالكيفية التي يعملها، فلا يمثلون الله تعالى بخلقه، ولا يعطلون الله تعالى من صفات كماله، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، فالقول في النزول كالقول في الاستواء وغيرها من الصفات الإلهية :

* معناه معلوم، وكيفه مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فثبت النزول كما جاء، فنقول: ينزل كيف يشاءه فثبت النزول ـ كما أخبر النبي ﷺ ـ ونكل كيفيته إلى الله تعالى.

* ولا يقال: ينزل أمره، أو تنزل ملائكته، فإن النبي ﷺ أسند النزول إلى ربه، ليبلغ عباده ويبين لهم عن شأنه، ويحضهم على طلب فضله ورحمته ومغفرته، وبذلك يتبين بطلان هذا التحريف.

* وكذلك فإن النبي ﷺ أخبر عن ربه أنه يقول: هل من سائل فأعطيه ..الخ والأمر الملائكة لا يصدر ولا يصلح منهم هذا القول فإنه لا يليق إلا بالله عز وجل.

* والنبي ﷺ بهذا الخبر يحضنا على اغتنام هذه الفرصة ولم يرد أن يحدث عندنا شبهة أو استشكال أو قولاً على الله ـ والله أعلم ـ.

.... مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» متفق عليه [1].

إثبات أنَّ الله يَفْرَح ويَضحك ويَعجَب

وقوله ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا [2] بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ ....

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) **فائدة في إثبات صفة الفرح لله تعالى:** صفة الفرح من الصفات الفعلية الخبرية التي انفردت بها السنة دون القرآن، فهي ثابتة بالسنة الصحيحة التي تلقاها أهل السنة بالقبول، وانعقد إجماعهم على إثباتها استناداً على الأحاديث الصحيحة مثل قوله ﷺ «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاةٍ ..الخ» متفق عليه فأهل السنة يؤمنون بهذا الحديث لصحته عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد قال ذكل مبلغاً عن ربه ومبيناً لرسالته وناصحاً لأمته ويثبتون هذه الصفة العظيمة لله تعالى ولا يتعرضون لها بالتأويل بل يعتقدون الفرح صفة حقيقية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئه ولا مثل له تعالى فيه كسائر صفاته، ومن لازمه الرضا عن العبد التائب وقبول توبته، فسببه كمال رحمته وإحسانه بتوفيقه لعبده للتوبة وغايته إتمام نعمته وفضله على العبد التائب المنيب ففرحه تعالى لمحبته الخير لعبده مع غناه عنه ولكن لأن رحمته سبقت غضبه فأهل السنة والجماعة يثبتون الفرح لله تعالى كما ورد في هذا الحديث ونحوه على المعنى اللائقة بجلال الله وعظمته إثباتاً ولا تكييف ولا تمثيل ونزهونه تعالى عن مماثلة خلقه تنزيها بلا تعريف ولا تعطيل وقد انكرتههذ الصفة =

.... مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» متفق عليه [1] .

وقوله ﷺ : «يَضْحَكُ [2] اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَـدُهُمَا الآخَـرَ كِلاهُمَـا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» متفق عليه [1] .

المعطلة كالخوارج والمعتزلة والأشعرية كغيرها من صفات الفعل لتوهم أنه يلـزم من إثباتها التمثيل ويرد عليها بأمور:

الأول: أن ما أخبر الله به ورسوله عن الله تعالى لا يلزم ومنه التمثيل .

الثاني: أن الفرق بين الخالق الكامل من كـلام وجـب البكـار اعتبـار والمخلـوف الناقص معلوم فإذا كنتم تثبون لله تعالى الإرادة من إتيان والقوى الحيـاة والعلـم والقوة بينهما ولا يلزم إثبات ذلك المماثلة فلهـا لا يلـزم مـن أدبـأ النـزول الفـرح والضحك وغيرها من الصفات الفعلية المماثلة فإذا أضيفت الصـفة في الله تعـالى فله منها ما يليق بكماله وعظمته وجلاله وإذا أضيفت إلى المخلـوق فلـه منهـا مـا يليق بحاله.

(١) البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(٢) فائدة : صفة الضحك :

الضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال ولذا لما سمع أبو رزين العقـيلي قوله ﷺ «فَيَظَلُّ يَضْحَكُ قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا» ففهـم بفطرتـه أن ضحك الرب دليل على إحسانه وإنعامه فالضـحك وصـف مقـرون بالإحسـان والإنعام ولهذا قال أبو رزين: لن نعدم من ربك يضحك خيراً، وقد أقره النبي ﷺ على ذلك فالضحك من صفات أفعال الله تعالى التي تليـق بجلالـه وعظمتـه ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه ولا يشبهه فيها أحد من خلقه فإنه كصفات أفعـال. =

وقوله: «عَجِبَ [٢] ربُّنا من قُنوط عبادهِ وقُرْب غِيَرِه ....
.... يَنْظر إليكم أَزلين [٣] قَنِطين، فيظلُّ يضحك يعلم أن فَرَجَكم قريب» حديث حسن[١] .

فصفة الضحك من صفات الأفعال الاختيارية وأحاديث الضحك متواترة عن النبي ﷺ .

(١) البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) فائدة: في إثبات صفة التعجب أو العجب لله تعالى :

وهي صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ على قراءة الضم للتاء أي أن الله تعالى هو المتعجب وهي قراءة صحيحة وثبت في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ أحاديث عديدة تلقاها السلف الصالح بالقبول والتسليم والإثبات على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، ولا يلزم من إثباته أي لازم باطل. فإن العجب الموصف به الله تعالى ليس مقروناً بجهل، بل موجبه خروج الشيء عن نظائره تعظيماً له، والله تعالى يعظمهم ما هو عظيم، إما العظمة سببه، أو العظمة والمراد بقوله في الحديث «وَقُرْبِ غِيَرِهِ» أي قرب تغييره من الجدب إلى الخصب. ولم يثبت أهل الكلام الصفات الاختيارية ومنها: الفرح والضحك والعجب لتوهمهم النقص في إثباتها، ولعدم إثباتهم الصفات الاختيارية معتمدين في ذلك على أوهام كاذبة وظنون فاسدة.

(٣) قال أبو عبيده في «غريب الحديث» ٢/ ٢٦٩: في حديث النبي: «عجب ربكم من إلّكم ـ بكسر الألف ـ وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» ورواه بعض المحدّثين: من أَزْلكم. وأصل الأزل: الشدة، قال: وأراه المحفوظ، فكأنه أراد: من شدة يأسكم وقنوطكم. فإن كان المحفوظ قوله: من إلّكم ـ بكسر الألف ـ فإني =

إثبات الرِّجْل و القَدَم لله سُبحانه

وقوله ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رجله ـ وفي رواية: عليها قَدَمَهُ»[2] ....

أحسبها: من ألكم ـ بالفتك، وهو أشبه بالمصادر. يقال منه: أل يؤل ألا وألـلا وأليلا، وهو أن يرفع الرجل صوته بالدعاء ويجأر فيه.

(١) أخرجه أحمد (١٦١٨٧)، وابن ماجه (١٨١)، وغيرهما، من طريق وكيع بن حُدُس عن عمه أبي رزين، جهّله ابن قتيبة وابن القطان والذهبي.

(٢) فائدة في إثبات القدم أو الرجل لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته:

ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لا يَزَالُ يُلْقَى فِيها» ـ الضمير فيها يعود إلى جهنم ـ وتقول هل من مزيد حتى يعض فيها رب العالمين قدمه الخ. وفي رواية أبي هريرة: «يُقَالُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا» الخ. وفي رواية حتى يضع رجله «فَتَقُولُ قَطْ قَطْ». ففي هذا الحديث وما جاء في معناه إثبات القدم، والرجل سوهما بمعنى ـ صفة لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وإبطال تأويل المحرفة ـ نفاق الصفات ـ الذين زغموا أن القدم عبارة عن إذلال جهنم، أو ما يقدم لها من أهل العذاب، أو هو مخلوق اسمه القدم، ونحو ذلك من وجوه التحريف الباطل الذي يتبين للعاق المنصف أنها من تحريف الكلم عن مواضعه والقول على الله تعالى وفي دينه بلا علم فإنهم جعلوا صفات الله تعالى أنواعاً من = المخلوقات وردوا معانيها الحقيقية الصحيحة بضروب التحريف الباطل ويرد عليهم من وجوه:

=

.... فَتَقُولُ قَطْ قَطْ» (١) متفق عليه(١).

الأول : أن النبي ﷺ قال ذلك على وجه البيان لما أنزل إليه من ربه والنصح لأمته ولو كان الكلام على غير ظاهرة ومقتضاه لكان تعمية وغشا لا تقوم به المحجة وهذا ينزه عنه معنى النبوة.

الثاني : أن الأصل في الكلام أن يحمل على ظاهره وحقيقته إلا بدليل يجب الرجوع إليه لا دليل.

الثالث : أن قول ﷺ قدمه لا يفهم منه إلا الحقيقة لا هذا الذي اخترعوه.

الرابع : أن قول ﷺ فينزوي بعضها إلى بعض، ودليل على أنها تنضم على من فيها فتضيق بهم من دون أن يلقي فيها شيء.

(١) فائدة: في الرد على من زعم أن إثبات الصفات الخبرية والفعلية تجسيماً وتمثيلاً لله تعالى بالمخلوقات والمحدثات وأنه بنفيها وتأويلها ينزه الله تعالى عن ذلك فيرد عليه من وجوه:

الأول: أن لابد للمعطل المحرف من أن يقر بوجود الله تعالى فإنه إن أنكر وجود الله كفر فإذا أقر بوجود لائق بالله تعالى قيل فالإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة كذلك.

الثاني: كما أن ذات الله تعالى ليست كفر وأن خلقه فكذلك صفاته ليست كصفات خلقه فإن القول في الصفات فرع عن القول في الذات.

الثالث: من أثبت لله تعالى بعضاً من الصفات بحجة أنها صفات معنوية تدرك بالعقل فيقال له إن باب الصفات واحد فإثبات نوع ونفي آخر تحكم لا دليل عليه فالكل وارد في الشرع المطهر على وجه الإثبات.

=

إثبات النِّداء والصوت والكَلام لله تعالى

وقوله : «يقول الله تعالى: يَا آدَمُ يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ» متفق عليه (٢) .

وقوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» (٣) .

إثبات عُلُوِّ الله على خَلْقه

الرابع: أنه لا يمكن للعقل السليم أن يقر بموجود مجرد عن جميع الصفات فإن إثبات ذات مجردة من الصفات لا وجود له في الإعيان وأنها قد يوجد في بعض الأذهان وهذا لا عبرة به.

= الخامس: أن لازم الحق حق وإثبات الصفات مع تنزيه الله تعالى عن مماثلة المعدومات أو المحدثات حق فلازمه إثبات ذات منصفة بما يليق بها من الصفات حق.

السادس: أن لازم المذهب ليس بمذهب فإذا لزم من إثبات الصفات تمثيل الله تعالى بالمحدثات فهذا ليس مذهباً للمثبتية بل إنه يصرحون بنفيه ويتبرؤون من أهل السنة والجماعة.

السابع: أن نفي الصفات يلزم منه تشبيه الله تعالى بالمعدومات فهم شر من الممثلة إذ جمعوا من التمثيل والتعطيل فإنهم مثلوا الله تعالى بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله فجمعوا بين التمثيل والتعطيل ورد خبر الله تعالى عن نفسه والقول عليه وفي نبيه ﷺ .

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك.

(٢) البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) (٦٧) من حديث عدي بن حاتم.

واستوائِه على عَرْشه

وقوله في رُقْيَة المريض: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ .... رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأَ» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره [1] .

وقوله : «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» حديث صحيح[2].

وقوله: «والعَرْشُ فوق الماء، والله فوقَ العرش، وهو يَعلَم ما أنتم عليه» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره [3] .

وقوله للجارية: «أَيْنَ اللهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رواه مسلم [1] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٧) و (١٠٣٨) من حديث أبي الدرداء.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، وأحمد (١١٠٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ١/ ٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤ واللاكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٠١ من حديث عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه. ونسبته لأبي داود وهم، والذي في «سنن أبي داود» (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم، وفيه «إن الله فوق عرشه، وعرضه فوق سماواته».

إثبات مَعيَّة الله تعالى لخَلْقه وأنها لا تنافي عُلُوَّه فوق عرشه

وقوله: «أَفضَل الإيمان: أن تَعلَمَ أنَّ الله مَعَك حيثُما كنتَ» حديث حسن [٢].

وقوله: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي فَإِنَّ اللهَّ قِبَلَ وَجْهِهِ فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلا عَنْ يَمِينِهِ وَلْيَبْزُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى» متفق عليه [٣].

وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنْ الْفَقْرِ» رواه مسلم [٤].

---

(١) مسلم (٥٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩١) من حديث عبادة بن الصامت. = وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ٦٠، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير» وقال: تفرد به عثمان بن كثير، قلت (أي الهيثمي): ولم أَرَ من ذكره بثقة ولا جرح.

(٣) البخاري (٤١٦)، ومسلم (٥٥٠) من حديث أبي هريرة، وأخرجا نحوه عن غير واحد من الصحابة.

(٤) مسلم (٢٧١٣).

وقوله ﷺ لما رَفَع الصحابة أصواتَهم بالذِّكْر: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» متفق عليه (١).

إثبات رؤية المؤمنين لربِّهم يومَ القيامة

وقوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» متفق عليه (٢).

موقف أهل السُّنَّة من الأحاديث التي فيها إثبات الصفات الرَّبَّانيَّة

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخبر فيها رسولُ الله ﷺ عن ربِّه بما يُخبر به، فإن الفِرقة الناجية ـ أهل السُّنَّة والجماعة ـ يؤمنون بذلك؛ كما يؤمنون بما أخبرَ الله به في كتابه، مِن غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

تكْييفٍ ولا تمثيل، بل هو الوَسَطُ في فِرَق الأُمّة، كما أن الأمّة هي الوَسَط في الأُمم [1] .

مكانة أهل السُّنَّة والجماعة
بين فِرَق الأُمَّة

فهم وَسَطٌ في باب صفات الله بين أهل التَّعطِيل: الجَهْمِيَّة، وأهل التَّمثِيل: المُشبِّهة [2] .

---

(١) فائدة في وسطية أمة الإسلام بين الأمم : لا يشك منصف أن المسلمين متوسطون في جميع الأمور لأخذهم بالكتاب والسنة فلا ينحرفون إلى غلو كالنصارى ولا إلى جفاء كاليهود. فإن اليهود حرموا بعض الطيبات والنصارى استحلوا بعض المستخبثات والمسلمون أحلوا كل طيب وحرموا كل خبيث وإن اليهود شددوا في الطهارة حتى كان منهم من يشق ثوبه أو يقطع من جلده اتقاءً للنجاسة وإن النصارى تهاونوا بالنجاسات حتى جامعوا الحائض حال حيضها والمسلمون توسطوا فاتقوا النجاسات إلا من ضرورة وتطهروا دون تكلف وتنطع فصاروا كما قال الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وكما قال سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ .

(٢) فائدة في وسطية أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته: فأهل السنة والجماعة يصفون الله تعالى ويسمونه بما وصف وسمى به نفسه في كتابه وسنه نبيه ﷺ من غير تعطيل ـ أي نفي لما دلت عليه ألفاظ النصوص من حقائق ومعاني ـ ومن غير تمثيل لله تعالى فيها بخلقه فأثبتوا لله تعالى الأسماء الحسنى وصفات الكمال، ونزهوا الله سبحانه عن الشركاء الأنداد والأمثال وصفات العيب والنقص وما =

وهم وَسَطٌ في باب أفعال الله بين الجَبْرِيَّة والقَدَرِيَّة وغيرهم [1] .

هو من خصائص الخلق فإثباتهم بلا تمثيل، وتنزيههم بلا تعطيل. وأما أهل التعطيل فجفوا فألحدوا في أسماء الله وصفاته وآياته وعطلوا حقائق ما نعت ووصف الله به نفسه حتى شبهوا الله بالمعدومات وأما أهل التكييف والتمثيل فغلوا في الإثبات فضربوا لله الأمثال وشبهوه بالمخلوقات.

(١) **فائدة**: في وسطية أهل السنة والجماعة في أفعال الله تعالى: آمن أهل السنة والجماعة بقدرة الله تعالى على كل شيء ونفاذ مشيئته في كل أمر فأثبتوا صفات الله الفعلية وأفعاله تعالى الاختيارية وأنها تابعة لمشيئته وحكمته، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجزه شيء عن إنفاذ مراده فإنه تعالى خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات، وله الملك وحده، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء فضلا، ويضل من يشاء عدلاً، له الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وهذا لأنه تعالى ليس له نظير فإن الله تعالى ـ ليس كمثله شيء ـ لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله، وكذلك آمن أهل السنة أن العبد له قدرة، ومشيئة، وعمل وأنه مختار :

= أ – فلم يسلبوه القدرة والإرادة ويجعلوه مجبوراً لأن المجبور من أكره على خلاف اختياره.

ب– ولم يجعلوه مستقلاً بمشيئته وإرادته وخالقاً لفعله.

ج– بل يعتقدون أن الله تعالى قد جعل العبد مريداً مختاراً لما يفعله ـ فهو مختار مريد ـ والله خالقه وخالق اختياره فإن الله تعالى قد كمل خلقه، إذ خلق فيه إرادةً وقدرةً، وهداه السبيل وأرسل الله الرسول ومنحه العقل ليختار ما يشاء من الطاعة والمعصية والإيمان أو الكفر: والله سائله ومجازيه على اختياره وفعله هل =

وفي باب وَعيد الله بين المُرْجِئَة والوَعيديَّة من القَدَريَّة وغيرهم[1].

استعمل ما منحه الله من الإرادة والقدرة فيما خلقنا لـه أم لا وهـذا محـل الثـواب العقاب فبذلك توسط أهل السنة في باب أفعال الله تعالى بين طائفتين:

الأولى: المعتزلة المتكلمين بالقدر الذين لا يؤمنون بقـدرة الله الكاملـة، ومشـيئته الشاملة وخلقه لكل شيء بل جعلوا العبد خالقاً لفعله مـع الله مسـتقلاً بمشـيئته دون الله فأفعاله واقعة بغير مشيئته الله وإرادته غالبة لإرادة الله تعالى الله وتقـدس عن قول هؤلاء المجوس علواً كبيراً إذ وصفوا الله بالعجز ونقص الملك.

الثانية: الجبرية النـافين لحكمـة الله ورحمتـه وعدلـه والمعارضـين للشرـع بالقـدر المفسدين لدين الله، المبررين لمعصية العصاة حيث زعموا أن العبـد لا إذ جعلـوا العبد ليس لـه مشـيئةً ولا قـدرةً ولا اختيـاراً ولا عمـلاً فعطلـوا الأمـر والنهـي وصاروا بمنزلة المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا مـن شيء فاحتجوا على المعاصي بالقدر، ووصفوا الله بالظلم وإنها لإحدى الكبر.

(١) فائدة : وسطية أهل السـنة والجماعـة في مسـألة الوعـد والوعيـد: مسـألة الوعـد والوعيد من أكبر مسائل العلم التي خالف فيهـا أهـل الأهـواء وبيـان ذلـك أن = أهل السنة والجماعة توسطوا في الوعد والوعيد فقالوا إن العاصي معصية كبيرة دون الشرك أهلٌ لعقاب الله له ـ الذي توعد به أهل معصيته ـ لتعديه لحـدود الله تعالى وانتهاكه حرمته، وأهلٌ لعفو، الله تعالى لما معه من أصل الإيـمان والتوحيـد ولما جاء من نصوص العفو والرحمة والشفاعة لأهل الأيمان فلم يُؤَمِّنُـوا العـاصي من عقوبة الله ولم يقولوا بخلوده في النار خلود المشركين والكفار ومرد ذلـك إلا مشيئة الله تعالى فإن عاقبه فعدل، وإن عفى عنه ففضل فصار أهـل السـنة بـذلك وسطاً بين طائفتين هما :

=

أ – الوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة القائلون بتخليد عصاة المسلمين في النار المكذبون بنصوص الوعد والشفاعة.

ب- المرجئة المزكون للفجار والجاحدون لما جاء من نصوص الوعيد لأهل المعاصي الكبار.

فائدة:

أ – في بيان شبهة الوعيدية في رد نصوص الوعد والقول بنفاذ الوعيد في عصاة أهل القبلة والرد عليهم:

قالت الوعيدية: وهم الخوارج والمعتزلة ـ إن نصوص الوعيد أخبار محكمة تتناول الكفار وأهل الكبائر ممن يدخل في عمومها فوجب بها على مرتكب الكبيرة ـ إذا مات ولم يتب منها ـ العذاب ونصوص الوعد لا تتناول إلا مؤمناً وهؤلاء ليسوا بمؤمنين فقالوا بنفاذ الوعيد في عصاة أهل الإيمان.

والرد على هذه الشبهة بما يلي :

أولاً: أن أهل السنة لا يُؤَمِّنُونَ مرتكب الكبيرة من عقوبة كبيرته فإن مرد ذلك إلى مشيئة الله تعالى..

ثانياً: وهم أيضاً لا يوجبون العذاب على كل من أتى كبيرة لأن العذاب قد يصرف عنه بسبب أو بأخر مما جعله الله من أسباب صرف العقوبة عن مستحقيها من أهل الإيمان.

ثالثاً : وهم لا يحكمون لمسلم عاص مما دون الكفر بعينه بالنار لأجل كبيرة عملها وهي دون الشرك بالله فإن أمر ذلك إلى الله تعالى.

رابعاً: وكذلك لا يقولون بتخليد عاص من أهل القبلة في النار إذ مرد ذلك إلى الله تعالى فإنهم عباده وهو أعلم بهم وأحكم وأرحم. =

=

خامساً: بل يجوز عندهم أن يعفو الله تعلى عن صاحب الكبيرة ويدخله الجنة بلا عذاب فإن الله يغفر لمن يشاء فضلاً ويعاقب من يشاء عدلاً.

سادساً: وقد يسر الله سبحانه وكثر أسباب العفو والرحمة والمغفرة مثل :

* الحسنات الماحية.
* المصائب المكفرة.
* الدعاء الصالح.
* الشفاعة.
* محض رحمة الله تعالى.

ب- في بيان شبهة المرجئة في قولهم بتأمين العصاة من العذاب والرد عليهم:

قالت المرجئة: نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافراً والعصاة أهل الكبائر ليسوا بكفار ـ فعند ـ المرجئة أن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان وأن الإيمان لا يتعبض وأن مرتكب الكبيرة غير معرض للوعيد لكمال إيمانه فمرتكب الكبيرة عندهم غير فاسق فلا يضره ذنب ومذهبهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة وذلك من وجوه:

الأول: أن القرآن والسنة قد اشتملا على نصوص الوعد والوعيد وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه.

الثاني: نصوص الوعد مشروطة بعدم الكفر المحيط للعمل ونصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة فإن من تاب توبة صحيحة تاب الله عليه.

الثالث: نصوص الوعد مشروطة بأن يكون عمل الشخص خالصاً لوجه الله تعلا موافقاً للسنة التي جاء بها المصطفى ونصوص الوعيد مشروطة بأن لا يكون مرتكب الخطيئة ناسياً أو مخطئاً باجتهاد أو متأولاً فإن الله تعالى عفى عن الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا.

وفي باب أَسماء الإيمان والدِّين بين الحَرُورِيَّة والمُعْتَزِلَة، وبين المرجِئَـة والجَهْمِيَّة [1].

(١) فائدة في وسطية أهل السنة والجماعة في أسماء الإيمان والدين: أسماء الإيمان والدين مثل مؤمن، ومسلم، وفاسق، وكافر ونحوها فيرى أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين ـ الذين ارتكبوا شيئاً من كبائر الذنوب ما دون الشرك والكفـر ـ معهـم بعض الإيمان وأصله، وفيهم شيء من الفسق والظلم الذي ينقص الإيمان، فليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وهم متعرضـون للوعيـد بالعقوبة بحسب ما ارتكبوه من الذنوب، فيقولون عن الواحد من هؤلاء: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان، فـلا يعطونـه اسـم الإيـمان المطلـق الكامل، ولا يسلبونه الإيمان بالكلية ويخرجونـه مـن الإسـلام، بـل يرجـون لـه الثبات على الدين والثواب على العمل والتوبة من المعصية والزلـل لمـا معـه مـن الإيمان ويخافون عليه من الزيغ وعقوبة الله عـز وجـل لمـا ارتكبـه مـن الفسـوق والعصيان فأهل السنة والجماعة وسط في هذا الباب بين طائفتين :

أحدهما: الوعيدية وهم الخوارج الحرورية والمعتزلة القدرية الذين يخرجون من لم يتب من أهل الكبائر من المسلمين بالكبائر من الإسـلام وينفـون عـنهم الإيـمان ويخلدونهم إذا ماتوا ولم يتوبوا في النار ثم اختلفت الطائفتان في حكمه في الدنيا:

أ – فقالت الخوارج هو كافر خارج من الإسلام حلال الدم والمال لردته.

١ – وقالت المعتزلة هو بمنزلة بين المنزلتين لا هو كـافر ولا هـو مسـلم فوافقـت المعتزلة الخوارج على الحكم لا على الاسم. أما إذا مات من غـير توبـة فهـو عنـد الطائفتين خالد مخلد في النار.

=

وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرَّافضة والخَوَارج (1) .

الثانية: المرجئة والجهمية: فعندهما أن صاحب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان بل قالوا: إيمان الفساق كإيمان الأنبياء لأن الإيمان عندهم التصديق أو التصديق = مع القول وأن الأعمال ليست من الإيمان فلا تضر المعاصي ولا تنقصه وشبهتهم: أنه لما تقرر لديهم ـ ما وافقوا عليه أهل السنة والجماعة ـ أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان.

(1) فائدة في وسطية أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته ـ تعريف الصحابي: الصحابي هو كل من رأى أو لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك ـ وأهل بيت النبي ﷺ هم:

أ – أزواجه أمهات المؤمنين.

ب– قرابته من بني هاشم المسلمين.

يتولى أهل السنة والجماعة أصحاب النبي ﷺ وآل بيته فيحبونهم ويعظمونهم ويعرفون لهم فضلهم وفضائلهم من السبق إلى الإسلام وكمال الإيمان والهجرة والنصرة والمكانة من النبي ﷺ ووصية الله تعالى ونبيه ﷺ فيهم بالإتباع وحسن الإقتداء وترك آذاهم وسبهم، ورعاية حرمتهم وأنهم قدوة الأمة ونقلة الشريعة ولا يغلون في أحد منهم ولا يعتقدون عصمتهم من الخطايا بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولا يجفون أحداً منهم فلا يفسقونه فضلاً عن أن يكفروه أو يجدوا في صدورهم غلاً عليه بل يقولون ما اثنى الله به علي من جاء بعد الصحابة بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾

وبذلك صاروا وسطاً بين :

=

وجوب الإيمان باستواء الله على عرضه وعُلُوِّه على خَلْقه ومعيَّته لخَلْقه وأنَّه لا تنافي بينهما

وقد دخَلَ فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمانُ بما أَخْبَرَ الله به في كتابه، وتواتَر عن رسوله، وأجمع عليه سَلَف الأُمَّة؛ من أنَّه سبحانه فوق سماواته، على عَرْشِهِ عيٌّ على خَلْقِهَ، وهو سبحانه معَهم أينما كانوا، يعلَم ما هم عامِلُون، كما جَمَعَ بين ذلك في قوله :

أ – الغالية: كغلاة الشيعة من الرافضة وأشباهم المفضلة لعلي على أبي بكر وعمر ﷺ والغالين في أهل البيت وأعظمهم غلوا وأشدهم كفراً القائلون بإلهية علي أو بنبوته أو عصمته وعصمت آل بيته حتى يعطوهم شيئاً من علم الغيب والتصرف في الكون.

= ب– الناصبة الجفاة: وهم صنفان:

١ – الرافضة الغلاة في أهل البيت وستة نفر غيرهم من الصحابة فإنهم قد جفوا في حق بقية الصحابة فاعتقدوا أنهم قد فسقوا وظلموا وكَفَّرُوا الأمَّةَ بعدهم خصوصاً الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان وسبوهم ولعنوهم وربما كفروهم.

٢ – الجفاة من الخوارج والمعتزلة ونحوهم ـ من جفاة منظري بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة ـ ممن يطعن في الصحابة وينفي عدالاتهم وأعظم جفاءً المكفرون لعلي وعثمان رضي الله عنهما والمستحلون لدمائهما ودماء من والاهما والمستحلون لسبهما والقادحون في خلافتهما وإمامتهما.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ[1]

....

(١) فائدة في معنى «الاستواء» : روى البخاري عن أبي العالية رحمهم الله تعالى أنه قال في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي أرتفع. وروى عن مجاهد رحمه أنه قال في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي علا على العرش وروى ابن جرير رحمه الله بسنده إلى الربيع بن أنس بنحو ما قاله أبو العالية وروى اللالكائي بسنده عن بشر بن عمر قال سمعت غير واحد من المفسرين = يقولون ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ارتفع وقال ابن عبد البر رحمه الله الاستواء الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله عز وجل فقال ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ وقال ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ وقال ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ وقال الشاعر:

فأوردتهم ماءً بفيفا قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا الذي ذكره البخار وغيره من مفسري السلف في تفسير الاستواء بالارتفاع والعلو هو الذي يقوله ويعتقده عامة السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان وأئمة الهدى وهو الحق الذي دلت عليه النصوص وهو الذي فهمه العرب أهل اللسان لما خوطبوا به فأقروه فلم ينكروه ويقولوا بخلافة قال البخاري رحمه الله حدثنا عن يزيد بن هارون ـ رحمه الله ـ قال: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة ـ يعني أهل اللسان العربي ـ فهو جهمي وذلك أن لفظ الاستواء المعدى بإلى وعلا معناه العلو والارتفاع بإجماع السلف كما هو إجماع أهل اللسان من المسلمين وغيرهم، فليس =

من معانيه الاستيلاء أبدا فإن هذا التفسير المحدث أعني تفسير ألاستواء بالاستيلاء ـ لم يثبت عن أحد من أهل اللسان. ولم ينقل عن أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما نقله بعض من متأخري النحاة ممن سلك طريق الجهمية والمعتزلة ولم ينقلوه عن سلف من أهل اللسان يعتد بقوله. وإنما قالوه استنباطاً وحملاً منهم للفظة استوى على استولى، ولما سمع ذلك أئمة اللغة أنكروها غاية الإنكار، فقد سئل ابن الأعرابي وهو من أكابر أئمة اللغة ـ هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا تعرف العرب ذلك فالاستواء على العرش عند أهل السنة معناه الارتفاع والاستقرار في العلو وهو صفة حقيقية ثابتة لله تعالى لائقة بجلاله لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه فهو تعالى على العرش كما أخبر عن = نفسه قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وبنحو قوله قال غير واحد من أقران مالك وممن سبقه من السلف. فأهل السنة يؤمنون بخبر الله تعالى عن الاستواء ويردون علم ذلك إليه جل وعلا لأنه تعالى أخبر عن الاستواء ولم يخبر عن الكيفية فوجب على المؤمنين أن يصدقوا ربهم باستوائه على العرش، وحرم عليهم أن يصفوا أو يكيفوا استوائه لأن الله تعالى لم يخبرهم بذلك ولم تره العيون في الدنيا فتصفه بما رأت وحرم عليهم أن يقولوا عليه من حيث لا يعلمون.

.... ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ[1] يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) فائدة: في العرش: العرش ـ في كلام العرب ـ سرير الملك ومنه قوله تعالى ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ عن ملكة سبأ ذكر معنى ذلك الأزهري.

وأطلق كذلك ـ في اللغة ـ على سقف البيت ويجمع على عروش كما قال تعالى ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ فيستخلص من كلام أهل اللغة: أن العرش اسم للسرير المرتفع العظيم الذي يجلس عليه الملك ويطلق على السقف العالي الذي يستظل به وعرش الرحمن يطلق على معنيين:

أحدهما: مكان استوائه سبحانه.

الثاني: سقف المخلوقات فهو أعلى وأعظم مخلوق فكل المخلوقات تحته ودونه بل لا تذكر معه. قال الله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قال قتادة رحمه الله تعالى ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن = يخلق السماوات والأرض. وقال مجاهد رحمه الله في معنى الآية ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبل أن يخلق شيئاً وفي المسند عن أبي رزين العقيلي ﷺ قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء. وعماء: يروى بالمد والهمز وهو في كلام العرب ـ السحاب الأبيض الرقيق، ويروى العمى من عمى البصر ويراد به كل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمى والمعنى أنه حيث لا تدركه عقول =

بني آدم ولا يبلغ كنهه وصف، أي لا يدرى كيف ذلك العماء أي السحاب بصفة تحصره، ولا نعت يحده، ويدل عليه قوله تعالى ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ فالغمام في كلام العرب معروف أما الغمام الذي كان الله فيه قبل أن يخلق العرش ويأتي فيه يوم القيامة فنؤمن به ولا نكيف صفته والعرش الذي استوى الله تعالى عليه ـ على ما يليق بجلاله وعظمته ـ هو أكبر المخلوقات وأعظمها وقد اختصه الله تعالى بأن اختاره لاستوائه عليه قال تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي مالكه المتصرف فيه فأضافه سبحانه إليه لمزيد اختصاص وعناية ووصفه بأنه عظيم ـ فاختصه بخصوصية ليست لغيره من المخلوقات ليدل على أن مالك العرش العظيم مالك لكل مخلوق فإن مالك العرش العظيم مالك لما دونه من باب أولى قال ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم ـ الذي هو سقف المخلوقات ـ وجميع المخلوقات من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل فأقوال أهل التفسير متفقة على أن العرش العظيم هو السرير الذي استوى عليه الله تعالى الملك العظيم ذو العظمة الذي لا أعظم منه، استوى الله تعالى عليه مع غناه عنه وعن سائر = الخلق ولكن لحكمة أرادها جل وعلا، فالعرش جسم مجسم خلقه الله تعالى ثم استوى عليه وأمر الملائكة بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف حوله قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ وكما دلت الآيات المحكمات على أن العرش مخلوق استوى الله تعالى عليه بعد خلقه وتعبد ملائكته =

وليس معنى قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ : أنه مختَلِطٌ بالخَلْق؛ فإنَّ هـذا لا توجَبُه اللُّغَةُ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ......

بحمله والطواف به فإن الأخبار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ قد جاءت مؤكدة لدلالة الآيات وفيها زيادة بيان لأهل الإيمان كما ثبت في الصحيحين عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدٍ» يعني بن معاذ ﷺ . وقال ابن مسعود في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ العرش على الماء والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه. وقال أبو نصر السجزي رحمه الله تعالى ـ في الإبانة ـ وأئمتنا كسفيان، ومالك والحمادين، وابن عيينة، والفضيل، وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق متفقون عليأن الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا إلخ .. أ.هـ.

والنصوص ـ في ذكر العرش وأن الله تعالى مستوي عليه استواءاً حقيقياً ـ على ما يليق بجلاله وعظمته ـ كثيرة جداً، وقد آمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأتباعهم بذلك على أن ما دلت عليه النصوص على ظاهره ـ من حيث معناه بلا تمثيل ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تحريف فإن من قال بخلاف ظاهر النصوص فقد قال على الله تعالى وفي دينه بلا علم والله تعالى يقول ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾. قال البخاري رحمه الله يعني: إلا بما بين والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

.... ما فطر الله عليه الخلق، بل القَمَر آيةٌ من آيات الله من أَصغَر مخلُوقاتِه، وهو موْضُوع في السَّماء، وهو مع المَسافر وغير المسَافر أَينما كان.

وهو سبحانَه فوقَ عرْشِه، رقيبٌ على خَلْقِه، مُهيمِنٌ عليهم، مطَّلِع عليهم .. إلى غير ذلك من معاني رُبوبيَّته.

وكلُّ هذا الكلام الذي ذكره الله ـ من أنه فوقَ العَرْش وأَنَّه معنا ـ حَقٌّ على حقِيقَتِه، لا يحتاج إلى تحريفٍ، ولكن يُصان عن الظُّنون الكاذِبَة؛ مثل أن يُظَنَّ أنَّ ظاهر قوله: ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾، أن السَّماء تُظِلُّه أو تُقِلُّه، وهذا باطلٌ بإجماع أهل العِلم والإِيمان؛ فإنَّ الله قد وسِعَ كرسيُّه السَّماوات والأرض، وهو الذي يُمسِك السَّماوات والأرض أن تَزُولا، ويُمسِك السَّماء أن تقَعَ على الأرض إلاَّ بإذْنِه، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ﴾.

وجوب الإيمان بقُرْب الله من خَلْقه وأنَّ ذلك لا ينافي علُوَّ وفوقيَّته

وقد دخَلَ في ذلك الإيمانُ بأنَّه قريب مُجيب؛ كما جَمَعَ بين ذلك في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(١).

---

(١) سلف قريباً.

وما ذُكر في الكتاب والسُّنَّة من قُرْبه ومعيَّته لا ينافي ما ذُكِر من عُلُوه وفوقيَّته؛ فإنَّه سبحانه ليس كمِثلِهِ شيءٌ في جميع نُعُوتِه، وهـو عـليٌّ في دُنُـوِّه، قريب في عُلُوِّه[1].

وجوب الإيمان بأنَّ القرآن كلام الله حقيقية

ومن الإيمان بالله وكُتبه: الإيمانُ بَان القـرآن كـلامُ الله، منَـزَّل، غـيرُ مَخْلُوقٍ، منه بَدَأَ، وإليه يَعُود، وأنَّ الله تكلَّمَ به حقيقةً، وأنَّ هذا القرآن الـذي أَنزله على محمد ﷺ: هو كلام الله حقيقةً، لا كلام غيره.

ولا يجُوز إطلاق القَوْل بأَنَّه حِكَايَةٌ عن كلام الله، أو عِبـارة، بـل إذا قرأَهُ النَّاسُ أو كَتبوه في المصاحِفِ؛ لم يَخرُج بـذلك عـن أن يكـون كـلامَ الله

(١) فائدة: قـرب الله تعـالى مـن داعيـه وعابديـه ممـا دلـت عليـه الآيـات المحكمـة والأحاديـث الصـحيحة قـال تعـالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال ﷺ «إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَـدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»، إن الدعية تدعون أقرب إلى أحدكم مـن عنـق راحلتـه، وقـال ﷺ «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُـوَ سَـاجِدٌ» والأحاديـث في هـذا المعنـى كثـيرة فوجب إثبات قربه سبحانه ودنوه واعتقاد أنه على حقيقته على ما يدل عليه لفظـه على ما يليق بجـلال الله تعـالى وعظمتـه فإنـه سـبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقال سـبحانه ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ فلا يمثل الله تعالى بخلقه ولا يعطل من صفات كماله ولا يفسر قربه بغير معنى ظاهره الذي دل عليه لسان الشرع.

تعالى حقيقةً، فإنَّ الكلام إنَّما يُضَافُ حقيقةً إلى مَن قاله مُبتدِئاً، لا إلى مَن قاله مبلِّغاً مؤدِّياً.

وهو كلامُ الله؛ حروفُه، ومعَانيه، ليسَ كلام الله الحروف دُونَ المعاني، ولا المعاني دُونَ الحروف (١).

وجوب الإيمان برؤية المؤمنين لربِّهم يوم القيامة ومواضع الرؤية

وقد دخَلَ أيضا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبِهِ وبملائكته وبرسله: الإيمانُ بأَنَّ المؤمنين يَرَونه يومَ القيامةِ عِيَاناً بأَبصارهم كما يَرَون الشَّمسَ صَحْواً ليس بها سحاب، وكما يَرَون القَمَر ليلةَ البَدْر لا يُضَامُون في رُؤْيتِه، يرونَه سُبحانه وهم في عَرَصَات القِيامَة، ثم يَرَونه بعدَ دخول الجنَّة، كما يشاءُ الله تعالى (٢).

ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر (٣)

---

(١) سبق الكلام على أن القرآن من كلام الله عز وجل، وانظر الفائدة ص١٢٨.

(٢) سبق الكلام على إثبات أن الله تعالى يرى في عرصات القيامة وفي الجنة، وانظر الفائدة ص١٨٥.

(٣) **الركن الخامس: الإيمان باليوم الأخر:**

فوائد تتعلق بهذا الركن:

=

الفائدة الأولى : تعريف اليوم الآخر : اليوم الآخر ـ هو يوم القيامة ـ الذي تكون فيه أهوال خراب هذا العالم المشهود وأحداث النفخ في الصور، والبعث والحشر، والحساب، والموازين والجزاء وغير ذلك من الأمور، وأحوال الناس في عرصات القيامة ـ سمى اليوم الآخر لتسمية الله ورسوله له بذلك ولأنه يأتي بعد هذه الدنيا، ويسمى يوم القيامة لقيام الناس فيه لرب العالمين وقيام الأشهاد على المكلفين.

= **الفائدة الثانية: المراد بالإيمان باليوم الآخر**: والإيمان باليوم الآخر اعتقاد صدق ووجوب تحقق وقوع ما جاءت به الأخبار عنه بواسطة كتب الله المنزلة ورسل الله المرسلة من تقرير عقيدة البعث والإخبار عما يكون بعد الموت من أحوال الناس في البرزخ والقبور وأهوال البعث والحشر وسائر ما يكون بعد ذلك من الأمور والأحوال حتى يفرغ من أمر الخلائق كلها فيستقر أهل كل دار في داره، فريق في الجنة وفريق في السعير وأحوالهم فيهما ويتحقق كل ما وعد الله به في كتبه وعلى ألسنة رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من ذلك والقول والعمل بمقتضاه فيتضمن الإيمان باليوم الآخر أموراً، هي :

١ - الإيمان بالمبدأ والمعاد ـ أي الخلق الأول والبعث الآخر بعد الموت كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ

=

عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، فالمؤمن بهذا المبدأ والمعاد يخالف ويباين جميع أهل الضلال من الفلاسفة الباطنية المنكرين لمعاد الأبدان، والمشركين الدهر بين المنكرين للبعث.

٢- الإيمان بصفة مجيء الملائكة ـ عليم السلام ـ لمن حضره الموت. وكيفية قبض الروح وما يفعل بها إذا قبضت وأين يذهب بها بعد ذلك، فإن المؤمن بذلك يباين أهل الأهواء والمنكرين لهذه الأمور طعناً في النقل وإحتكاماً إلى العقل وتأثراً بالفلاسفة الضلال.

= ٣- حالة الميت في القبر ومدة لبثه فيه وأمر فتنة القبر والنعيم، لمستحقيه والعذاب لمن كان أهلا له، وعلاقة الروح بالبدن مدة البرزخ إلى أن يبعثه الله يوم القيامة.

٤- كيفية البعث والنشور والحشر وأهوال القيامة وأحوال الناس في مواقف القيامة حتى يفرغ من أمر القضاء بين الناس وتؤدى الحقوق إلى أهلها ويستقر أهل كل دار في دارهم وأحوالهم فيها وجزاء أعمالهم ويتحقق صدق ما وعدهم به ربهم تبارك وتعالى.

الفائدة الثالثة : منزلة الإيمان باليوم الآخر من الإيمان وحكم من كفر به :

يؤمن أهل السنة والجماعة باليوم الآخر، يوم القيامة وسائر ما يكون فيه من الأهوال والأحوال ـ فإن الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان وركن من أركانه التي يكفر من أنكرها ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عد بل هو خالد مخلد في النار أبد الآباد؛ فإنه ـ أي الإيمان باليوم الآخر ـ مما تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وتضمنته جميع الكتب الإلهية واشتملت عليه جميع الشرائع السماوية وأقرت به جميع الأمم الملية وأجمع عليه المسلمون فهو =

من الأصول الثلاثة التي أنفقت عليها الملل المعتبرة شرعاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، فمن أنكر وقوع اليوم الآخر فقد كفر وضل وهلك وذلك لأمور:

١- دلالة القرآن على ذلك قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ الآية [التغابن: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

٢- أن الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ في ثلاثة مواضع من القرآن أن يقسم على البعث كما قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾، وقال عن الساعة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وقال تعالى في يونس: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ وذلك لتحقق وقوعه وضرورة مجيئه لما لله تعالى من الحكمة فيه.

٣- أن الله تعالى قد أكثر من تقريره وذكر الأدلة عليه وابدى وأعاد في تأكيده حتى جاء ذكره في سبعمائة وسبعة آية من القرآن ونوع أسلوب الدعوة إلى الإيمان به، وكرر التهديد بالعذاب الشديد لمن أنكره حتى ذكر سبحانه في سورة النبأ عشرة أدلة عليه ابتداءً من قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ
=

ﭐلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧﴾.

٤- قوله ﷺ «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ» وفي رواية «بِالْبَعْثِ الْآخِرِ» حيث جعل ﷺ الإيمان باليوم الأخر من أركان الإيمان والأحاديث فيه عن النبي ﷺ متواترة. فمن أنكر اليوم الآخر والبعث فيه فإنه لم يؤمن بالله ورسوله.

٥- إجماع المسلمين بل أهل الملل السماوية، عليه وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

= **الفائدة الرابعة : الحكمة من مجئ اليوم الآخر وبعث الناس فيه:**

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل لهذه الخليقة يوماً يبعثهم فيه ويردهم إليه ويجمعهم فيه ليحاسب الله المكلفين ويجزيهم بما عملوا غير مظلومين، ويأخذ الحق ممن ظلم للمظلومين ويثيب المحسنين، ويتحقق صدق ما وعد به في كتبه وعلى ألسنة رسله، ويرى الذين أوتوا العلم صدق ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وآمنوا به، وتصديق الله تعالى لوعده، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، فحكمة مجيء اليوم الآخر والبعث فيه تتحقق بما يلي :

١- تحقق وعد الله تبارك وتعالى به وظهور صدق ما أخبرت به الرسل ونزلت به الكتب من أمره.

٢- الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأخذ الحقوق ممن ظلمها وأداؤها أهلها.

=

٣-تكذيب الكفار المنكرين للبعث استبعاداً وعناداً حين يرون ما أنكروه واقعاً متحققاً وفي هذه الثلاثة يقول تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾[النحل: ٣٨، ٣٩].

٤- ظهور قدرة الله تعالى على كل شيء وعلى إعادة الأبدان بعد فنائها ورد أرواحها إليها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

٥- تقرير الناس بأعمالهم وجزاؤهم عليها بما يليق بهم وبحكمة ربهم وفي هذين الأمرين يقول تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[التغابن: ٧]، ويقول تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم: ٣١].

٦- تصديق أهل العلم والإيمان بما آمنوا به في الدنيا وعملوا له ودعوا الناس إليه إيماناً بربهم وتصديقاً لرسله ولملائكته، قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٦].

الفائدة الخامسة : في الإيمان بلقاء الله تعالى:

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت (١)، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه.

فأما الفتنة (١)، فإن الناس يفتتون في قبورهم. فيُقالُ للرَّجل: مَن ربُّك؟ وما دِينُك؟ ومن نبيُّك؟

---

(١) مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾ [الروم: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق: ٦]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الإنعام: ٣١]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧، ٨].

= وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «وَالْمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللهِ».

وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة «بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا».

الفائدة السادسة: في فتنة القبر:

(١) يؤمن أهل السنة والجماعة بفتنة القبر، وهي: الامتحان والاختبار للميت في قبره حين يسأله الملكان ـ المنكر والنكير ـ بعد دفنه وانصراف مشيعيه عنه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم لقرب انصرافهم منه.

حيث يسأل الميت عن:

١- ربه تبارك وتعالى: أي عن إيمانه به وتوحيده له. فيقال له: من ربك؟

٢- عن دينه أي عن قبوله له وعمل به واستقامته عليه. فيقال له: ما دينك؟

٣- عن نبيه الذي أرسل إليه وأمر بطاعته واتباعه ونهى عن معصيته ومخالفته فيقال له: من نبيك؟ أو ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيسأل عن إيمان به وتصديقه له واتباعه لسنته فيما شرع الله له.

فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين، فيسأل المؤمن ـ غير المرابط والشهيد ـ من هذه الأمة ـ ومن كل أمة ـ على الصحيح ـ فإن السؤال أو الفتنة عام لجميع الأمم التي أرسل إليها فتسأل كل أمة عن ربها ودينها الذي شرعه الله لها ونبيها الذي أرسل إليها. فيقول المؤمن من هذه الأمة «ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ»، وأما المرتاب أو الكافر فيضله الله فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، وقد أستنبط بعض أهل العلم فتنة القبر من قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

= [إبراهيم: ٢٧] وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال ـ في هذه الآية ـ نزلت في عذاب القبر، زاد مسلم رحمه الله في صحيحه ـ أي محمد ﷺ فيقال له: «مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ»؛ وفي رواية البخاري ـ بسنده إلى النبي ﷺ قال: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ =

أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتْ».

وقد كثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في فتنة القبر حتى بلغ مجموعها مبلغ التواتر فوجب الإيمان بها شرعاً لثبوتها عن النبي ﷺ وفيما يلي ذكر مسألتين متعلقتين بفتنة القبر وعذابه ونعيمه:

المسألة الأولى: أن الفتنة عامة لكل المكلفين إلا من ورد استثناؤه في النصوص كالمرابط والشهيد وأولى منهم النبيون والمرسلون ـ عليهم من ربهم الصلاة والسلام ـ فإنهم لا يسألون وإنما يسأل عنهم.

وأما غير المكلفين كالمجانين ومن مات دون البلوغ ونحوهم هل يفتنون أم لا ففيهم قولان:

أ – فقيل: يسألون، لعموم الأدلة في السؤال والفتنة.

ب- وقيل لا يسألون، لعدم التكليف والأهلية.

فأفادت أحاديث فتنة القبر :

١ – أن الفتنة عامة للمكلفين إلا من استثنته النصوص.

٢- أن الروح إذا قبضت عرج بها إلى السماء في أدنى زمن ثم تعاد إلى البدن، فتسأل وهي في البدن.

٣- أن ما ذكره النبي ﷺ من إقعاد الميت مطلقاً وهو متناول لإقعادهم ببواطنهم وإن كان ظاهر البدن مضطجعاً.

المسألة الثانية: من يستثنى من الفتنة : مما ورد أنهم لا يفتنون في قبورهم :

١ – الشهداء لما روى «أَنَّ رَجُلا قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلا الشَّهِيدَ قَالَ كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» [أخرجه النسائي، ٤/ ٩٩] وهو حسن. =

=

فيُثبِّت الله الَّذين آمنوا بالقَول الثَّابت في الحيَاة الـدُّنيا وفي الآخِـرة، فيقول المؤمنُ: ربِّيَ الله، والإسلامُ دِيني، ومحمَّدٌ ﷺ نبيِّي.

وأما المُرتَاب، فيقول: هاه هـاه، لا أَدري، سـمعتُ النَّـاس يقولـون شيئاً فقلتُه، فيَضرَب بِمِرْزَبَّةٍ من حديد، فيصيحُ صيحةً يسمعُها كلُّ شيءٍ إلاَّ الإِنسانَ، ولو سمِعَها الإِنسانُ لَصَعِق.

ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب (١)، إلى أن تقوم ....

٢- من مات يوم الجمعة أو ليلتها من المسلمين لقوله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُـوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَـةَ الْجُمُعَـةِ إِلا وَقَـاهُ اللهُ فِتْنَـةَ الْقَـبْرِ» [رواه الترمـذي، ١٠٧٤] وغيره، وهو حديث صحيح.

٣- من داوم على قراءة سورة تبارك الذي بيده الملـك كـل ليلـة لمـا رواه الحـاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٥٦٥ أن النبي ﷺ قال «سورة ثلاثـون آيـة شـفعت لصاحبها فغفر له تبارك الذي بيده الملك».

(١) **الفائدة السابعة: في إثبات نعيم القبر وعذابه بالأدلة القطعية الصريحة والمتواترة:**

من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص القرآن والسنة وأجمع عليهـا السـلف الصالح من الأمة إثبات نعيم القبر وعذابه لمن كان أهلا لذلك.

أ – فمن أدلة القرآن على النعيم لأهل الإيمان والطاعة:

١ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الآيـة [فصـلت: ٣٠].

=

= ٢- وقوله تعـالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٠].

ب- ومن أدلة القرآن على عذاب القبر للكفار ومن يشاء الله من أهل الكبائر من المسلمين قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٧].

قال ابن كثير رحمه الله: وهذه الآية أصل كبير على استدلال أهل السنة في عـذاب البرزخ أي القبر.

وقال القرطبي رحمه الله: الجمهور على أن هـذا العـرض يكـون في الـبرزخ وهـو حجة في تثبيت عذاب القبر.

ومن أدلة القرآن على العذاب في القبر قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقال مجاهد رحمه الله: «أي بالجوع وعذاب القـبر» وقـال ثـم يـردون إلى عـذاب عظيم أي يوم القيامة.

وقال قتادة: عذاب الدنيا وعذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم.

وقد استدل بهذه الآية والتي بعـدها البخـاري في ترجمتـه للأحاديـث في عـذاب القبر.

ج- ومن أدلة القرآن على الأمرين قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

=

فدلت الآية على تثبيت الله المؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيم، كما دلت على إضلال الظالمين عند الامتحان في القبر وما يتبع ذلك من العذاب.

= د- ومن الأحاديث الدالة على النعيم والعذاب للمستحقين لهما:

١- ما ثبت في المسند وغيره من حديث البراء ﷺ في المؤمن إذا سئل في قبره فأجاب «فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» ... إلخ.

٢- ومن الأدلة على عذاب القبر من السنة الصحيحة ما ثبت في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر: قال: نعم، «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ».

٣- وفي الصحيحين عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا هَذَا فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا هَذَا فَإِنَّهُ كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

٤- وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ «يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

٥- وفي صحيح مسلم قال ﷺ «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ قَالُوا وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا».

٦- وفي الصحيح من حديث الكسوف قال ﷺ «فَبِي تُفْتَنُونَ وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»، وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت قال ﷺ «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ».

=

٧- وفي المسند وغيره حديث البراء ﷺ وفيه قال ﷺ في الكافر: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنْ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا قَالَ وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ».

٨- وثبت عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَكْثَرَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ الْبَوْلِ» أي بسبب التقصير في التنزه منه.

٩- وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ومما يدخل في معنى عذاب القبر ما جاء في ضغطه القبر كما جاء في المسند وغيره عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» والأحاديث في نعيم القبر وعذابه متواترة حتى قال السيوطي رحمه الله: بلغت نحو من السبعين حديثاً.

الفائدة الثامنة : تنبيهات متعلقة بنعيم القبر وعذابه :

١- قد وردت أحاديث صحاح وحسان فيما ينجى من عذاب القبر منها ما جاء «أَنَّ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ ثَلاثِينَ آيَةً» تنجي قارئها يوم القيامة، وفي رواية «تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» وفي حديث آخر «شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ».

٢- فنعيم القبر وعذابه وغيرهما من أحوال البرزخ أمور ثابتة بالآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة وإجماع السلف الصالح، فيجب الإيمان والتسليم بها
=

سواءاً أدركتها العقول أو لم تدركها ؟لأن الشرع دل على أن أحوال البرزخ من الأمور الغيبية التي جاء بها النقل الثابت فلا تعارض بالعقل.

٣- نعيم القبر وعذابه للروح والبدن.

أتفق أهل السنة والجماعة على ما دلت عليه النصوص من أن النعيم أو العذاب يكون للروح والبدن جميعاً.

= أ – فتنعم الروح أو تعذب متصلة بالبدن فيكون النعيم أو العذاب عليهما جميعاً.

ب- كما أنه قد تنعم الروح أو تعذب أحياناً منفصلة عن البدن فيكون النعيم أو العذاب للروح منفردة عن البدن.

* ومن الأدلة على ذلك في النعيم قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] مع ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» .

ومن الأدلة على ذلك في العذاب:

قوله تعالى: عن آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله ﷺ في الكافر: في حديث البراء الذي رواه الإمام احمد وغيره «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ» وقوله ﷺ ـ أيضاً ـ في الكافر أو

=

المرتاب: «يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلا الثَّقَلَيْنِ».

فدل عموم القرآن وصريح السنة على وقوع ذلك النعيم أو العذاب في القبر على الروح والبدن جميعاً لأن مسمى المؤمن والكافر أو المرتاب يتناول الشخص بروحه وجسده ولهذا أضيف مسمى الأقعاد، والسؤال والقول وغير ذلك مما هو متعلق بالروح والجسد جميعاً.

وقد دل حديث الشهداء على انفراد النعيم أو العذاب في القبر على الروح والبدن جميعاً لأن مسمى المؤمن والكافر أو المرتاب يتناول الشخص بروحه = وجسده ولهذا أضيف مسمى الأقعاد، والسؤال والقول وغير ذلك مما هو متعلق بالروح والجسد جميعاً.

وقد دل حديث الشهداء على إنفراد النعيم بالروح في بعض الأحوال دون الجسد لقوله ﷺ «جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ» وقوله ﷺ نسمة المؤمن طائر.

وبالجملة فإنه إذا علم ـ أن روح الإنسان تنفصل بالموت عن البدن ويكون لها به نوع اتصال ـ الله أعلم بكيفيته ـ علم أن أمور البرزخ على الروح أصلاً والبدن تابع لها وهو في الغالب بتلاشى ويضمحل فيصير رفاتا أو ترابا أو قد يحترق فيذرى ولا يبقى له بقية ـ فإن الروح تبقى وهي التي تتعرض للنعيم أو العذاب في الأصل ولكن ينال البدن حظه من ذلك بحسب حالة بقدره الله تعالى العليم بكل شيء القدير على كل شيء.

٤ – في دوام عذاب القبر :

فقد دلت نصوص الكتاب والسنة الواردة بشأن عذاب أهل القبور أنه نوعان:

=

أحدهما: دائم وهو عذاب الكفار كما قال تعالى آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦] فدلت الآية على استمرار عرضهم على النار دون تحديده بمدة فهو مدة بقائهم في قبورهم، ويؤيده ما روى عنه ﷺ أنه قال: في الكافر أو المرتاب ـ فيفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده منها حتى قيام الساعة، وهو حديث صحيح رواه أحمد ٤/ ٣٤٥ وغيره.

الثاني: عذاب يستمر فترة ثم ينقطع أو يتصل تارة ثم ينقطع أخرى وهو عذاب من شاء الله من عصاة أهل التوحيد فإنهم يعذبون بحسب جرمهم ثم يخفف عنهم، وقد يخفف عنهم أيضاً بدعاء أو استغفار أو إحسان بعض المسلمين إليهم بصدقة أو تسديد دين أو إيفاء حق ونحو ذلك.

= ٥- في الحكمة من إخفاء عذاب القبر:

عذاب القبر من الأمور الغيبية التي اقتضت حكمة الله تعالى إخفاءها عن جملة الثقلين لحكم منها :

١- أنهم لو اطلعوا عليه لزالت حكمة التكليف والإيمان بنعيم القبر وعذابه من الأمور الغيبية.

٢- نفور الناس عن أمواتهم وتقصيرهم في دفنهم لقوله ﷺ «فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» رواه مسلم.

٣- أذية الأحياء لذوي الأموات ومسبتهم بأمواتهم فإن الناس وخاصة ذوي الحسد والشحناء ليشمتوا بالأحياء وغيرهم لو علموا عذاب ذويهم وأقاربهم.

الفائدة التاسعة : في الرد على منكري فتنة القبر ونعيمه وعذابه :

=

.... القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد(1).

يرد على من أنكر فتنة القبر وعذابه ونعيمه بما يلي :

الأول: أنه قد دل الكتاب والسنة وأجماع الصحابة والعقل والحس على ثبوته ولا يجوز معارضة هذه الأدلة بالرأي والشبهات.

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس وبالإيمان بالغيب يتميز المؤمنون من الجاحدين.

الثالث: أن الفتنة والعذاب والنعيم أنها يدركها الميت دون غيره فلا يحس بها الحي إلا إن كشفها الله له كما أن النائم تحدث له أمور توحشه أو تسره ولا يشعر به من حوله.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله منه وأعطاهم قدرة عليه ولهذا لا يمكنهم أن يدركوا كل ما في السموات والأرض مع وجود أشياء كثيرة موجودة ولا يدركها الإنسان من يدرك كل موجود فلا يجوز له أن ينكر ما صحت به النصوص من أمور الغيب.

(1) **الفائدة العاشرة : في قيام القيامة الكبرى:**

يكون ابتداء القيامة الكبرى بالنفخ في الصور الذي يكون به الصعق ـ والصعق غشي يصيب من يسمع صوتاً شديداً مفزعاً أو يرى شيئاً هائلاً مفزعاً، ويطلق على الهلاك والموت ـ والنفخ في الصور ـ على الصحيح ـ مرتان :

الأولى: نفخة الصعق تكون لموت من كان حيا وإنهاء الدنيا بإنهاء النظام القائم في هذا العالم المشهود وابتداء أمر الآخرة فلا يشعر بها الأموات، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ
=

فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ [الزمر: ٦٨].

الثانية: نفخة البعث لبعث الناس من قبورهم وهي النفخة الأخيرة، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي»، وقال الحافظ: وقع في رواية «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الثانية» وفي أخرى «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة».

فهاتان الروايتان دلتا على أن الصعق المذكور هو النفخة الثانية في الصور وأنها هي الأخيرة، وأن المقصود البعث بعد الموت الحاصل بنفخ الصور النفخة الثانية وأن موسى عليه السلام يبعث قبل نبينا محمد ﷺ.

وأما النفخة الأولى: فإنه يموت بها من كان حيا في ذلك الوقت إلا من استثنى الله من الحور والولدان في الجنة ممن هو فوق السموات.

= قال الحافظ في الفتح: ثبت في صحيح مسلم أنهما نفختان ولفظ الحديث قال ﷺ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ نُعْمَانُ الشَّاكُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه قال: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» ففيه دلالة على أنهما نفختان فقط، والتغاير في كل منها باعتبار من يسمعها فالأولى يموت بها كل من كان حيا، ويغشى على من لم يمت ممن =

وتقوم القِيامَة التي أَخبرَ الله بها في كتابه، وعلى لِسان رسولِه ﷺ، وأَجْمَعَ عليها المسلمون (١)، فيقومُ النَّاس مِن قُبُورِهِم لربِّ ....

استثنى في الآية، والثانية يحيا بها من مات ويفيق فيها من غشي عليه فخلاصة خلاف العلماء في النفخ في الصور أنهم على قولين:

الأول: أنه ثلاث نفخات ـ وممن قال بذلك القرطبي وابن العربي وابن كثير ـ وعمدتهم حديث الصور ـ حيث صرح فيه بثلاث نفخات.

الثاني: أنهما نفختان ـ وممن قال به الحافظ بن حجر ـ وهو صريح القرآن كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وحديث مسلم «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ نُعْمَانُ الشَّاكُّ. فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» فهو متفق في الدلالة على النفختين ويمكن الجمع بين النصوص التي يفهم منها الثلاث: بأن الأولى تكون خفيفة ثم تظهر شيئاً فشيئاً فتبتدئ بالفزع وتنتهي بالصعق ويدل عليه ما جاء في بعض الروايات أن إسرافيل يمدها فتلك النفخة هي التي يحصل بها فزع الخلائق ثم صعقهم إلا من شاء الله تعالى. والثانية: هي نفخة البعث التي يتحقق بها إحياء الموتى وقيامهم لرب العالمين ثم حشرهم.

وأما حديث الصور الذي فيه التصريح بثلاث نفخات فقد قال الحافظ بن حجر وغيره إنه حديث مضطرب فلا يعتمد عليه.

(١) **الفائدة الحادية عشرة : في البعث :**

أ – تعريفه: البعث لغة: هو الإثارة والتحريك والإرسال والنشر.

=

واصطلاحاً: هو إخراج الناس يوم القيامة من قبورهم أحياء وإرسالهم إلى موقف الحشر لحسابهم والقضاء بينهم.

ب- وجوب الإيمان بالبعث ومنزلته من الدين: الإيمان بالبعث هو التصديق التام والاعتقاد الجازم بتحقق ما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ وأجمع عليه أهل الملل السماوية ـ من أن الله تعالى: سيبعث بقدرته الأموات بعد موتهم فيخرجهم من قبورهم أحياءً على الصفة التي جاءت بها النصوص، حيث يجمع تعالى بقدرته ـ ما تفرق من أجسام الأموات ثم يعيدها كما كانت ثم ينفخ الأرواح فيها ثم تنشق عنهم الأرض فيخرجون منها سراعا ثم يحشرون إلى ربهم قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

ج- الأدلة على إثبات البعث، وحكم من جحده وأنكره:

دل الكتاب والسنة وإجماع أهل الملل السماوية والعقل والفطرة والحس على إثبات البعث فمن جملة تلك الأدلة والبراهين:

١- علم الله تعالى بما نقصته الأرض منهم، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤].

٢- أن الذي ابتدأ الخلق أول مرة قادر على إعادته بل هو أهون عليه ـ والكل هين عليه سبحانه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

٣- أنه تعالى إذا أراد شيئاً وأمره كان كما أراد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فلا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء.

٤- إحياء الأرض بعد موتها قال تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

٥- ما وجد في الواقع مما اشتهر بين الناس من أحياء الله بعض الناس بعد موتهم كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وإحياء قتيل بنى إسرائيل وغير ذلك مما اشتهر بين الناس وصدقه الشرع المطهر.

٧- الاستدلال بالخلقة الأولى على الآخرة فالذي ابتداء الخلق قادر على إعادة.

٨- خلق السماوات والأرض وما فيهما وهو أعظم من خلق الإنسان فالقادر على خلق الأكبر قادر على خلق الأصغر من باب أولى، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس:٨١].

٩- ما استقر في الفطر الصحيحة وسلمت به العقول السليمة ودلت عليه الشرائع الحكيمة من قدرة الله تعالى على كل شيء فمن هذا شأن فإنه قادر على إعادة خلق الإنسان أو الحيوان من باب أولى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

١٠- أن اختلاف الناس في الدنيا لا يرتفع فحكم من ظالم مات ولم يؤخذ منه الحق وكم من مظلوم مات ولم يأخذ حقه فتبقى الحقوق معلقة فوجب أن يكون للناس ميعاد يفصل فيه في النزاع وتسترد الحقوق.

١١- حصول اليقظة بعد النوم وأن الموت أخو النوم واليقظة شبيهة بالحياة فالقادر على رد الأرواح إلى أجسادها عند اليقظة من النوم قادر على ردها إلى أجسادها عند البعث.

= ١٢- الاستدلال بخلق النبات الذي تحي به الأرض بعد موتها قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ﴾ [فصلت: ٣٩] أي أن إن الله الذي أحياها قادر على أن يحيي الموتى، وكذلك ما ثبت من إحياء عيسى ﷺ الأموات بإذن =

الله وغير ذلك من الأدلة كثير فلا يؤمن أحد بالله واليوم الآخر حتى يؤمن بالبعث قال ﷺ في الحديث الصحيح «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ» ومن أنكر البعث كفر، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧]، وأجمع عليه المسلمون من هذه الأمة وسائر الأمم.

١٣- ولقد ذكر البعث والنشور في القرآن في ستمئة وست وسبعين آية وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقسم على وقوعه وتحققه في أربعة مواضع من القرآن في يونس، وسبأ والذاريات، والتغابن.

فالإيمان بالبعث أصل من أصول الإيمان التي يكفر من أنكرها كفراً يخرجه من الملة ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يؤمن به قال تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

د- فلذا يؤمن أهل السنة بأن الله يبعث الموتى من القبور ويعيدهم معاداً جسمانياً بأن يجمع ما تفرق من أجسامهم ثم ينشئهم نشأة أخرى ثم يعيد أرواحهم إليها لما سبق من الأدلة ومما يضاف إلى ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥﴾ [الأعراف: ٢٥].

٢- وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

٣- وقوله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَمنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ» م ٢٢٧١/ ح١٩٥٥.

هـ- من ثمرات الإيمان بالبعث: =

=

.... العالمين حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وتَدْنُو منهم الشَّمسُ، ويُلْجمُهـم العَـرَقُ [1]، وتُنْصَب الموَازينُ، فَتُوزَن فيها أعمالُ ....

١- حفز الهمم على العمل الصالح واجتناب القبائح والتوبـة ممـا أرتكـب منهـا لإيمان المرء بأنه مجزى بعمله.

٢- ترك التعدي على الناس في حرماتهم لأنها ستقتص من حسناته أحوج ما يكون إليها.

٣- الجد في استباق الخيرات والدوام على الصالحات طمعاً في بلوغ أعلى الدرجات.

٤- توفر لجام يكف المرء عن الانهماك في الشهوات المحرمة حذراً من سوء عواقبها في الأخرى.

و- في الرد على من أنكر بعث الأجساد بعد فنائها واضمحلالها :

يرد على منكري البعث بأمور :

الأول: أنه تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين وتضمنته الكتب الإلهية والشرائع السماوية وأقرت به الأمم المسلمة لله تعالى.

الثاني: أن إمكان البعث قد دل عليه العقل فإن الذي ابتداء الخلق قادر على إعادته وإن خلقه السموات الأرض أكبر من خلق الناس وإن إحياء الأرض بعد موتها أدل شيء على أحياء الأموات.

الثالث: ما ثبت من وقائع إحياء الموتى كأهل الكهف ويحييهم.

الرابع: أن الحكمة تقتضيه لجزاء الناس والحكم بينهم بالعدل وأخذ الحق لمستحقه من ظالمه.

(١) **الفائدة الثانية عشرة : في الحشر :**

أ – تعريفه: الحشر لغة : الجمع.

=

الحشر: شرعاً: جمع الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد لحسابهم والقضاء بينهم بالعدل قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا = يَسِيرٞ ۝٤٤﴾ [ق: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨].

ب- معنى الإيمان بالحشر: الإيمان بالحشر: هو اعتقاد تحقق وقوعه والعمل له على وفق ما جاء به الشرع المطهر ـ وهو من الإيمان باليوم الآخر ـ قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ۝٤٧﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا ثُمَّ قَرَأَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ» رواه الإمام أحمد، وقال ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ» متفق عليه.

ج- مظاهر الحشر:

١- تشقق الأرض عن الخلائق وخروجهم منها سراعا إلى موقف الحشر، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤﴾ [ق: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾ [القمر: ٧، ٨].

٢- تسوية الأرض ومدها حتى تتسع لعموم الخلق، **وقال تعالى** ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا =

.... العِبَـــاد (1) ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طـه: ١٠٥-١٠٧]، وقـال تعـالى ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ ﴾ [الانشقاق: ٣].

= ٣- حشر جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ ﴾ [الكهف: ٤٧، ٤٨]. الآية.

هـ- وموقف الحشر هو موقف القيامة الكبرى ـ حيث يقف الناس فيه للحساب والجزاء قال تعالى ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين: ٥]. سمى بذلك لقيام الناس لرب العالمين وقيام العدل وقيام الأشهاد.

(١) **الفائدة الثالثة عشرة: في الموازين:**

أ- تعريفها: الموازين: جمع ميزان، وهو «ميزان حقيقي له كفتان الله أعلم بكيفيته توزن فيها أعمال العباد ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾، وقد ذكر الميزان مجموعاً في الكتاب والسنة، وذكر مفرداً فجمعه ـ والله أعلم ـ =

وتُنشَر الدَّواوين: وهـي صَـحَائِف الأَعـمالِ، فآخِـذٌ كتابَـه بيَمِينِـه، وآخِذٌ كتابَه بشِمالِه أو مِـن وراءِ ظَهـرِه، كـما قـال سـبحانه وتعـالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

باعتبار ما يوزن من الأعمال أو بحسب الإفراد أو بحسب الأمم وأما إفراده فباعتبار الجنس.

ب- مـا الـذي يـوزن: الصـواب أن الـذي يـوزن الجميـع العمـل، والعامـل، والصحف فإن السنة الصحيحة التي تبين القرآن وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ في قصة صاحب البطاقة ـ قال: قال رسول الله ﷺ «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ قَالَ فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ قَالَ فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ إِذَا صَـائِحٌ يَصِـيحُ مِـنْ عِنْـدِ الـرَّحْمَنِ يَقُـولُ لا تَعْجَلُوا لا تَعْجَلُوا فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ فَيُؤْتَى بِبِطَاقَـةٍ فِيهَـا لا إِلَـهَ إلا اللهُ فَتُوضَـعُ مَـعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ».

فدل هذا الحديث على أن العبد يوضع وحسناته وصحيفتها في كفة وسـيئاته مـع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهـذا غايـة الجمـع بـين مـا تفـرق ذكـره في سـائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة.

والجمع بين النصوص الواردة في وزن، الأعمال، والعاملين والصـحائف، أنـه لا منافاة بينهما فالجميع يوزن ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسـه لا بذات العامل ولا بالصحيفة.

ويحاسِبُ الله الخلائِقَ، ويَخْلُو بعبدِه المؤمِن، فيُقرِّرُه بذُنوبه؛ كما وصفَ ذلك في الكتاب والسُّنَّة [1].

وأمّا الكُفّار فلا يُحاسبُون محاسَبةَ مَن تُوزَنُ حسَناتُه وسيِّئاتُه؛ فإنَّه لا حسَناتٍ لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالُهم، فتُحصىَ، فيوقَفُون عليها، ويقَرَّرون بها ويجرون عليها.

حوض النبي ، ومكانه وصفاته

وفي عرصات القيامة: الحوض المورود للنبي ﷺ ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، أتيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه لا يظمأ بعدها أبداً [1].

---

(١) **الفائدة الرابعة عشرة : في الحساب :**

أ – الحساب لغة العد والإحصاء وشرعاً إطلاع الله عبادة على أعمالهمخيرها، وشرها، وتقريرهم بها، ليتحقق الاعتراف بها والتسليم بالجزاء عليها، ويتبين الفضل والعدل وأنه لا نجس من لأحد، ولا ظلم.

= ب– الأدلة عليه: الوزن ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين:

١ – قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

٢– وروى أحمد عن عائشة أن النبي ﷺ كان «يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلاتِهِ اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهَّ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ قَالَ أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْه» قال الألباني إسناده جيد.

(١) الفائدة الخامسة عشرة : في الحوض:
أ - تعريف الحوض لغة: مجمع الماء مشتقة من السيلان لسيلان الماء.
وشرعاً: هو حوض النبي ﷺ المورود في إحدى عرصات القيامة وهو حق ثابت لثبوت الأدلة فيه:
فالحوض مورد كريم يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر وهو في غاية الاتساع طوله وعرضه سواء مسيرة شهر من كل جهة ولكل نبي حوض ولكن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً ـ جعلنا الله منهم ـ.
ب- عقيدة أهل السنة في الحوض وأدلته: فيؤمن أهل السنة والجماعة بالحوض المورود الذي جعله الله تعالى لنبينا محمد ﷺ .
وقد تضافرت الأدلة من السنة على إثبات الحوض فمن الأدلة عليه:
= ١ - حديث أنس بن مالك مرفوعاً: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنْ الْيَمَنِ وَإِنَّ فِيهِ مِنْ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُوم السَّمَاءِ » متفق عليه.
٢- وحديث جهبذ مرفوعاً: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» متفق عليه والأحاديث فيه كثيرة بلغت حد التواترة صرح بذلك القرطبي وابن كثير والقاضي عياض، وغيرهم من أئمة العلم رحم الله الجميع.
٣- وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».
٤ - وقال ﷺ «لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ».
٥- وفي البحاري عن عبد الله وعمرو قال النبي ﷺ «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْه فَلا
=

يَظْمَأْ أَبَدًا » رواه مسلم بلفظ «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ الْوَرِقِ - أي الفضة - وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا » وفي رواية مسلم «يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ الْجَنَّةِ».

٦- وروى الترمذي في جامعه عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَ» .

فمما يجب اعتقاده أن سبحانه قد خص نبيه ﷺ بالحوض الذي وردت باسمه وصفته وشرابه الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بها العلم القطعي بثبوته ولذا أجمع على إثباته السلف ونكر الحوض كافر بالله العظيم لردة الأحاديث المتواترة القطعية فيه.

ج- مكان الحوض: جاءت جملة من الأحاديث فيها ذكر أن الحوض قبل الصراط ومنها ما رواه البخار في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ = فَقَالَ هَلُمَّ فَقُلْتُ أَيْنَ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللهِ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهُمْ قَالَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ قُلْتُ أَيْنَ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللهِ قُلْتُ مَا شَأْنُهُمْ قَالَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى فَلا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».

وفي بعضها أنه بعد الصراط كما روى ابن جرير عن لقيط بن عامر عن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَفْتَرِقُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنْ النَّارِ فَيَطَأُ أَحَدُكُمْ الْجَمْرَ فَيَقُولُ حَسِّ يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَوَانُهُ أَلا فَتَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَى أَظْمَأِ وَاللهِ نَاهِلَةٍ عَلَيْهَا قَطُّ مَا رَأَيْتُهَا فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا يَبْسُطُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلا وُضِعَ عَلَيْهَا قَدَحٌ يُطَهِّرُهُ مِنْ الطَّوْفِ وَالْبَوْلِ وَالأَذَى» ولا منافاة بين الأحاديث ولا تعارض ولا تناقض فإن أحاديث =

والصراط منصوب [1] على متن جهنم، وهو الجسر الـذي بـين الجنـة والنار يمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح ......

النبي ﷺ يصدق بعضها بعضاً ووجه الجمع أن الحوض في عرصـاة القيامـة قبـل الصراط ولكن إذا جاوزا الصراط وقطعوه بدا لهـم الحـوض مـن طرفـه الآخـر فشربوا منه فإن الحوض طوله شهر وعرضه شهر فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يحيل امتداده إلى ما وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط ليـذهب عـنهم عطش أهوال الموقف وبعد الصراط ليذهب عنهم عطش المرور على الصراط على خبر الصادق المصدوق ﷺ .

(١) **الفائدة السادسة عشرة : في الصراط :**

تعريف الصراط : هو جسر حقيقي يمد على جهنم مبتدؤه من الظلمة التي قبله ومنتهاه بالقنطرة الواقعة بين الجنة والنار لما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل: «أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ = فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ» وفي الحديث الآخر «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُحْتَبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» فالصراط جسر يمد فوق جهنم يمر منه المؤمنون والمنافقون من فوق النار، فمن اجتازه دخل الجنة. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴾ الآية إلى قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ الآيات وهم في الإسراع والبطء =

والوصول والانقطاع بحسب إيمانهم وأعمالهم فناج مخدوش وناج مسلم ومكر دس في نار جهنم، فالكل يردون النار مروراً على الصراط كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]؛ فينجي الله المتقين ويذر الظالمين فيها جثيا لما ثبت في الصحيح من حديث أبي سعيد وفيه «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجِسْرُ قَالَ مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» ولا يجوزه إلا المؤمنون، ويزل عنه ويكردس في النار المنافقون نفاقاً إعتقادياً ومن شاء الله من عصاة أهل الإسلام ومن المنافقين نفاقاً عملياً، ثم ينجي الله من النار كل مسلم بشفاعة الشافعين أو رحمته تعالى وهو أرحم الراحمين ولا يخلد في النار إلا المنافقون نفاقاً إعتقادياً ـ النفاق الأكبر ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ وكذلك المشركون والكافرون فهم كما قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ وقال ﷺ: «لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، فهؤلاء خالدون في النار أبداً، لا يجدون ولياً ولا نصيراً».

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ.

=

.... البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم يمر كالريح، ونهم يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدوا عدواً، ومنهم من يمشى مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقي في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم.

القنطرة بين الجنة والنار:

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الصراط وأنه لا يمر عليه إلا المسلمون حقيقة أو ظاهراً فيمرون عليه على حسب إيمانهم وأعمالهم وهم متفاوتون في ذلك.

وبه فسر جماعة من السلف منهم ابن مسعود قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] بأنه المرور على الصراط وفي حديث أبي هريرة الطويل قال رسول الله ﷺ: «وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» رواه البخاري.

وأنكره بعض المعتزلة ـ وفي الصحيح ـ من حديث أبي هريرة ﷺ الطويل في الرواية والشفاعة وفيه ـ قال ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ السَّعْدَانَ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلا اللهُّ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ أَوْ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ أَوْ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ».

فمن مر على الصراط دخل الجنة [1] فإذا عبروا عليه، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقو، إن أذن لهم في دخول الجنة.

---

(١) **الفائدة السابعة عشرة : في الجنة والنار:**

أ – تعريف الجنة ومكانها: الجنة هي دار المتقين فهي رحمة الله التي يرحم بها المؤمنين ثواباً على إيمانهم بأنواع التكريم وأصناف النعيم والنظر إلى وجهه الله الكريم ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم وهي: اسم عام يتناول كل ما اشتملت عليه الجنة من البساتين والقصور والأنهار وما فيها من أنواع النعيم وأصناف التكريم والبهجة والسرور وقرة العين، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» والجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة بإجماع أهل الحق كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ «أَمَرَ بِلالا فَنَادَى فِي النَّاسِ إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» وفي مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم والسنن من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ فَوَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ

=

لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ

= يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا»

ب- مكان الجنة: الجنة فوق السماء السابعة فوق سدرة المنتهى وسقفها عرش الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣، ١٤].

وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] قال مجاهد إنه الجنة.

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» وهذا يدل على أن الجنة في غاية العلو والارتفاع.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

ج- تعريف النار: أما النار فهي دار العذاب التي يعذب الله بها الكفار ومن شاء من عصاة المؤمنين فهي مأوى صنفين من الناس:

أحدهما: من شاء الله تعالى أن يدخلها من عصاة المؤمنين بذنوبهم وهؤلاء يبقون فيها في أعلا النار ما شاء الله حتى يطهروا من رجس ذنوبهم فإذا طهروا أخرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة الراحمين.

=

الثاني: الكفار جميعاً سواء كان كفرهم بسبب إنكارهم لله تعالى وجحدهم له ـ وهو الإلحاد ـ أو بالشرك بالله أو الردة عن الإسلام أو تكذيب المرسلين أو جحد الكتب المنزلة أو التكذيب بالبعث أو جحد المعلوم من الدين بالضرورة ـ إذا ماتوا على ذلك فلم يحدثوا توبة ـ وهؤلاء هم أهل النار الذين أعدت لهم عذاباً ونكالاً فيبقون فيها خالدين أبدا لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فلا تطالهم شفاعة ولا ينالهم من الله تعالى رحمه.

= د- فائدة: مذهب أهل السنة وجمهور المسلمين أن النار والجنة موجودتان معدتان لأهلها ومن أدلتهم على ذلك:

أ – على وجودهما وإعدادهما:

١- قوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٤].

٢- وقال تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ۝٢٢﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].

٣- ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ» وما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في حديث كسوف الشمس ـ وفيه ـ فقال ﷺ «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ أفظع» ح١٠٥٢، م٩٠٧، وما ثبت في الصحيحين عن ﷺ قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

=

٤- إجماع الصحابة على وجود الجنة والنار قبل ظهور المعتزلة.

هـ- يعتقد أهل السنة والجماعة بقاء الجنة وأبديتها أبد الآباد، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله تعالى عن أهلها: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]، وقوله تعالى في خير البرية ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة: ٨]، ومن السنة قوله ﷺ «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ = يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ لا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ» وقوله ﷺ يقال يا أهل الجنة الحديث وفيه «أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا»، وكذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ» رواه أحمد ٢/ ٣٣٠.

و- بقاء النار: كذلك بيعتقد أهل السنة والجماعة بقاء النار وأبديتها، ومن أدلتهم على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦﴾ [فاطر: ٣٦] فيعتقد أهل السنة والجماعة بقاء النار وأبديتها أبد الأبدين لأن الله تعالى أخبر عن أبديةً النار وخلود الكفار فيها في ثلاثة مواضع من كتابه:

=

وأول من يستفتح باب الجنة: محمد ﷺ وأول من يدخل الجنة من الأمم: أمتهُ.

شفاعات النبي ﷺ :

وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات :

أما **الشفاعة الأولى**: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.

وأما **الشفاعة الثانية**: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له [1] .

الأول: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء، ١٦٨-١٦٩].

الثاني: في سورة الأحزاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤].

الثالث: سورة الجن، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

(١) **الفائدة الثامنة عشرة: في أمر الشفاعة :**

=

أ – تعريف الشفاعة لغة مأخوذ من الشفع ـ ضد الوتر ـ لأن الشافع ينضم إلى المشفوع له في تحقيق مطلوبه فيكونان شفعاً ـ إثنين ـ بدل أن كان وتراً ـ أي واحداً ـ فهي إعانة وتقوية لتحقيق مطلوب ولذا عرفت بأنها: الوسيلة والطلب.

واصطلاحاً: هي سؤال الخير للغير، وهي نوعان:

الأولى: شفاعة حسنة: وهي ما كانت لتحصيل حق أو إنالة فضل لمستحقه.

الثانية: شفاعة سيئة: وهي ما كان فيها ظلم أو لنصرة ظالم أو إيواء محدث أو إسقاط حد شرعي عمن طالب عليه قال تعالى ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴾.

والشفاعة ـ التي هي من مسائل العقيدة ـ يراد بها التي تكون يوم القيامة وهي: السؤال في فصل القضاء، والتجاوز عن الذنوب، والإنجاء من العذاب أو تخفيفه، ودخول الجنة ورفعة الدرجة فيها.

ب– أقسام الشفاعة : الشفاعة قسمان :

= أحدها: شفاعة منفية وهي ما كانت بغير إذن أو لإنحاء كأفراً ومشرك من النار قال تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ وقال تعالى ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ .

الثانية: شفاعة مثبتة: وهي ما كانت بعد إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له أن يشفع فيه وهي نوعان :

الأول: الخاص بالنبي ﷺ وهي ثلاث شفاعات :

الأولى: الشفاعة العظمى التي يشفع فيها النبي ﷺ لأهل الموقف حتى يقضي الله تعالى بينهم بعد أن يتدافعها الأنبياء أولو العزم من الرسل أهل الشرائع آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى حتى تنتهي إلى نبينا محمد ﷺ عليهم وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام، وهي المقام المحمود، فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم =

وأما **الشفاعة الثالثة** : فيشفع فيمن استحق النار، وهـذه الشـفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم [1]، فيشفع فيمن أسـتحق النـار أن لا يدخلها، ....

وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ ... الخ، وفيه: فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنَ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ» فهذه الشفاعة خاصة بنبينا محمد ﷺ وهي عامة في أهل الموقف لأجل حسابهم وإراحتهم من الموقف.

والشفاعة العظمى: مجمع عليها فلم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر.

الثانية: شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها فيشفع ﷺ يستفتح باب الجنة فيدخلها وتدخل أمته معه، ثم يدخل النبيون عليهم الصلاة والسلام فكل نبي يتبعه من آمن به من أمته.

الثالثة: الشفاعة في أبي طالب خاصة ـ من أهل النار ـ حيث يشفع فيه النبي ﷺ فيخرج إلى ضحضاح من النار لا يجاوز كعبيه يغلي منه دماغه ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لا هونهم.

(١) القسم الثاني: الشفاعات العامة: وهي من أهل التوحيد لأهل التوحيد وهذه الشفاعات للنبي ﷺ منها أوفر حظ وأكمل نصيب ـ ولعله يشفع في الجملة ـ ثم يشفع غيره من إخوانه المرسلين والنبيين وأتباعهم من العلماء والشهداء =

.... ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها [1].

والصالحين وكذلك الآباء والأفراط والأزواج وأهل الإحسان كل فيمن يخصه وهي أنواع :

الأول: الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها وهذه تكون قبل الصراط.

الثانية: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها وهذه تكون بعد مجاوزة الصراط وهي تتكرر أربع مرات كل مرة يحد الله تعالى لنبينا ﷺ حداً - من عصاة أهل التوحيد - فيخرجهم حتى لا يبقى في النار إلا من حَبسه القرآن.

الثالثة: الشفاعة داخل الجنة في رفعة الدرجة بحيث يعطي المرء من الثواب فوق ما يستحق ويرفع الأدنى إلى درجة قريبه الأعلى الشافع فيه وهي تكون بعد دخول الجنة.

الرابعة: الشفاعة فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم - وقيل إنهم هم أهل الأعراف - فيشفع فيهم لترجح حسناتهم على سيئاتهم فيدخلون الجنة وهذه تكون بعد الفراغ من الحساب ودخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار.

(١) **فائدة في أدلة أنواع الشفاعة :**

الشفاعة قد وردت بها الأحاديث حتى بلغت حد التواتر وانعقد عليها إجماع أهل الحق قبل ظهور الخوارج والمعتزلة الذين ينكرون الشفاعة.

وأما شفاعة الرسل والأنبياء، والعلماء والشهداء والصالحون فإنهم يشفعون يوم القيامة فيجب أن يعتقد أن غير النبي ﷺ من سائر الرسل الأنبياء والملائكة

=

إخراج الله بعض العصاة من النار برحمته، وبغير شفاعة :

والصحابة والشهداء والصديقون والأولياء والعلماء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم ووجهتهم يشفعون لثبوت الأخبار بذلك فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد، أخرج الإمام أحمد والبيهقي والطبراني في الأوسط عن بريدة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على الأرض من شجر ومدر.

وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : شفاعتي لأهل النار من أمتي.

وقال جابر ﷺ : من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أو بق نفسه وأغلق ظهره.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».

وقد أخرج الطبراني في الكبير والبيهقي من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشفاعين.

والحاصل: أن شفاعة الشفعاء بقدر منازلهم وأعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من ربهم.

والقرآن يشفع لأهله والإسلام يشفع والصوم يشفع.

ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة [1]، بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشى الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة.

---

(١) فائدة : المخالفون في الشفاعة طوائف:

الأولى: المشركون والنصارى والمبتدعة الذين جعلوا الشفاعة لمن يعظمونه عند الله تعالى في يوم القيامة كالشفاعة المعروفة في الدنيا، بغير إذن، ولمن شاء الشافع أن يشفع له من برأ وفاجر بحق أو بغير حق.

الثانية: الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فإنهم أنكروا الشفاعة في عصاة أهل التوحيد بناء على أصلهم الفاسد الذي هو تخليد صاحب الكبيرة في النار ودليلهم ما جاء من الآيات من نفي الشفاعة. ويرد عليهم بأمرين:

الأول: أن الآيات تنفي الشفاعة في إخراج الكفار من النار ولا تنفي أصل الشفاعة.

الثاني: أن نصوص الوعد مخصصة لبعض أفراد من تعمهم نصوص الوعيد، فهم لم يوفقوا للجميع بين النصوص، والأخذ ببعض النصوص دون بعض تحكم ومن الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض.

فائدة : في ذكر بعض الأسباب التي تنال بها الشفاعة يوم القيامة وهي كثيرة منها:

١ - إخلاص التوحيد.

٢ - الدعاء بما ورد عند الآذان.

=

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثـواب والعقـاب والجنة والنار وتفاصيل لك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار مـن العلم المأثور عن الأنبياء، وفي العلم المـوروث عـن محمـد ﷺ مـن ذلـك مـا يشفي ويكفي، فمن ابتغاه وجده.

الإيمان بالقدر[1] ، ومراتب القدر :

٣- الصلاة على النبي ﷺ عشر مرات في الصباح والمساء لقوله ﷺ من صـلى عـلي حين يصبح وصلى علي حين يمسى عشر مرات كنت له شفيعاً يوم القيامـة، رواه أبو داود في سننه وصححه الألباني وغيره.

(١) فوائد تتعلق بالإيمان بالقدر :

الفائدة الأولى : تعريف القدر :

القدر لغة: مصدر : قدرت الشيء أقدره قَدْرا أي أحطـت بمقـداره، فهـو مبلـغ الشيء، وكنهه، ونهايته فالقدر من التقدير أي العلم والإحاطة بمقادير الأمور.

والقدر شرعاً: سبق علم الله تعالى بالأشياء على ما ه عليـه ـ قبـل كونهـا وكتابتـه تعالى لذلك العلم ـ وإيجادها في وقتها حسـبما سـبق بـه علمـه وجـرى بـه قلمـه واقتضته حكمته، أو هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، فإن الله تعالى قد قدر مقادير الخلائق فعلم أعيانها مـا يكـون منهـا ومـا لا يكـون وأوصافها وكيفيات وقوعها وأزمانها وأنها ستقع على حسب ما قـدرها بمشـيئته وحكمته وخلقه فأحاط بها ـ تعالى ـ علماً، وكتبها رقماً ـ وشاءها حكماً.

الفائدة الثانية: في درجات القدر وهي أربع :

الأولى : العلـم السـابق؛ وهـي أولى مراتـب القـدر وقـد اتفـق عليهـا النبيـون والمرسلون وسلف الأمة الصالح وأتباعهم بإحسان، ذلك أن العلم صفة ذاتية لله

=

تعالى لا تنفك عنه بحال فإن الله تعالى قد وسع كل شيء وأحاط بـه علـماً، فعلـم بعلمه السابق الشامل لكل شيء ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لـو كان كيف يكون فعلم الأشياء كلها ذواتها وكيفياتهـا وأزمانهـا وأماكنهـا فتنـاول علمه الموجود والمعدوم، والواجب والممكن، والممتنع فلا يتجدد له بها علـم ولا يعـرض لـه فيهـا ذهـول ولا نسـيان قـال تعـالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، وقـال تعـالى ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾، وقال ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾.

الثانية: الكتابة: وهي أن الله تعالى قد كتب مقادير الخلائق في الـذكر ـ أي اللـوح المحفوظ ـ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. كما قد جاء الـنص على ذلك في الكتاب والسنة وأجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأطبـق عليه أهل السنة والجماعة. فدل القرآن على أن الله تعـالى كتـب في أم الكتـاب مـا يفعله وما يقوله وهكذا أمور خلقه قال تعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾، وقـال تعـالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾، وقـال تعـالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ ﴾، وثبت عن النبي ﷺ: أنه قال: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ـ وفي رواية لم يكن شيء معه ـ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ». وفي الصحيح أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «لابْنِـهِ يَـا بُنَـيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُـومَ السَّـاعَةُ يَـا بُنَـيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» وفي الصحيح مـن حديث عبد الله بن عمرو بن العـاص رضي الله عـنهما قـال: قـال رسـول الله ﷺ

«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». فهذا القلم الذي هو أول مخلوق، وكتب مقادير الخلائق هو أول الأقلام وأفضلها وأجلها ولهذا قال غير واحد من المفسرين رحمهم الله إنه القلم الذي أقسم الله به.

الثالثة: مشيئة الله النافذة ـ أي الماضية التي لا راد لها ـ وقدرته تعالى الشاملة وأنه تعالى متمكن من كل شيء قادر على كل شيء، فلا يفوته شيء، ولا = يمتنع منه شيء بل إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، وقال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وقال تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وقال تعالى ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقال ﷺ «مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ» وقال عليه الصلاة والسلام: «فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا لكان كذا وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

فهذا المرتبة ـ من القدر ـ قد دل عليها إجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى أخرهم، وأثبتتها جميع كتب الله المنزلة من عند الله تعالى، واقتضتها الفطرة التي فطر الله الخلق عليها. وأدلة العقول والعيان شاهدة لله تعالى بها. والمسلمون من أولهم يقولون ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ويؤمنون بربهم وأن الله على كل شيء قدير ـ فليس في الوجود موجب لموجبه، ومقتض لمقتضاه إلا مشيئة الله وحده فهو سبحانه وحده الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فليس ذلك لغير الله تعالى كائناً من كان.

=

وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره [1]

.

الرابعة : الخلق فهو تعالى خالق كل شيء خالق كل عامل وعمله ومتحرك وحركته وساكنه قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾. والإيمان بذلك لا ينبغي أن العباد لهم قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة وإرادة تقع بها أعمالهم والله تعالى خالقهم وخالق قدرهم وإراداتهم ومشيئاتهم وأقوالهم وأعمالهم. والأقوال والأعمال الصادرة عنهم تضاف إليهم حقيقة لأنها صادرة عنهم واقعة منهم بإرادة وقدره تحققت بها الأعمال خيرها وشرها فهم عليها يثابون أو يعاقبون وهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين. فالقدر السابق لا يمنع من العمل كما أنه لا يوجب = الاتكال والكسل لقوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ ولقول ﷺ «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

(١) **الفائدة الثالثة**: معنى الإيمان بالقدر: هو التصديق التام والاعتقاد الجازم المقتضي للقول والعمل بمقتضاه، والبراءة مما يضاده بسبق علم الله تعالى بالأشياء، قبل كونها على ما هي عليه، وكتابة لذلك العلم في الذكر أو في اللوح المحفوظ. وأن لا يكون شيء إلى بمشيئته وخلقه بأن الله تعالى بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير وأنه تعالى خالق كل شيء، ومدبر كل شيء قد أحاط علماً بالحركة والسكون والمتحرك والساكن والموجود والمعلوم وأنه تعالى الفعال لما يريد، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ـ وليس ذلك لغيره سبحانه ـ وأنه تعالى الحكيم العليم الذي يضع الأمور مواضعها اللائقة بها ـ وأن ما أخطاء الإنسان لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطأه وأن تعالى خالق العمال وأعمالهم فكل ذلك مما سبق به العلم وجرى به القلم وقد جفت منه الأقلام وطويت الصحف.

=

وبهذا يتحقق الإيمان بدرجات القدر الأربع وهي :

الفائدة الرابعة: لوازم الإيمان بالقدر هو التصديق الجازم والاعتقاد التام بما جاءت به النصوص بشأنه ومن لوازم ذلك الإيمان:

١ – كل خير وشر ـ واقع ـ فهو بقضاء الله تعالى وقدره.

٢ – وأنه تعالى الفعال لما يريد.

٣ – ولا يكون الشيء إلا بإراداته ولا يخرج شيء عن مشيئته، فليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره وله سبحانه الحكمة فيما قدره، ودبره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

٤ – لا محيد لأحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور.

٥ – وأنه تعالى الخالق لأفعال العباد من الطاعات والمعاصي.

= ٦ – وأنه تعالى أمرهم ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم قادرين عليها، فهم غير مجبورين عليها بل هي واقعة بإراداتهم وأختيارهم وهو تعالى خالق إراداتهم وقدرهم.

٧ – وأنه تعالى يهدي من يشاء برحمته فضلاً ويضل من يشاء بحكمته عدلاً.

الفائدة الخامسة : منزلة الإيمان، بالقدر من الدين : الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان الستة التي دل عليها القرآن ونص عليها النبي ﷺ فيما صح عنه من بيان. قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ،وقال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، وقال تعالى ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وقال ﷺ : «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» وأجمع الصحابة ﷺ والتابعون لهم بإحسان على الإيمان بالقدر وردوا على المنكرين له والغالين فيه وبينوا لهم أن العباد لا يذقوا طعم الإيمان ولا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً حتى يؤمنوا بالقدر خيره وشره وحلوه ومره؛ قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله «والمعنى =

والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين.

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق [1].

فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

أن من لم يؤمن بالقدر لم يؤمن بقدرة الله تعالى وسائر صفاته من العلم والحكمة والمشيئة والإرادة.

(١) **الفائدة السادسة**: كتابة الحسنات والسيئات نوعان :

الأول : كتابة سابقة في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء قال تعالى ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ فهذه الكتابة لا يعلمها إلا الله فإنه لا يعلم أحد من الناس ماذا كتب له من الخير والشر.

= والثاني: كتابة لاحقة وهي كتابة الملائكة عليهم السلام ما يفعل الإنسان من الخير والشر بعد فعله فمن همَّ بالخير أي قصده ونواه فله ثواب نيته بحسب إخلاصه. فإن عمله فله ثواب عمله مع ثواب نيته بحسب متابعته للرسول ﷺ وهكذا في الشر يجزي به بحسب عزمه وسعيه وعمله.

ذلك لأن القلب همام بالخير وبضده فإن هم بالخير فهمه حسنة تكتب له وإن هم بالشر وجزم فعزمه سيئته عند الله والعمل يتبع ذلك في الحكم إذا تحقق ووقع.

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢] (١).

---

(١) **الفائدة السابعة** : في القدر والقضاء والرضا: بهما.

الفرق بين القدر والقضاء.

القدر والقضاء إذا اقترفا فذكر أحدهما في نص وذكر الأخر في نص فهما بمعنى فيراد بهما سبق علم الله تعالى بالأشياء على ما هي عليه وكتابته لذلك. ومشيئته لما شاء وجوده منها أن يوجد ووجوده بخلقه تعالى على الكيفية التي أراد.

أما إذا اجتمعا في نص واحد فإنها يفترقان في المعنى :

= ١ - فيراد بالقدر: العلم والكتابة السابقين.

٢ - ويراد بالقضاء المشيئة والخلق اللاحقين. فالقدر هو تقدير الأشياء أزلاً علماً وكتابة والقضاء إيجادها والفراغ منها على نحو ما علم وكتب.

فائدة: في الرضا بالقضاء:

القضاء: الذي هو الفعل ـ أي فعل الله تعالى ووصفه القائم به ـ فكله حق وخير وعدل وحكمة يجب الرضاء به كله لأنه صادر عن عليم حكيم قدير يضع الأمور مواضعها اللائقة بها.

=

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً :

والرضا هو التسليم لله تعالى بقضائه وسكون القلب وطمأنيته عنده.
أما المقضي ففي وجوب الرضاء به تفصيل بحسب أنواعه فلكل نوع حكم وهو ثلاثة أنواع :
الأول: القضاء الديني الشرعي فالرضا به واجب وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان فيجب على العبد أن يكون راضياً بكل ما قضاه الله تعالى ورسوله ﷺ بلا حرج ولا منازعة ولا اعتراض قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾. وقال ﷺ «لا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ».
والثاني: قضاء كوني قدري موافق لمحبة العبد وإرادته ورضاه من الصحة والغنى والعافية واللذة ونحوها. فما هو ملائم لمقتضى الطبيعة لملائمته للعبد محبوب له فليس الرضا به عبودية بل العبودية في مقابلته بالشكر والاعتراف بالمنة ووضع النعمة مواضعها التي يحب الله أن توضع فيها وأن لا يعصى المنعم بها.
الثالث: القضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبته مما هو من قبيل المصائب التي يبتلي الله تعالى بعض العباد بها يصيبه مما لا يلائمه كالفقر والمرض والخوف ونحو ذلك مما لا يدخل تحت اختياره فليس الرضاء به واجباً بل هو مستحب وهو من مقامات أهل الإيمان.
= الرابع : القضاء الكوني القدري الجاري باختياره مما هو من جنس المعائب أي ارتكاب ما يكرهه الله تعالى ويسخطه وينهى عنه كأنواع الظلم والفسوق والعصيان فالرضى به حرام يعاقب العبد عليه لمخالفته لربه فإن الله لا يرضى لعباده الكفر.

فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء.

وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه، بعث إليه ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: أكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. ونحو ذلك.

فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل[1].

(١) فائدة: من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام فإن الله تبارك وتعالى قد قدر أقداراً: فخلق الله الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر، وقسم العافية بقدر، وأمر ونهى بقدر؛ فالقدر قدرة الله تعالى فمن أنكر القدر فقد أنكر علم الله وكتابه وقدرة الله تعالى ومشيئته وخلقه.
وأنكر أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء وما يقع في الكون فهو بمشيئته وخلقه وهو خالق الخير والشر فخلق الشر وإن كان لا يحبه. لما له سبحانه من الحكمة التي باعتبارها كان خلقه له حسناً فكل خلقه تعالى حسن متقن فإنه تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ وهو الذي أتقن ما صنع وأحكم ما شرع ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمًا لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾ فله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولهذا لا يضاف إليه الشر مفرداً = أبداً فليس في فعله شر محض بل إما أن يدخل الشر في عموم خلقه أو أن يضاف إلى سببه أو أن يذكر ويحذف فاعله.
فإنه تعالى العليم الحكيم الخلاق الحميد المجيد ذو الملك وله الحمد. فكما أن ذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وبكل اعتبار فلا يلحقها نقص ولا عيب بوجه من =

وأما **الدرجة الثانية** : فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه؛ لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره، لا رب سواه (1) .

الوجوه فإن أوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام فلا يلحقها عيب ولا نقص بوجه ما وكذلك أفعاله سبحانه كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلاً.

وما يفعله من عقوبة من يستحق العقوبة وحرمان من يستحق الحرمان فهو خير محض لأنه محض العدل والحكمة فهو خير من حيث وقوعه منه سبحانه وإنما يكون شراً بالنسبة للعباد لأنه ترتب على أفعالهم السيئة فهو جزاء أفعالهم.

(1) **فائدة : العلاقة بين الإيمان بالقدر والتوحيد :**

الإيمان بالقدر نظام التوحيد.

- فلا يتم توحيد الربوبية إلا بالإيمان بالقدر فإنه من توحيد الله تعالى في أفعاله وتدبيره لخلقه وعباده.
- ولا يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته وآثارهما في مخلوقاته حتى يؤمن بسبق علم الله تعالى بكل شيء وكمال قدرته ونفاذ مشيئته، وحسن تدبيره لخلقه بفضله ورحمته، وعدله وحكمته، فكما أن لله بكل شيء = عليم، فهو على كل شيء قدير، وبأحوال خلقه بصير وهو الحكيم العليم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أدباً مع الله تعالى كما أخبر سبحانه عن =

ومع ذلك، فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته[1].

الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن، الآية: ١٠].

- ولا يتحقق توحيد الإلهية والعبادة إلا بالتسليم لله تعالى في أقداره، والإيمان بقضائه، والصبر على بلائه والشكر له على نعمائه والتوكل عليه والبراءة من الحول والقوة إلا به.

(١) **فائدة**: لا حجة للعاص بالقدر على المعاصي من ترك الواجبات أو فعل المحرمات بل الحجة لله تعالى عليه فإن الله تعالى قد فطر الناس على التوحيد، ووهب العقول، وشرع الشرائع، وأرسل الرسل وتم البلاغ والبيان وأبلغ في الأعذار إذ تقدم بالإنذار فحجة الله تعالى قائمة على خلقه وحجتهم داحضة عند ربهم لوجوه:

الأول: أن الله تعالى رد على المحتجين بمشيئة الله تعالى على الشرك به قائلين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ بأنهم كذبوا كما كذب الذين من قبلهم وبأنهم ليس لهم علم فيخرجوه إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرصون. فلو كان لهم حجة ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: أن الحجة زالت بإرسال الرسل قال تعالى ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ولو كان القدر حجة للمخالفة لم تنتفي بإرسال الرسل لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

=

وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعبادة الكفر، ولا يحب الفساد [1]
.

الثالث: أن النبي ﷺ أمر بالعمل ونهى عن الإتكال والكسل فقال«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

= الرابع: أن الله تعالى أمر العباد ونهاهم وأخبر سبحانه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ولو كان العبد مجبوراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع وهذا باطل.

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مغيب لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور وإرادة العبد وسعيه للفعل سابقان فهما غير مبنيان على علم منه بقدر الله فكيف يحتج بما لا يعلم.

(١) فائدة: يوضح أمر القدر ويجليه ويزيل اللبس عنه وفيه: أن يعلم العبد أن الله تعالى بعلمه وحكمته وقوته وقدرته ولطفه ورحمته وشمول مشيئته قد جعل للمسببات أسباباً تنال بها وللمقاصد طرقاً ووسائل تحصل بها وقرر هذا في الفطر السليمة والعقول الصحيحة والشرائع الحكيمة ثم نفذ هذا في الواقع فأعطى كل شيء خلقه اللائق به ثم هداه لما خلق له من أصناف السعي والحركة والتصرفات المتنوعة وبنى أمور الدنيا والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الشاهد لله تعالى بكمال العلم والحكمة والقدرة والقوة والمشيئة والخلق واللطف والرحمة، وأشهد العباد أنه بهذا التنظيم الدقيق والتصريف الحكيم والتيسير العجيب قد =

وجه العاملين إلى أعمالهم ونشطهم على أشغالهم وأزال الهموم والأوهام عنهم ونهاهم عن العجز والكسل، وأمرهم بالجد في العمل وجههم على الحرص على ما ينفعهم والاستعانة به وترك اللوم والتحرش على القدر.

= فائدة: الإيمان بالقدر لا ينافي الأسباب فإن الأسباب من قدره الله وربط المسببات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أعظم وأجل صفاته والتي أثبتها الله تعالى لنفسه في مواضع من كتابه.

والأسباب: ـ جمع سبب ـ وهي كل حادث رتب الله تعالى عليه أثراً، وهي نوعان:
أحدهما: الأسباب القدرية وهي كل حادث مؤثر بقضاء الله وقدره. ومن أمثلتها قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، فجعل الرياح سبباً لإثارة السحاب الذي يكون به الغيث «وكجعل الماء سبباً للحياة، والنار سبباً للإحراق».

الثاني: أسباب شرعية وهي كل فعل مطلوب من العبد وهو ما رتب الله عليه ثواباً أو عقاباً. فهو سبب شرعي بهذا الاعتبار. وهو سبب قدري باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره.

فائدة: في الأسباب :
من المتفق عليه لدى الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم على هداهم أن الله تعالى قد علم الأشياء كلها على ما هي عليه وقد جعل لها أسباباً تكون بها، وعلم أنها تكون بتلك الأسباب بإذنه، فرتب سبحانه المسببات على أسبابها في الجملة وقد لا يأذن سبحانه للسبب أن يترتب عليه مسببه لحكمة أرادها كما لم يترتب على النار إحراق إبراهيم ﷺ ولا للحوت هضم يونس ﷺ ولا للسكين ذبح إسماعيل ﷺ ولكن لابد للعاقل المكلف من تعاطي ما شرعه الله وأباحه من الأسباب التي تحصل بها المقاصد من الدعاء لرفع البلاء والسؤال لتحصيل =

الحاجة والعمل الصالح لنيل ثواب الله تعالى وترك المعاصي والمخالفات إتقاءاً للعقوبات المترتبة عليها والسكوت عن الكلام بظن السوء بالله تعالى فإن البلاء موكل بالمنطق فلا ينال العبد شيئاً إلا بما قدره الله له من الأسباب والله تعالى وحده خالق السبب والمسبب فتعاطي الأسباب أمر شرعي وعقلي وترتب المسببات على الأسباب أمر كوني قدري يقع بإذن الله تعالى ومشيئته فإنه تابع لعلم الله وحكمته.

= فالعبد يتعاطى الأسباب المشروعة والمباحة طاعة لله تعالى ورجاءاً له فتعاطي الأسباب عمل بالشرع وكمال في العقل وموافقة لمقتضي الفطرة. فالعاقل يتعاطى الأسباب ويتكل على رب الأرباب فلا السبب يكفي وحده ولا الرجاء بدون سبب مع الأمكان يكفي وحده. فمحو الأسباب ـ أن تكون أسباباً قدح في الشرع والأعراض عن الأسباب وتعطيلها بالكلية نقص في العقل.

والاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد بل لابد من تمام الشروط وانتفاء الموانع ووجود المحل القابل بحيث يتعرف على الأسباب الشرعية والقدرية التي يتوصل بها إلا تحصيل المقصود ويتعاطى ما أمكن منها ويتكل على الله وحده في حصول المطلوب ويؤمن أن الشيء بغير الله تعالى لا يكون وأن كل كائن فهو بقضاء الله تعالى وقدره.

وإذا كان هذا في أمور الدنيا أظهر فإن أمور الآخرة أعظم فإن الله تعالى جعل العلم النافع والعمل الصالح واجتناب السيئات والتوبة إلى الله من الزلات، والإحسان إلى الخلق، أسباباً موجبات للسعادة في الآخرة.

فائدة: الناس في القول بتأثير المسببات في أسبابها أقسام :

=

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم [1] .

والعبد: هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاخر، والمصلي، والصائم.

الأول: طائفة أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها فخالفوا الشرع وكابروا الحس وأنكروا حكمة الله تعالى في ربط المسببات بأسبابها ومن هؤلاء طائفة الأشعرية أتباع أبي الحسن الأشعري..

الثاني: طائفة غلوا في إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها حتى زعموا أنها مؤثرة فيها بذاتها فأشركوا في ربوبية الله تعالى حيث جعلوها موجدة مع الله تعالى فخالفوا الشرع والحس وإجماع الأمة أنه لا خالق إلا الله ومن المعلوم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف عنها مسبباتها بإذن الله تعالى كما تخلف إحراق النار عن إبراهيم.

الثالث: أهل الحق الذين أثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودع الله تعالى فيها من القوى الموجبة وبعد مشيئة الله تعالى وإذنه الكوني = والقدري فهؤلاء وفقوا للصواب وجمعوا بين الشرع والعقل والحس فكانوا أمة وسطاً مهديين إلى صراط الله المستقيم.

(١) **فائدة**: في وجه كون الله تعالى خالقاً لأفعال العباد :

١ - أن الله تعالى خالق كل شيء وأفعال العباد مما يدخل في هذا العموم فمن أخرجه فعليه البرهان. قال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

٢ - أن فعل العبد لا يصدر إلى عن إرادة وقدرة والله تعالى هو خالق العبد وإرادته وقدرته فهو سبحانه خالق السبب الذي يقع به فعله قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾.

وللعبادة قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة [1] ، والله خلاقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ .... أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة[2] ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات[1]، ....

---

(١) **فائدة**: القدر لا ينافي أن يكون للعبد إرادة وقدره يكون بهما فعله فهو مريد قادر فاعل مختار لقوله تعالى ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَٰخِرَةَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۝٢٥ ﴾ وقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ لكن العبد غير مستقل بإرادته وقدرته وفعله كما لا تستقل الأسباب بالتأثير في مسبباتها. قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ ولأن إرادته وقدرته وفعله من صفاته وهو مخلوق فتكون هذه الصفة مخلوقة لأن الصفات تابعة للموصوف فخالق الأعيان خالق للأوصاف.

(٢) **فائدة** : في بيان عظم ضلال القدرية المجوسية :

أخرجت القدرية المجوسية أفعال العباد عن قدرة الله تعالى وخلقه وإرادته ومشيئته وهذا ضلال عظيم يتبين من وجوه:

الأول: أن طاعات العباد ـ من المرسلين والنبيين وسائر المؤمنين والمسلمين ـ هي أشرف ما في هذا العالم لموافقتها أمر الله تعالى الديني الشرعي الذي يحبه ويرضاه =

فإخراج أشرف ما في هذا العالم، وأعظم سبب لسعادة العباد دنيا وأخرى ظلم وجور، وجحود وكفر.

الثاني: أن خلق الله تعالى لأفعال العباد وتكوينها وإيجادها أمر قد اتفقت عليه جميع الرسالات الإلهية والكتب المنزلة من الله تعالى واقتضتها الفطر السليمة والعقول الصحيحة.

الثالث: أن وجود شيء في ملك الله تعالى بغير علمه ومشيئته وإرادته وخلقه تنقص لله تعالى لأن لازمه وصف الله تعالى بالنقائص من الجهل والعجز وقصور الملك تعالى الله عن ذلك وتقدس علواً كبيراً.

(١) **فائدة**: ضل في القدر طوائف:

الأولى: غلاة القدرية قديماً ـ نفاة العلم ـ الذين قالوا إن الأمر أنف، زعموا أن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها ولم يكتبها في اللوح المحفوظ، وإنما يعلم بها بعد وقوعها. ويرد عليهم بالأدلة الدالة على إثبات العلم والكتابة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وقوله ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

الثانية: القدرية المجوسية ـ ضلوا في درجتي المشيئة والخلق حتى زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته وليس الله تعالى في فعله مشيئة ولا خلق. ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقوله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

الثالثة: القدرية الجبرية الغالية في إثبات القدر حتى قالوا إن العبد مجبور على فعله، فليس له فيه إرادة ولا قدرة ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن =

حتى سلبوا العبد قدرته واختباره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها [1].

يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ وقوله ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ حيث أثبت الله تعالى للمكلفين مشيئته وقدرة وإتياناً لما يشاؤن.

(١) فائدة: من ثمرات الإيمان بالقدر:

١- القيام بعبودية الله تعالى بالشكر على المسار والصبر على المكاره والمضار لعلمه أنها بقدر من الله تعالى فلا يقضي الله تعالى له قضاءاً إلا كان خيراً له، لشكره على ما يسره، وصبره على ما يضره، فيحصل له بذلك كمال الإيمان وعلو الدرجة وجليل المثوبة.

٢- تحقيق التوحيد والخلاص من الشرك والتنديد لتسليم المؤمن لله تعالى بالخلق والملك والتدبير بمقتضى علمه وحكمته وأن المقادير بين عدل ربه ورحمته وأن أزمة الأمور بيدي الله تعالى فكلها محكومة بقدره ليس لها ولا للناس من الأمر شيء فهو سبحانه المنفرد بالإعطاء والمنع والوصل والقطع لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وبذلك يتعلق المؤمن بربه ولا يتلفت بقلبه إلى أحد من الخلق فإن التعلق بالخلق من أعظم أسباب الشرك الواقع في الناس خوفاً ورجاء مما يحمل الشخص على مراءاة الناس وإسماعهم طمعاً في = دنياهم أو تطلعاً إلى محمد تهم والمنزلة في قلوبهم أو حذراً منهم أن ينتقصوه، أو يضروه في دنياه.

٣- زيادة الاهتداء فإن المؤمن بالقدر يسير على هدى من ربه فيؤمن بالقدر لعلمه وكمال إيمانه بعلم الله تعالى وحكمته، وعدله ورحمته قال تعالى ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾، وقال سبحانه ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾.

=

٤- تحقيق التوكل ـ الذي هو لب العبادة، فإن المؤمن حقاً بالقدر يتعاطى أسباب تحصيل ما ينفعه ودفع ما يضره ويجد في العمل ويبتعد عن الكسل ويستمد من الله العون ويحسن الظن بالله لعلمه أن مقادير الأمور بيده وأنها منتهية إلى تقديره بكل حال، فإذا توكل العبد على ربه حق التوكل وفوض أمره إليه أمده الله بالقوة والعزيمة والصبر والحيلة وصرف عنه الآفات التي هي نتيجة اختيار العبد لنفسه وذلل له الصعاب وأراه من حسن عواقب اختيار ربه له ما لم يخطر له على بال وأراح قلبه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات وفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي لا تأتي غالباً إلا بالحيرة والحسرات.

٥- الخوف من الله عز وجل: فإن المؤمن بالقدر يجتهد في صالح العمل ويلازم التوبة من التقصير والزلل ولا يحوم حول المحرمات خشية الزيغ والمعاجلة العقوبة وسوء الخاتمة لعلمه بعظمة شأن الله تعالى وأنه قد يملي للظالم ولا يهمله بل يستدرجه بالنعم وهو يمكر به مقابلة جرأته ومكره فلا يغتر بأعماله ولا يقنْط من رحمة ربه لعلمه بسبق الكتاب وإنما الأعمال بالخواتيم.

٦- قوة الرجاء وحسن الظن ليقينه بأن الله تعالى لا يقضي قضاءً إلا وفيه تمام العدل أو الرحمة والحكمة فلا يتهم ربه فيما يجريه عليه من أقضيته وأقداره فتستوي الحالات عنده ويخشى أن يؤتى من قبل نفسه فيرض ويسلم للقضاء ويقف من المقضي بما يقتضيه الشرع فيصبر عند المكاره ويشكر عند المحاب = ويتوب من المعائب ويترقب الفرج عند الشدة ويتحرى خفي الألطاف وبذلك تخف المشقة ويحلو الصبر.

٧- الصبر وقوة الاحتمال فإن الإيمان بالقدر يثمر عبودية الصبر ـ وهو لابد منه لكل الناس ـ على السراء والضراء والبلاء لحسن عاقبته وأن الجزع لا يرد فائتا =

حقيقة الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة(1) :

قال الحسن البصري رحمه الله «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عليه».

٨- الرضا عن الله تعالى فلا يعترض على حكمه ولا يسخط قضاءه لثقته بعدل ربه وحكمته وطمعه في فضله ورحمته ومتى صح تفويض العبد لربه ورضاه بحكمة اكتنفه في المقدور أمران :

أحدهما: عطف الله عليه الذي يقيه ما يحذره.

الثاني: لطف الله به الذي يهون عليه ما يضره ويعقبه بما يسره.

ومن رضي عن الله رضي الله عنه، وارضاه، والرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين قال ابن القيم رحمه الله: من ملأ قلبه من الرضا بالقدر ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة وفرغ قلبه لمحبته والإنابة إليه والتوكل عليه.

* السلامة من الحسد فإن المؤمن بالله وقدره يسلم الله تعالى في جميع أموره. ولا يعترض على أقدار الله الكونية ولا الشرعية فلا يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله لإيمانه بأن الله تعالى هو الذي رزقهم وأوصل إليهم ما كتب لهم وأنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء إبتلاءً واضحاً ولحكمة وغاية يعلمها وأنه حين يحسد غيره فإنه إنما يعترض على الله تعالى في قدرة وقسمته.

(١) فائدة : أرجح الأقوال في تعريف الكبيرة: أنها كل ذنب رتب الله تعالى عليه حداً في الدنيا، أو عقوبة في الآخرة، أو نفي عن فاعله الإيمان أو الفلاح، أو حكم عليه بدخول النار، أو نفي عنه دخول الجنية وهو لا يخرج من الملة ولا ينتفي عن فاعله الإسلام أو مطلق الإيمان.

ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ـ كما يفعله الخوارج ـ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي(١) كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

---

(١) فائدة: من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ففيه تفصيل:

* إن كان مستحلاً لها ـ اعتقاداً ـ فهو كافر بإجماع المسلمين.
* إذا لم يكن مستحلاً لها بل مقراً بكبيرته واستحقاقه للعقوبة عليها فإن لا يخرج من الإسلام بذلك ـ خلافاً للخوارج والمعتزلة ـ المكفرين بالذنوب ـ بل = هو عند أهل السنة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته مستحق للعقوبة شرعاً من حد في الدنيا أو عقوبة قدرية أو أخروية إلا أن يعفو الله تعالى عنه فترجى له الرحمة لما معه من أصل الإيمان وتخشى عليه العقوبة لما ارتكبه من الفسوق والعصيان ولو دخل النار فإنه لا يخلد فيها لأنه لا يخلد فيها إلا الكفار.

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ (1) [الحجرات: 9-10].

ولا يسلبون الفاسق الملي(2) الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار؛ كما تقوله المعتزلة. بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلقة في قوله تعالى: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ [النساء: 92]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [الأنفال: 2]، وقوله ﷺ «لا يَزْنِي

---

(1) حيث أثبت تعالى الإخوة الإيمانية بين المقتتلين مع وجود الاقتتال وهو كبيرة من كبائر الذنوب التي توعد الله تعالى عليها بوعيد شديد، فدل على أن = مرتكب الكبيرة غير المستحل لها لا يكفر كفراً أكبر يخرجه من الملة، وما ذاك إلا لوجود التأويل والشبهة الصارفين عن الكفر المطلق، وما جاء من النصوص فيه إطلاق الكفر على من هذه حاله فيراد به الكفر الأصغر أي أن ما ارتكبه من القتال ونحوه شعبة وخصلة من شعب الكفر وخصاله كقوله ﷺ «خصلتان في أمي هما بهم كفر الفخر بالنسب والنياحة» وقلوه ﷺ «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» أي لا تفعلوا فعل الكفار، وقوله ﷺ في النساء: «تكفرن» يعني تكفرن حق الأزواج.

(2) الفاسق الملي: هو الذي ارتكب شيئاً من الفسوق لا يخرجه من الملة فهذا لا يوسف بكمال الإيمان ـ وهو الإيمان المطلق، ولا يسلب عنه الإيمان كله أي مطلق الإيمان ـ أي الإيمان الناقص ـ بل هو عند أهل السنة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1].

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطي الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

الواجب نحو الصحابة[2] ....

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٤٧٥، ومسلم (٥) من حديث أبي هريرة، وروي عن غير واحد من الصحابة، انظر: مسند أحمد، ٧٣١٨.

(٢) فائدة: تعريف الصحابة :

الصحابة جمع صاحب وصحابي وهو من رأى النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك ودليله الحديث الثابت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: تغزون. فيقال: هل فيكم من رأى النبي ﷺ فتقولون نعم، فتنصرون. وقوله ﷺ «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» يؤمنون بي لم يروني فدل الحديث على :

١ - أن الصحابي من رأى النبي ﷺ وأمن به.

٢ - التابع بإحسان من أمن بالنبي ﷺ ولم يره واتبع الصحابة ﷺ بإحسان على ما كانوا عليه من العلم والاعتقاد والعمل والهدى.

٣- فائدة في مجمل فضائل الصحابة ﷺ :

=

للصحابة ﷺ فضائل كبيرة ومناقب شهيرة اختصهم الله تعالى بها دون غيرهم من الأمة.

الأولى: السبق إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ واعظمه محبة الله ورسوله فإنهم أَمنوا وقت القلة والفتنة والغربة.

الثانية: الصحبة حيث صحبوا خير الأنبياء والمرسلين فهم بذلك خير أهل الملة بإجماع الأمة بل هم ﷺ خير أصحاب الأنبياء والمرسلين -عليهم أكمل الصلاة وأزكى التسليم- على الإطلاق.

الثالثة: ما فازوا به من فضائل الهجرة والإيواء والجهاد والنصرة لخير الخلق ﷺ.

= الرابعة: أنهم خير قرون الأمة على الإطلاق كما ثبتت وتواترت بذلك الأحاديث الصحاح عن النبي ﷺ.

الخامسة: أنهم أعلم الأمة بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ومراد الله ومراد رسوله في الكتاب والسنة.

السادسة: أنهم أعظم الأمة بلاءاً وجهاداً وصبراً ومحبة ونصرة للحق وأهله، وكراهة وبغضاً ومجاهدة للباطل وأهله فأجرهم بحسب ذلك.

السابعة: أن كل خير نالته الأمة من بعدهم إلى يوم القيامة من الإسلام والإيمان والقرآن والحديث والعبادة وعلو الكلمة إنما نالته ببركة فعلهم من علمهم بالدين وعملهم وتبليغهم العلم للعالم وجهاد الكافرين والمشركين.

الثامنة: أنهم أكمل الأمة وخيرها علماً وديناً وعقلاً.

التاسعة: ما ثبت في نصوص القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ من فضلهم وفضائلهم.

=

.... **وذكر فضائلهم** [1] :

العاشرة: ثناء الله تعالى عليهم وتزكيته لهم وأخباره سبحانه برضاه عنهم ورضاهم عنه وثناؤه على الذين جاؤوا من بعدهم تابعين لهم داعين لهم بالمغفرة طالبين السلامة من الغل لهم.

الحادي عشرة: وصية النبي ﷺ بأصحابه خيراً وحثه على حبهم ونهيه عن بغضهم وأذيتهم.

الثانية عشرة: قوة إيمانهم وكماله وحفظهم للسنة وشدة جهادهم لأهل الشرك والبدع.

الثالثة عشرة: ما جاءت به النصوص أن العمل القليل من أحدهم بفضل: العمل الكثير من غيرهم مما يدل على صدق إيمانهم وكمال إخلاصهم في أعمالهم وحسن تأسيهم بالنبي ﷺ وذلك من أسباب شهرة فضلهم وعلو مرتبتهم وكثرة أجرهم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾.

(١) فائدة : دل القرآن العظيم والسنة الصحيحة على فضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن ذلك :

١- قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ الآية فإنهم جميعاً، أول من يدخل في عموم الآية .

٢- قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية والمعنى جعلناكم عدولاً خياراً مرضيين وفي .هذا من تزكيتهم والشهادة بفضلهم على الأمة بل على سائر أتباع الأنبياء والمرسلين ما هو معلوم لدى أهل العلم والإيمان

=

٣- قولـه تعـالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ الآية ففي ذلك الثناء عليهم ما لا يخفي.

٤- قوله تعـالى ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ الآيتان إلى قوله تعالى ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

٥- قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ففي تلك الآيات المحكمة الكريمة الثناء عـلى الصحابة رضوان الله عليهم بالسبق إلى كل خير والإخبار برضا الله تعـالى عـنهم ووعدهم بالجنة التي أعدت لهم.

ومن نصوص السنة في فضائل الصحابة:

١- ما أخرج أحمد بسند رجاله ثقات أن النبي ﷺ قال لأهـل الحديبيـة «لا يُـدْرِكُ قَوْمٌ بَعْدَكُمْ صَاعَكُمْ وَلا مُدَّكُمْ».

= ٢- وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عمران بن حصين ﷺ أن النبـي ﷺ قال: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» وفي حديث بن مسـعود عد ثلاثة قرون.

٣- وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ».

٤- وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال لعمر: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

=

ومن أصول أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: .... ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة النبي ﷺ في

٥- روى الإمام أحمد والحاكم في مستدركه وغيره عن حكيم بن معاوية عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ قال: «وَأَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

٦- روى الإمام أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ».

فمن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم يعني الصحابة ﷺ واستحقاقهم الجنة وأنهم خير هذه الأمة التي أخرجت للناس علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله ـ عز وجل ـ فهم قد حازوا قصيات السبق واستولوا على الأمد وبلغوا في الفضل والمعروف والعلم وجميع خصال الخير ما لم يبلغه أحد. فالسعيد من اتبع صراطهم وأقتفي آثارهم تالله لقد نصر الله بهم الدين ووطدوا قواعد الملة وفتحوا القلوب والأوطان وجاهدوا في الله حق جهاده فرضي الله عنهم وأرضاهم.

قوله: «لا تَسُـبُّوا أَصْـحَابِي لا تَسُـبُّوا أَصْـحَابِي فَوَالَّـذِي نَفْسِي- بِيَـدِهِ لَـوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ» (١) .

---

(١) **خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ و﵃** :

١- محبتهم إياهم، والترضي عنهم جميعهاً، والاعتراف بفضلهم وما ثبت لأحدهم من الفضائل والمناقب، وإظهار محاسنهم.

٢- الإقتداء بهم والحظ على اتباع سبيلهم.

٣- الإعراض والكف: عما قد نسب إلى أحدهم من مساوئ والإمساك عما شجر بينهم من خلاف وقتال وذلك:

أ- لأن أكثر ذلك لا يثبت عنهم بل هو مكذوب مفترى عليهم.

ب- وما ثبت إن ثبت شيء فإنه لا يدري عن وجه وقوعه، بل الذي يظن أنهم فيه مجتهدون مصيبهم له أجران ومخطئهم له أجر على اجتهاده وخطاؤه مغفور.

٤- وما قدر من ثبوت سيئات لبعضهم وقعت من غير اجتهاد عنهم فهم خير البشر بعد المرسلين والنبيين ـ وليسوا بمعصومين وما يثبت من ذلك ـ إن ثبت فهو نزر يسير في بحور حسناتهم.

٥- أن لا يقر أحد ـ فضلاً عن أن يمكن ـ من الكلام في الصحابة رضوان الله تعالى عنهم بكلام يتهمهم به في ديانتهم أو يقدح في عدالتهم أو تنقص أحد منهم أو يفضل أحداً ممن بعدهم عليهم وذلك لثناء الله تعالى عليهم وتزكية النبي ﷺ لهم والإجماع من الأمة على فضلهم وأنهم عدول مرضيون ثقات مأمونون ولاسيما أن جملة ما ينسب إليهم لا يثبت فالواجب أن يقال فيما شجر بينهم:

أ- إما أن يكون سعياً مشكوراً.

=

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم [1] ومراتبهم.

ب- أو ذنباً مغفوراً.

ج- أو اجتهاداً عفى لصاحبه عن الخطأ فيه وأجر عليه، قال تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

(١) فائدة في حقوق الصحابة ﷺ على الأمة: حقوق الصحابة ﷺ من أعظم الحقوق وأوجبها على الأمة لما علمت من شأنهم ومنزلتهم وما أرشدت إليه نصوص القرآن والسنة وكلام سلفهم الأمة مما ينبغي لهم على من بعدهم ومن ذلك:

١- الاعتراف بمنزلتهم من الدين والأمة وما ثبت من فضلهم وفضائلهم.

٢- التلقي عنهم وحسن التأسي بهم في العلم والعمل والدعوة والأمر والنهي والنصيحة والجهاد فإنهم سند الشريعة وأئمة الأمة وأعلمها بمراد الله تعالى ورسوله ﷺ.

٤- سلامة القلوب من بغضهم أو أحد منهم والألسن من سبهم وتنقصهم أو إتهامهم في دينهم أو القول لبعضهم أحداً وكفرهم فإن ذلك من علامات النفاق وكبائر الذنوب ومعادات أولياء الله وآذية المؤمنين بغير ما اكتسبوا.

٥- الكف عن الخوض فيما جرى بينهم من خلاف أو اقتتال واعتقاد أنهم مجتهدون المصيب له أجران والمخطئ له أجر اجتهاده وخطأه مغفور.

٦- الحذر من نسبة المساوئ إليهم فإن جملة ما ينسب إليهم من المساوئ كذب ليس له أصل وما يثبت منه فلا يعرف وجهه مع ما في ذكر ذلك من المفسدة العظيمة التي منها إثارة الأحقاد وتسويد القلوب على السلف الصالح وتجديد الفتنة في أخر الأمة.

ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتَلَ على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار.

ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعه عشر: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ(١)، بل لقد ﭬ ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون الجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﭬ، وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي ﭬ؛ كما دلت عليه الآثار(٢)، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر، وغيره.

(٢) فائدة: دلت نصوص الكتاب والسنة وما أثر عن سلف الأمة على تفاوت الصحابة ﭫ في الفضل والرتبة:

=

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما ـ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر ـ أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا. لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي.

أ – فأفضل الصحابة إجمالاً :

١ – السابقون الأولون من المهاجرين.

٢ – السابقون الأولون من الأنصار.

٣ – أهل بدر، فأهل أحد. =

٤ – أهل بيعة الرضوان.

٥ – من بعدهم من أنفق من قبل الفتح وقاتل.

٦ – من أنفق من بعد الفتح وقاتل.

وكلا وعد الله الحسنى.

ب – أما تفصيلاً فالخلفاء الراشدون وترتيبهم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، ثم بقية العشرة ثم من ثبتت له فضيلة بخصوصه ثم غيرهم.

وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة؛ لكن التي يضلل فيها مسألة الخلاف. وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي.

ومن طعن في خلاقة أحدٍ من هؤلاء، فهو أضل من حمار أهله.

منزلة أهل البيت النبوي[1] : عند أهل السنة والجماعة :

---

(١) فائدة: في آل بيت النبي ﷺ وفضلهم على الأمة :
عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: ألا أيها الناس إني تاركاً فيكم ثقلين:
أولهما: كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه، ثم قال : ـ وهو ـ .
الثاني: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي» الحديث أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم، وكان ـ ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع وغدير خيم ماء قريب من الجحفة. فهذا الحديث تضمن بيان فضل آل بيت النبي ﷺ والوصية بهم وأن اعتقاد فضلهم وأداء حقهم بتوليهم ومحبتهم من العمل =

بكتاب الله تعالى، والطاعة لرسوله ﷺ وحفظ وصيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيهم ـ وآل البيت صنفان:

أحدهما: قرابة النبي ﷺ الذين هم أهل بيته وهم: آل علي، وآل جعفر وآل عقيل، وآل العباس، وهم من بني هاشم ويلحق بهم بنو المطلب لقوله النبي ﷺ إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام فأهل السنة والجماعة يرعون لآل بيت النبي ﷺ قرابتهم ومنزلتهم من النبي ﷺ كما يحبونهم لإسلامهم وسبقهم وحسن ديانتهم ونصرة دين الله عز وجل ويراعون فيهم وصية النبي ﷺ . قال ﷺ والذي نفسي بيده لا يؤمنو حتى يحبوكم لله ولقرابتي ومعناه لا يتم إيمانهم حتى يحبوا أهل بيته لأمرين:

الأول: ولا يتهم الله تعالى وطاعتهم له فهي توجب محبتهم وموالاتهم النبي.

الثاني: المكانة من النبي ﷺ وقرب نسبهم منه ﷺ .

= ثانيهما: أزواج النبي ﷺ فإنهن من آل بيته وذلك:

أ – لقوله تعالى في خطاب نساء النبي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾.

ب– ولما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه علم الصلاة عليهم فقال: «اللهم صلى على محمد وأزواجه وذرياته».

٣– ولأن القرآن دل على أن امرأة إبراهيم من آله وامرأة لوط من منْ آله فأزواج النبي ﷺ أولى أن يكن من آله.

٤– وفي حديث الإفك قال ﷺ ألا رجل يعذرني في رجل أذاني في أهلي.

٥– وما جاء من تخصيص بعضهم بالآل كقوله ﷺ في علي وفاطمة وحسن وحسين اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فهذا يدل على خصوصية لهم من بين أهل البيت ولا ينفي أن يكون غيرهم من أهل =

ويحبون آل البيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خم: «أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

البيت كما قال تعالى في مسجد قباء ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وفسره النبي ﷺ بمسجده ﷺ فدل ذلك على شمول وصف التأسيس على التقوى من أول يوك لكلا المسجدين.

وزوجات النبي ﷺ هن من تزوجهن بنكاح وقد تزوج النبي ﷺ إحدى عشر امرأة ومات عن تسع منهن. وهن: خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت الصديق، وأم سلمة هند بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حي، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، وكلهن أمهات المؤمنين وأزواج النبي الأمين والرسول الكريم ﷺ ورضي الله عنهن في الدنيا والآخرة. وأفضلهن على الإطلاق خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت الصديق.

فأهل السنة والجماعة يحبون أمهات المؤمنين ويعظمونهن ويعتقدون أنهن أمهات المؤمنين في الحرمة لا في المحرمية ويتولونهن ويترضون عنهن ويعرفون لهن فضلهن في العلم والعبادة وحسن عشرة النبي ﷺ وتبليغ العلم للأمة ومكانتهن عند النبي ﷺ ويعظمونهن ويحترمونهم ويؤمنون بما جاءت به = النصوص من فضلهن وفضائل بعضهن بخصوصها ولا يقولون فيهن ألا خيراً.

وقال أيضاً للعباس عمه ـ وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم ـ فقال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم؛ لله ولقرابتي».

وقال: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية.

والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، التي قال فيها النبي ﷺ: «فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[1].

---

(١) الواجب نحو أزواج النبي ﷺ:

يتولى أهل السنة أزواج النبي ﷺ ويحبونهن ويوقرونهن:

١- لقربهن من النبي ﷺ.

٢- حسن عشرتهن له ومكانتهن منه.

٣- وفضلهن في العلم والعمل وعلى الأمة.

٤- ومعاونتهن النبي ﷺ ومؤازرتهن له في دعوته وتبليغ رسالته. =

٥- ولأنهن أزواج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة وهن أمهات المؤمنين في الحرمة لا في المحرمية:

=

تبرأ أهل السنة والجماعة مما يقوله أهل البدع والضلالة في حق الصحابة وآل البيت :

ويتبرؤون من طريقة الرواقض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

---

* ويفضلون خديجة وعائشة على بقية أزواج النبي ﷺ لما لهن من خصوصية وما ثبت لهن من فضيلة :

أ – فمن فضائل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أنها :

١ – أم أكثر أولاد النبي ﷺ .

٢ – وأول من آمنت به من النساء وعاضدته على الدعوة.

٣ – وكان لها منه المنزلة الطيبة.

٤ – وأقرأها جبرائيل من الله السلام.

٥ – وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وصب.

ب – أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فمن فضائلها أنها:

١ – أحب الناس إلى النبي ﷺ وأبوها أحب الرجال إلى النبي ﷺ .

٢ – ومن أحفظ الصحابة رضي الله عنهم والسنة عليه الصلاة والسلام وأكثرهم حديثاً، ونشراً للسنة.

٣ – وكان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في بيتها ولحافها.

٤ – وأقرأها جبرائيل السلام.

٥ – وأنزل الله تعالى في براءتها كلاماً يتلى إلى يوم القيامة.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هم كذب، ومنها قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون: أما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ـ إن صدر ـ حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم[1].

---

(١) **خلاصة تعليل الإمساك عما شجر بين الصحابة :**

١ – ما ثبت من فضلهم وفضائلهم.

٢ – ما وجب بأدلة الشرع من توليهم ومحبتهم.

٣ – أنه لا تعتقد عصمتهم من الذنوب بل تجوز عليهم في الجملة.

٤ – أن الحق من فيما شجر بينهم ـ من غير معرفة جهة يوقع في نفوس بعض الناس بغضاً وذماً لهم وتنقصالأ هم وهذا يؤذيهم ويضر الخائض فيما شجر بينهم دنيا آخرة.

٥ – أن ما ينسب إليهم من السيئات كثير منه كذب.

٦ – وكثير مما صح منه خطأهم هم فيه مجتهدون ولكن لا يعرف كثير من الناس اجتهادهم.

=

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون [1] وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحداً ذهباً ممن بعدهم [2] .

٧- وما يقدر وقوعه من ذنوبنهم فيمكن أنهم تابوا منه وهم أعظم الأمة خشية لله تعالى وأولهم بالمبادرة إلى التوبة.

٨- وما قدر من ذنب لم يتوبوا منه فلهم من الحسنات الماحية وأصابهم من المصائب المكفرة وغير ذلك من موجبات المغفرة ما ليس لمن بعدهم.

= ٩- أنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه أن جملتهم من أهل الجنة فيمتنع أن يفعلوا أو يصروا على ما يوجب النار لأمرين :

أ – ما سمعوه من النصوص في الأمر القعود في الفتنة.

ب- ولما رأوه من الفتنة التي تربوا مفسدتها على مصلحتها.

١٠- أنهم أحق الناس بقوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

١١- أنهم أحق الناس بشفاعة النبي ﷺ .

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، مسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود، وقد روى عن غير واحد من الصحابة، انظر التعليق على «مسند»، أحمد رقم ٣٥٩٤.

(٢) سلف قريباً.

* الواجب نحو آيات النبيين والمرسلين :

فائدة : الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة وعن السلف الصالح من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصل من أصول الإيمان دل عليه القرآن والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ما ثبت من ذلك وأنه حق مثل سفينة نوح وإنجاء إبراهيم من النار وكذلك ناقة صالح وعصى موسى وإحياء عيسى =

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب؛ فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له؛ بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد الخطأ مغفور ؟!

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

للأموات بإذن الله والقرآن العظيم الذي أنزل على محمد وانشقا القمر آية له وهكذا كل ما ثبت من الآيات التي أبد الله تعالى بها رسالتهم عليهم الصلاة والسلام تصديقاً لنبوتهم وتأييداً لحجتهم ودعوتهم ونصرة لهم على أعدائهم وليحذر من التكذيب بشيء مما ثبت من الآيات فإن التكذيب بها أو إنكار شيء منها تكذيب الله تعالى ولرسوله ﷺ وكفر بالوحي ومصادمة للواقع وانحراف عما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى من

= بعدهم وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منّ الله عليهم به من الفضائل، علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

موقف أهل السنة والجماعة من كرامات الأولياء[1] :

---

(١) فوائد تتعلق بكرامات الأولياء :

الأولى: تعريف الكرامة: الكرامة أمر خارق للعادة يجريه لله تعالى على يدي رجل صالح ظاهر الصلاح قائم بطاعة الله على الوجه المطلوب شرعاً.

فكرامات الأولياء هي أمور خارقة للعادة يجيريها الله تعالى على يدي المؤمن التقي ـ أي القائم بطاعة الله تعالى لله على الوجه الذي شرع الله فهي من أثر العلم بالقرآن وإتباع السنة والعمل بهما.

= الثانية: أنواع الكرامات نوعان :

الأول: في العلوم والمكاشفات بأن يقع للولي من العلم أو يكشف له عن الغائب ما لا يكون لغيره كقصة عمر رضي الله عنه مع سارية.

الثاني: القدرة والتأثير بأن يحصل للولي من القدرة والتأثير ما لا يحصل لغيره كما وقع للعلاء بن الحضرمي رحمه الله حين مشي على الماء.

الثالثة: من أمثلة كرامات الأولياء من صدر هذه الأمة: سبق أن الكرامة هي ما يجريه لله تعالى على أيدي أوليائه المؤمنين من خوارق العادات كالعلم والقدرة ومن أمثلتها :

١ - الظلة التي وقعت على أسيد بن حضير حين قراءته القرآن.

٢ - إضاءة السوط نوراً لعباد بن بشر، وأسيل بن حضير حين انصرفا من عند النبي ﷺ فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف سوطه.

=

الرابعة: في شروط كون الكرامة كرامة فهي :
١ - أن تكون فوق قدرة الخلق.
٢ - أن يكون من جرت على يده الكرامة مستقيماً على الإيمان ومتابعة الشريعة.
أما إن كان من جرى على يديه الخارق منحرفاً في الإيمان أو مخالفاً للشريعة فما يجري على يديه من الأحوال الشيطانية.
الخامسة: الحكمة من وقوع الكرمات : لوقوع الكرامات حكم كثيرة منها :
١ - نصرة الدين بإقامته حجته عند الحاجة.
٢ - تكريم الولي بإعانته على أمر ديني أو دنيوي من إقامة حجة أو دفع شدة.
٣- الدلالة على قدرة الله تعالى وتفرده بالمشيئة حيث خرق العادة لوليه.
٤ - أن الكرامات آيات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنها إنما وقعت للأولياء ببركة إتباعهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
٥ - أنها من البشرى المعجلة للولي في الدنيا لدلالتها على ولايتهم وحسن عاقبتهم.
= ٦ - فيها زيادة تثبيت للولي على ما هو عليه من الحق.
٧- زيادة الإيمان بإظهار البرهان وحصول الإحسان من الرحمة لأهل الإيمان.
٨- الدلالة على أنه كما أن لله تعالى سنناً تقتض مسبباتها الموضوعة لها شرعاً وقدراً، فإن لله تعالى سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم وهذا من كمال ربوبيته وحكمته وقدرته.
السادسة: منزلة التصديق بكرامات الأولياء من الدين:
التصديق بما صح به النقل مما وقع من كرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان عند أهل الحق من الصحابة رضي الله عنهم واتباعهم بإحسان فيجب الإيمان بما ثبت من ذلك مثل قصة أهل الكهف ومثل الرزق الذي كان يجده زكريا عند =

مريم عليها السلام، وهكذا قصة أصحاب الغار وأن الله تعالى فرج عنهم الصخرة بقدرته لما دعوه بصالح أعمالهم فخرجوا يمشون وهكذا ما ثبت لأصحاب النبي ﷺ من الكرامات مثل زيادة طعام أبي بكر الصديق لما كان عنده الضيوف ورؤية عمر ﷺ وهو على منبر النبي ﷺ بالمدينة لسارية وهو بفارس وإرشاده إياه أن يأوى هو وأصحابه إلى الجبل فسمعه سارية ففعل ونصره الله تعالى على الكفار ومثل صاحب النبي ﷺ الذي كان في اليمن حين أدعى الأسود العنسي ـ النبوة فلما لم يصدقه ذلك الصحابي ألقاه الأسود العنسي ـ في النار فوجدوها قد صارت عليه برداً وسلاماً.

السابعة: أنكر كرامات الأولياء طائفتان من الناس:

الأولى: زنادقة الفلاسفة ـ وليس ذلك غريب عليهم ـ فإن إنكارهم لها فرع عن إنكارهم وجحودهم لرب العالمين وقضائه وقدرته وحكمته في الخلق والأمر.

الثانية: طائفة من أهل الكلام ـ لشبهة عرضت لهم وهي أن في إثباتها إبطالاً لمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا وهم منهم فإن معجزات الأنبياء مقرونة بالتحدي والكرامات بخلاف ذلك والكرامات الأولياء فرع عن معجزات الأنبياء.

= الثامنة: في تعريف الولاية والولي، وأنواع الولاية:

فائدة: أصل الولاية لغة: المحبة والقرب ضد العداوة التي هي البغض والبعد.

والولاية في الاصطلاح: هي القرب من الله بطاعته وترك معصيته والولي في الشرع: من جمع وصفي الإيمان والتقوى لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾

وعلى حسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله، فكلما كان أكمل في الإيمان

=

والتقوى كان أكمل في الولاية عند المولى جلا وعلا وأولياء لله تعالى من عباده أصناف على قدر إيمانهم وتقواهم :

١ - فأكملهم ولاية وأعظمهم تقوى النبيون والمرسلون وأفضلهم الخليلان محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ثم بقية أولى العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

٢ - الصديقون: وهم خواص إتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم أسبق الأمة إلى الإيمان بالله رب العالمين وأكملها تصديقاً للنبيين والمرسلين.

٣- السابقون بالخيرات المقربون الذين تقربوا إلى الله تعالى بفرائض الطاعات ثم كملوها بما شرع الله تعالى من جنسها من النوافل المستحبات وتركوا المحرمات وأجتنبوا المخالفات وكملوا ذلك بإتقاء الشبهات وترك بعض المباحات فتركوا ما يخافون ضرره وما لا ينفع في الآخر. فأخذوا بما تحققوا نفعه وتركوا ما تحققوا ـ أو خافوا ـ ضرره في الآخرة فتقربوا إلى الله تعالى بكل ما يقدرون عليه فأحبهم الله تعالى حباً تاماً وقاهم به شر الذنوب وحقق لهم المطلوب.

٤ - الإبرار أصحاب اليمن المقتصدون وهم المتقربون إلى الله تعالى بالفرائض فيفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما نهاهم الله عنه ويجتنبون ما حرم عليهم ولم يكلفوا أنفسهم فعل المستحبات ولم يتركوا المباحات.

٥ - الظالمون لأنفسهم بترك بعض الواجبات والوقوع في بعض السيئات لكن اجتنبوا الشرك والكفر ونحوهما من الموبقات خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً = فلهم من ولاية الله وحبه بحسب إيمانهم ولهم من بغض الله وتعالى وعداوته بحسب عصيانهم وهم على خطر عظيم إن لم يتوبوا أو يعفو الله عنهم وهو العفو الكريم.

=

ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمة في سورة الكهف وغيرها؛ وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها يوم القيامة.

---

* فأولياء الله تعالى لا يتميزون عن الناس بلباس ولا إشارة فكم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء وإنما تميز الأولياء بطاعة المولى جلا وعلا فهم يوجدون في جميع أصناف الأمة من غير أهل البدع الظاهرة والفجور والمكابرة فيوجدون في أهل القرآن ويوجد في أهل العلم السيف والحكم وفي التجار والصناع والزراع وغيرهم من أهل الحرف والوظائف وأسباب المعايش وأولياء الله تعالى من عامة المؤمنين المسلمين ليسوا معصومين من الذنوب ومن الخطأ [وإنما العصمة للنبيين والمرسلين فيما يبلغونه من دين رب العالمين وما ينصحون به أممهم من أمر الدنيا جازمين ومبرأون إلا من كل ما لا يلق بمقام النبوة والرسالة] وأولياء الله تعالى لا يعلمون الغيوب وليس لهم قدرة على التصرف في أمر الخلق والرزق ولا يدعون إلى تعظيم الناس لهم بغير ما جاء به الشرع. ولا يسألون الناس أموالهم بل يحسنون إلى الناس فمن أدعى الولاية ليأكل بها أموال الناس أوزعم أنه يعلم مستقبلهم وما تكن ضمائرهم أو دعى الناس إلى تعظيمه بإنحناء أو ركوع أو تبرك ونحو ذلك مما لا يصلح إلا لله تعالى فليس لله بولي بل هو الفاجر الشقي.

صفات أهل السنة والجماعة :

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة : إتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً [1] ، وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وإتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال : «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي .....

(١) فائدة: في أصل أهل السنة مع آثار رسول الله ﷺ :

يرى أهل السنة والجماعة أن آثار سول الله ﷺ نوعان :

الأول: ما أثر عنه ﷺ من أقوال وأفعال وتقريران وإنكار لما وقع من الصحابة مخالفاً لهدية وبيان وجه الصواب عنه فهذا النوع من بيانه صلا لما نزل إليه من ربه وهو من هدية فهذا النوع يجب الأخذ بن والتمسك به وأتباعه عليه الصلاة والسلام منه وهكذا ما صلى فيه على وجه التشريع وكذا ما أقرهم عليه ﷺ والتبرك بريق وشرعه وعرقه لإقراراتهم.

الثاني: ما أثر عنه ﷺ مما هو من قبيل الجيلة والاتفاق والمصادفة فهذا لا لشرع إتيانه فيه بل هو من وسائل الغلو وقد أنكر بعض أعيان الصحابة على من فعله ومن أمثلة ذلك:

١ - أن عمر رضي الله عنه قطع الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها لما علم أن الناس يقصدونها وذلك خوفاً ليهم من فتنة الغلو فيها.

=

.... وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ »[1] .

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد. ولهذا سمو أهل الكتاب والسنة[2].

وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ «الجماعة» قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين[3].

٢- لما بلغه أن ناساً يقصدون موضعاً صلى النبي ﷺ فيه في الطريق أنكر عليهم وقال ما معناه: إنما هلك من كان قبلكم مثل ها كانوا يتبعون آثار أنبيائهم فمن أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يقصدها.

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد «المسند» (١٧١٤٤) وغيرها من حديث العرباض بن سارية.

(٢) فائدة: أهل السنة هم الذين أطاعوا الله تعالى في قوله ﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ فصاروا جماعة واحدة اجتمعوا على الشريعة فتمسكوا بالإسلام الخالص من الشوب وعلى سنة النبي ﷺ فكانوا على مثل ما عليه النبي ﷺ في أصول الدين وفروعه وأخلاقه في اعتقادهم وأقوالهم وأعمالهم وأحوالهم وجانبوا ما خالف ذلك وحذروه منه.

(٣) الجماعة في الأصل هم القوم المجتمعون على أمر :

=

والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنةٍ أو ظاهرة مما له تعلق بالدين(١).

والمراد بهم في باب العقيدة سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان سمو بذلك لاجتماعهم على الحق الصريح من كتاب الله بوسنة نبيه ﷺ وقد تكاثرت الأدلة في الحث على لزوم الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ وقوله ﷺ «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ».

(١) فائدة: بنى أهل السنة والجماعة منها جهم العلمي الاعتقادي والقولي والعملي وفي التعامل مع الناس على ثلاثة أصول، يضبطون بها أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وسلوكهم، ويزنون بها ما يعرضون عليهم من مقالات الناس وآراءهم وأعمالهم وأحوالهم مجتهدين في ذلك فما وافقتها قبلوه وعدوه ديناً حقاً يتدينون به وما خالفها ردوه على من جاء به سواء كان منهم أو من غيرهم، وما لم يتبن أمره توقفوا فيه حتى يتجلى أمره، وهذه الأصول هي:

الأول: كتاب الله تعالى الذي هو خير الكلام وأصدقه والذي جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء وهادين للتي هي أقوم. فلا يقدمون على كلام الله تعالى كلام أحد من الناس كائناً من كان بل يتعبدون بما أنزل إليهم من ربهم لأنه الصراط المستقيم الموصول إلى رضاه ومثوبته.

الثاني: سنة رسول الله ﷺ الثابتة عنه وما أثر عنه من هدي وطريقة لأن هدي النبي ﷺ خير الهدي وأكمله لأنه ملؤه الله وسلامه عليه هو الرسول المعصوم ﴿وَمَا =

﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾ وهو الإمام المكمل الذي قال الله تعالى بشأنه ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ وأمره تعالى أن يقول للمؤمنين ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝﴾ .

= الثالث: هدي خلفاء النبي ﷺ الراشدين وما أجمع عليه الصدر الأول من هذه الأمة قبل الاختلاف والتفرق وظهور البدع لأن أهل هذا الهدي هم أعلم الأمة بمراد الله تعالى في كتابه، ومراد النبي ﷺ في سننه، وأبغض الأمة للشرك والبدع وأهلها وأشدها عليهم، فجمع الله للسلف الصالح بين :

١ – الاستقامة على الشرع بالعمل في الكتاب والسنة طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ .

٢ – الإخلاص لله تعالى والقصد والنية فلا يتوجهون بشيء من حق الله تعالى لحد من خلقه.

٣– الإقتداء بالنبي ﷺ في الكيفية فتحقق لهم ـ بحمد الله ـ الرضا بالله تعالى رباً بالإخلاص له، وبالإسلام الحنيف ديناً بالاستقامة عليه، وبالنبي ﷺ نبياً رسولاً باتباعه وحسن التأسي به والبراءة من الشرك في القصد والبدعة في أصل العمل أو في كيفيته فهم في هذا المنهاج وسط بين من:

أ – من يتلاعب بالنصوص فيتأول الكتاب وينكر الأحاديث ولا يعبأ بإجماع السلف.

ب– وبين من يخبط خبط عشواء فيتقبل كل رأي ويأخذ بكل قول لا يفرق بين صحيح وسقيم.

والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشر في الأمة.

بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال لمن يتحلى بها أهل السنة

ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة [1].

---

(١) فائدة من أصول أهل السنة والجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة وذلك:

١- لآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها.

٢- وهو من الشعائر العظيمة التي تصان بها الحرمات وتحفظ بها الملة وتدفع بها البلايا والعقوبات وما توجبه الشريعة هو الصراط المستقيم الذي هو أقرب الطرق إلى حصول المقصود وقوامه ثلاثة أمور:

أ – العلم وهو قبل الأمر والنهي فلابد أن يكون الآمر الناهي فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهي عنه.

ب- الرفق حال الأمر والنهي.

ج- الصبر وهو بعد الأمر والنهي.

فإن من لم يتحلى بهذه الثلاثة إذا باشر الأمر والنهي كان ما يفسد أكثر مما يصلح ومعظم الفتن الواقعة في الأمة إنما جاءت من هذا الباب.

يرون إقامة الحج والجهاد [1] والجمع والأعياد مع الأمراء، أبراراً كانوا أو فجاراً؛ يحافظون على الجماعات.

---

(١) فائدة : من أصول أهل السنة والجماعة والقواعد التي بنيت عليها عقيدتهم أنهم يرون الغزو والجهاد مع كل بر وفاجر مع ولاة الأمور المسلمين لأمور:
١ - ما جاء في الحديث «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَـذَا الـدِّينَ بِالرَّجُـلِ الْفَـاجِرِ» متفق عليه. وبأقوام لا خلاق لهم.
٢ - أن الصحابة ﷺ كانوا يغزون مع الأئمة والأمراء الفجار.
٣ - أنه لو اشترط لهذه الأمور الصلاح فقط لتعطلت هذه الشعائر وانمحت السنة.
٤ - أن من له ذنوب إذا فعل براً أو أراده فأعين عليه لم تكن الإعانة عليه محرمة بل هي مأمور بها شرعاً فإنها من الإعانة على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ومن تولى الأمور العامة فهو أولى بالإعانة.
٥ - ثم إن ذلك من الطاعة بالمعروف الذي أمر الله به رسوله.
= قال شيخ الإسلام: من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر يعني من ولاة الأمور، ومن يسندوه إليه هذا الأمر من أمرائهم وقادتهم فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين:
أ – إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرر في الدين والدنيا.

=

ويـدينون بالنصـيحة للأمـة [1]، ويعتقـدون معنـى ﷺ : «إِنَّ الْمُـؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ....

ب- وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع أعظم الأمرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام إذا لم يكن إقامة جميعها فهذا هو الواجب في هذه الصعوبة وكل ما أشابهها. بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشـدين لم يقـع إلا عـلى هـذه الوجه، ص٢٨، ٥٠٦-٥٠٧، قلت وانتظار إمام معصوم يقاتل معه مـن عقائـد الرافضة.

(١) من طريقة أهل السنة أنهم يـدينون بالنصـح للأئمـة ـ أي ولاة أمـور المسـلمين، وللأمة ـ عامة المسلمين .. لقول الله تعـالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ ولقول النبي ﷺ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ ثَلاثًا قَالُوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِّ قَالَ للهِّ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَـامَّتِهِمْ» [رواه مسلم]، وفيه أيضاً عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ثَـلاثٌ لا يُغِـلُّ عَلَـيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» ـ أي لا يجتمعن ـ والغـل في قلـب امـرئ مسـلم ـ إخـلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين. والنصيحة كلمة جامعة تدل على إخلاص نية الناصح وحيازته الحظ للمنصوح له.

= فائدة: أئمة المسلمين هم قادتهم في تنظيم شئون الدنيا وفي إقامة الدين، ونشره بين الناس، وتحقيق العدل والأخذ على أيدي السفهاء، وردع المفسدين. فيدخل فيهم الإمام الأعظم ونوابه والمفتون والقضاة، والأمراء. وكل من لـه ولايـة عامـة أو خاصة.

=

النصيحة لهم: دلالتهم على الخير وترغيبهم فيه وإعانتهم عليه ووصيتهم بالحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وحث الناس على ذلك وبذل ما يستطاع من إرشادهم، وتنبيههم إلى ما ينفعهم وينفع الناس وإلى القيام بحقهم بواجبهم، وتذكيرهم بحوائج العباد وعدل واعتقاد ولايتهم، السمع والطاعة لهم بالمعروف وفي غير معصية الله تعالى.

فائدة في الصبر: الصبر حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن الشكوى لغير الله تعالى وحبس الجوارح على ما يجب الله تعالى وعن ارتكاب ما حرمه الله ورسوله وبغضه وبغض أهل تقرباً إلى الله تعالى واستعانة به وطلباً لثوابه في العاجلة والآجلة. فيوطن المرء نفسه على فعل ما يستطاع من المأمور، وترك المحظور، وعلى ما يكره من مر المقدور وقد أكثر الله تعالى من ذكر الصبر في القرآن أمراً به وحظاً عليه وترغيباً في عظيم ثوابه وذكر حسن عواقبه فذكره في أكثر ثمانين موضعاً منها قوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ وقوله ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ وقوله ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ وقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾.

وقرن الله الصبر بالأعمال الصالحة لأنه لا يحسن فيها ولا يداوم عليها إلا بالصبر ودلت النصوص على أن أفضل الناس صبراً الذين يصبرون مع التقوى وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة وثبت عن النبي ﷺ من الأمر بالصبر والترغيب فيه وحسن القدوة فيه ما لا يحصى كثرة فكان ﷺ أعظم المكلفين صبراً ولذا كان أعلاهم عند الله تعالى مقاماً = وقدراً وأشرفهم ذكراً ومما جاء في السنة الصحيحة قوله ﷺ «الصبر ضياء» =

وقوله «وأعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً» وقوله «ما أعطي أحد عطاءاً خيراً ولا أوسع من الصبر» وقوله «ومن يتصبر يصبره الله».

وثبت عن الصحابة ﷺ والسلف الصالح من بعدهم من الوصية بالصبر وبيان عظم منزلته وحسن عاقبته آثار كثيرة كقوله علي ﷺ «إنما نلنا أطيب عيشنا بالصبر» وقوله ﷺ «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، لا إيمان لمن لا صبر له» والصبر أنواع :

الأول: الصبر على طاعة الله تعالى بحيث لا يملها ويتركها.

الثاني: الصبر عن معصية الله ـ مهما عظم الإغراء بها ـ فلا يقتحمها ويرتكبها.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يسخطها فيفعل خلاف ما جاء به الشرع عندها.

* وأعظم أنواع الصبر وأفضلها الصبر على طاعة الله تعالى والصبر على أذى الخلق فيه وهو صبر خواص رسل الله تعالى وهم أولوا ألزم من الرسل نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فإنهم صبروا على الدعوة إلى التوحيد لله تعالى وعبادته وإظهار دينه ومحاجة أعدائهم، وبيان أمره سبحانه ونهيه ووعده ووعيده ومجاهدة المكذبين وصبروا على أذاهم، وكان أكملهم صبرا محمد ﷺ ولهذا كانوا أفضل خلق الله تعالى لعظيم ما صبروا عليه وعظم صبرهم وخصهم الله تعالى بالذكر في أسمائهم في أخذ الميثاق لشرفهم وهم الذين تطلب منهم الشفاعة يوم القيامة لما أظهر الله من فضلهم وأبدى وأعاد في ذكرهم.

* والصبر عن المحرمات أفضل من الصبر على البليات قال سهل بن عبد الله التستري أفعال البر ويفعلها البر والفاجر ولن يصبر على المعاصي إلا صدِّيق.

=

= * والصبر على طاعة الله ورسوله وعن معصية الله ورسـوله همـا أسـاس الإيـمان وفرعه فإن الدين كله صبر على ما يحبه لله ويرضاه ويقرب إليه وصبر عـن محـارم الله وما يغضبه ويكره ويأباه.

* أما الصبر على أقدار الله المؤلمة فهو داخل في عموم الصبر ولكن خص بالـذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به فإن العبد متى ما علم أن المصيبة بإذن الله وأن الله تعالى له أتم الحجة في تقديرها ووجودها، وله النعمة السابغة بها على من صبر عليها لله عبادة وبه استعانة ورضي بقضاء الله وسلم لحكمه وصبر عـلى مـا يكـره تقرباً إلى الله تعالى ورجاءاً لثوابه وخوفاً من عقابة وإغتناماً لأفضـل الأخـلاق في وقته وعند الحاجة إليه فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده، لشهادته بأن ما أصابه من تقدير خالقه ومالكه القادر عليه الذي يفعل ما يشـاء ـ فـلا راد لقضـائه ولا معقب لحكمة فيسلم لربه لثقته بحسن تدبيره له وحسن اختياره تسليم راضٍ عن ذلك التدبير فيورثه ذلك الشكر مع الصـبر، ولهـذا تجـد أن النـاس يتفـاوتون في الصبر على أنواع المكاره كل حسب علمه وإيمانه ونظره في العواقـب فكثـير مـن النـاس يصـبر عـلى المصـائب السـماوية ـ أكثـر مـن الصـبر عـلى ظلـم النـاس ـ لاستشعارهم أن المصائب السماوية من فعل لله تعالى، ويأسهم من الدفع والمعاقبة والتأثير، وأن من لم يصبر وجزع لا بدله متى أن يسلو سلو البهائم والمصاب مـن حرم الثواب فهؤلاء يهون عليهم الصبر على المصائب ولا يهون عليهم الصبر على ظلم الناس لأن الظالم من جنسه والاستشـعاره أنـه قـد يـتمكن مـن دفـع ظالمـه وعقوبته وأخذ ثأره ولو بعد حين.

* وقليل من الناس الذي يصبرون على ظلم الناس مصلحين، فيملكون أنفسهم عند الغضب ويدفعون بالتي هـي أحسـن ولا ينتقمـون لأنفسـهم مـع قـدرتهم لاستشعارهم أن ما أصابهم من الناس قد قدره الله عليهم لحكم كثيرة فقد يكون =

.... يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ»[1] .

كفارة لسيئات ارتكبوها أما تقصيراً في واجب أو فعلاً لمحرم، وقد يكون الله تعالى أراد به ظهور الحق أو رفعه درجة الصابر فقد ينال أحدهم بصبره من الأجر ما لا يدركه بعمله وهذا النوع من الصبر من أفضل أنواع الصبر ـ كصبر يوسف على إخوته ـ وصبر رسل الله عليهم الصلاة والسلام على أذى أممهم لهم من أجل دعوتهم وهو الذي أثنى الله عليه بقوله = ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ وقوله ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾، ومن كظم الغيظ والعفو عن الناس الذي أثنى الله تعالى به على المتقين ووعدهم عليه بالمغفرة والجنة لأنهم صبروا الصبر المحمود فإن أهله لما نالهم من الناس ما يكرهون كظموا الغيظ وعفو عن الناس عن قدره وصفحوا فسلمت صدورهم من الغل على الناس فجمعوا بين الصبر على البلاء والشكر للنعماء والإحسان بكظم الغيظ والعفو والصفح بل الإحسان إلى من أذاهم ابتغاء وجه الله تعالى فهم اسعد الناس بقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

* فإن أفضل الصابرين من صبر مع التقوى فكان كل قضاء يقضيه الله تعالى خيراً وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري.

وقوله ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١) .

ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضى بمر القضاء.

ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (٢) .

ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام؛ وحسن الجوار؛ والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل؛ والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر، والخيلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد في «المسند» (٧٤٠٢) وغيره من حديث أبي هريرة.

(٣) **فائدة في أصول أهل السنة والجماعة في الأخلاق والتعامل مع الخلق :**

=

يؤمن أهل السنة والجماعة بما جاء به القرآن والسنة من الحث على مكارم الأخلاق كقوله تعالى وبقوله وقول النبي ﷺ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» ونحو ذلك مما جاء في هذا الباب ولذا :

١ - يعتقدون أن مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال كالبر والصدقة والكرم والشجاعة والصدق والأمانة والإيمان فيهتمون بها ويتحلون بها ويجعلون غيرهم على التحلي بها ويعينونه عليها.

٢ - يدعون إلى تعامل الناس بالتي هي أحسن وإتيان الحقوق إلى أهلها والإحسان إلى شرع الله والإحسان إليه حتى البهائم ويحذرون غيرهم من ضد ذلك.

٣- وينهون عن ذد ذلك فينهون عن الفخر وهو المباهات بالمكارم والمناقب من حسب ونسب ومن الخيلاء وهي الكبر والعجب، والبغي وهو العدوان = على الناس بالاستطالة عليهم والترفع عنهم واحتقارهم والوقيعة فهم بحق وبغير حق وتفصيل ذلك فيما يلي :

أ – يوصي أهل السنة ببر الوالدين والبر هو الصلة والخير والاتساع في الإحسان ومن البر طاعتهما في غير معصية الله تعالى والإحسان إليهما بجميع ما أمكن وجوه الإحسان وأكرامهما والتواضع والشفقة عليهما والتلطف بهما والدعاء لهما وأن يعاملهما بالتواضع والاحترام والتعظيم لهما إلى غير ذلك مما تقتضيه حسن الأدب قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ وقال تعالى ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ وقال ﷺ «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ» وقال ﷺ «رِضَا الله فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ» ودعى ﷺ على من أدرك والديه أو أحدهما فلما يدخلاه الجنة.

=

ب- من أصول أهل السنة والجماعة الوصية بصلة الرحمة والرحم هي الغرابة لأنها داعية التراحم من الأقرباء، وصلتها تكون بحسب الحال فتكون بالإيمان والنصيحة والمعونة في الهداية والصدقة والمشاركة في الفرح المشروع، والمواساة عند المصيبة. وقد جاء في فضل صلة الرحمة قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ الآية إلى قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ وقوله ﷺ «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ» وقوله ﷺ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

ج- مما يعتني به أهل السنة والجماعة التواصي بمحاسن الأخلاق، والأخلاق جمع خلق، وهي الصفة الراسخة في النفس التي تصدر عنها الأفعال لسهولة من غير تكلف المصورة للإنسان الباطنة ومحاسن الأخلاق ما جاء لأمر به في الشرع والثناء على أهله وعدهم الوعد الكريم فمن محاسن الأخلاق: الصدق والشهادة والنجدة والكرم وعشرة النفس والتواضع والتثبت والشجاعة = والوقار والصيانة والورع والحياة والسخاء والنزاهة والعفة وحفظ السر والقناعة والإشهاد. وقد جاءت في فضل حسن الخلق نصوص كثيرة فمن القرآن قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ وقوله في صفة المتيقن ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ وقوله ﷺ «أَثْقَلَ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ».

د- كذلك مما يعتني أهل السنة والجماعة الحث على التوادد والتراحم والتعاطف فيوصون بأن يشترك المسلمون في رحمة بعضهم لبعض تحقيقاً للأخوة الإيمانية قال =

وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا وغيره، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ.

لكن ما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»؛ صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة.

وفيهم الصديقون (١)، والشهداء (١)، والصالحون (٢)، ومنهم أعلام الهدى (٣)، ومصابيح الدجى، أولوا المناقب المأثورة، ......

تعالى وذلك لأن الإصلاح يؤلف بين القلوب ويدفع الشر ويقطع دابر الفتنة بين المسلمين. وكذلك يوصون بالتواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي والتعاطف وإعانة بعضهم لبعض تقوية لإيمانهم والخير بينهم كما قال ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» فيجتمعون على تنفيس الكرب وتسير العسر وقضاء الحاجات وإقامة الدين والدنيا.

(١) فائدة : الصديق في الأمة وصف لمن كان مصدقاً بما جاءه من الحق عن الله ورسوله فهو من كثير تصديقه ومن كان صادقاً في قصده وصادقاً في قوله وصادقاً في فعله، فلزم الإخلاص لله تعالى في قصده ونيته فيما يأتي وما يذر وتحرى سنة النبي ﷺ، في كل أمر ولم يخالف قوله فعله ولم يقل إلا الصدق وصدق بما قامت السنة على صدقه فليس لديه رد للحق ولا احتقار للخلق وأحق الأمة في هذا الوصف الصديق الأعظم أبو بكر الصديق ﷺ.

.... والفضائل المذكورة وفيهم الإبدال، وفيهم أئمة الدين، الذي أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة التي قال فيهم النبي ﷺ

---

(١) فائدة الشهداء: جمع شهيد وهم كل من شهد بالحق تصديقاً وقولاً وفعلاً وأحق الأمة بهذا الوصف العلماء، لأنهم يشهدون بأن شرع الله حق وقوله حق ووعده حق وما جاءت به رسله حق ويشهدون على العباد بإقامة الحجة عليهم ويوم القيامة تحقق ما وعد الله تعالى وأخبر عنه ومن أفضل الشهداء من قتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ولكن العلماء هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين تهتدي بهم الأمة إلى طريق الجنة ويتبصرون بالأحكام ويعرفون الحلال والحارم فهم أئمة الدين ومن حجة الله تعالى على العالمين.

(٢) فائدة : الصالحون في الأمة هم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق عباده وأكملهم في الصلاح وأفضله وأعلاهم درجة وحظاً من الأرباح المصلحون لغيرهم وفي أرض ربهم فإن تمام الصلاح في الإصلاح.

(٣) فائدة : العلماء هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى سموا بذلك تشبيهاً لهم بالجبال والنجوم التي يهتدي بها إلى الطريق لأن العلماء يهتدي بهم إلى الصراط المستقيم الموصل لمن سلكه إلى جنان النعيم والذي يتردى من ضل عنه في دركات الجحيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى موضحاً الواجب على الأمة نحو العلماء يجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين عموماً لما = نطق بذلك القرآن وخصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم التي يهتدي بها في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم(١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان.

فوائد في الولاية العامة وحقوقها:

الفائدة الأولى: لما كان أمر الولاية العامة وحقوقها من الأصول العظيمة التي أشتمل عليها الكتاب والسنة كثرة الوصية بها من السلف الصالح من الأمة لعظيم شأنها وخطر التفريط فيها لما يترتب على التفريط فيها بالاستهانة بها والإفتيات عليها أو التحريض على الخروج عليها بإغراء الغوغاء وأهل الأهواء بها من فساد أمر الدين والدنيا والآخرة. فإن معظم الفتن الواقعة في الأمة والتي أزهقت بسببها أرواح معصومة وانتهكت من أجلها حرمات محترمة وهلاك الحرث والنسل وشيوع الفساد إنما كان بأسباب ومن باب التعدي على الولاية العامة والاستهانة بحقوقها بسببها وتحريض الغوغاء عليها وترك النصيحة بشأنها والإفتيات عليها واتخاذ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ على وفق الهوى ـ ذريعة للخروج على الولاية وتفريق الأمة ـ كما هو منهج أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والرافضية وغيرها من طوائف الضلال ـ اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم بأمر الولاية العامة وما يتعلق بالولاية، تعريفاً بها، وبياناً لشأنها، وتأكيداً على حقوق أهلها، وما يجب على الأمة نحوها وفصلوا القول في تلك تفصيلاً كافياً شافياً نصيحة للأمة والأئمة وبراءة للذمة، وأكدوا على ذلك حتى عدوا ذلك أصلاً من أصول اعتقادهم = التي تميزوا بها عن أهل الأهواء ونصوا على ذلك في كتب العقائد وبينوا الحق في هذا الأمر وردوا على أهل الأهواء بالدليل القاطع والبرهان الساطع من الكتاب والسنة وما أثر عن السلف الصالح من الأمة وأنا =

أذكر لك من ذلك جملاً مهمة أخذا بهذا المنهاج وهداية لمريد الحق إلى الطريق السالم من الاعوجاج.
الفائدة الثانية: ينبغي أن تعلم ـ ويعلم كل مسلم ـ أن أهل السنة حين اعتنوا بهذا الموضوع ـ أعني أمر الولاية العامة وحقوقها ـ إنما اعتنوا به لعظم شأنه وكبير خطره وعظم أثره، لعلو منزلته من الديانة، وما كلف الله تعالى بشأنه من الأمانة، وما ورد بخصوصه من نصوص القرآن والسنة وكلام السلف الصالح من الأمة فكلامهم بشأن الولاية وحق الولاة وخطر الإفتيات عليهم ومنازعتهم سلطانهم كلام مجرد من الزمان والمكان والأشخاص وإنما يراد به حفظ منصب الولاية وتحقيق مقصودها الشرعي حتى قال النبي ﷺ: «أسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبش كأن رأسه زبيبة وهذا أشد ما يكون على قريش وغيرها من العرب السمع والطاعة له» وبهذا صار منهاجاً شاملاً صالحاً للتطبيق في أي زمان ومكان وشخص مجرداً عن الهوى والعصبية وحظوظ الدنيا ومتعها الأمر الذي حفظ له بقاءه وصار على مر الزمان نبراساً يضيء الطريق للذين ينشدون طريق المنعم عليهم بالعلم النافع والعمل الصالح رجاء أن يكونوا من الطائفة المقصورة الناجية حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك غير مبدلين ولا مغيرين، وتميز به أهل السنة والجماعة عن غيرهم من الطوائف التي ضلت في هذا الباب، فجانبت فيه الحق والصواب.
الفائدة الثالثة: في وجوب نصب الإمام وتعظيم منصبه : من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية المطهرة أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.
فتعيين ولي أمر أعظم ذي قوة ـ من خليفة، أو ملك، أو رئيس أو نحوه ـ يلي الأمر العامَ ويكون مرجعاً للأمة في الأقضية والأحكام. ويصدر منه التوجيه، ويطاع =

فيه ويرد إليه ما يتعلق بالأمن والخوف ـ تعيينه فريضة دينية وضرورة = اجتماعية لما ينشأ عنه من وحدة الأمة، وفض النزاع، وكف الرعاع، وتأمين السبل، وحفظ الثغور وتنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وإجراء الصلح، ونبذ العهد وغير ذلك من مصالح أهل الإسلام في سائر أنواع الاجتماعات، فإن الأمر والنهي والإلزام والكف لا يتم إلا بولاية وقوة ولا يكون ذلك إلا بوجود سلطان مطاع، إما بالانتخاب والشورى، أو بالغلبة والقهر فمن ولي الأمر العام وكان له قوة يدبر بها أمره وجبت طاعته في المعروف بأي وسيلة تولى الأمر وحرمت منازعته والإفتيات عليه أو الخروج عليه أو بيعة غيره كائناً من كان.

وكلام أئمة السلف الصالح ـ في هذا الباب كثير ـ يقررون فيه وجوب نصب السلطان الأعظم، ويقررون حقوق الولاية، ومعرفة قدر الوظيفة ومقام السلطان لما يترتب على ذلك من حفظ الدين وصيانة الحرمات وتحقيق المصالح في الدين والدنيا ودرء الشرور والفتن فكل هذه الأمور لا تتم إلا بالولاية ومعرفة نعمة الله تعالى بوجود السلطان وقوته والقيام بحق هذه النعمة والحذر من موجبات زوالها قدر الطاقة. قال علي ﷺ : «الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر» إلى آخره.

فالسلطان أو ولي الأمر الأعظم هو من يلي الإمامة العظمى أي هذا المنصب سواء سمي خليفة أو ملكاً أو رئيساً أو رئيس وزراء، فلا مشاحة في الاصطلاح ما لم يخالف نصاً شرعياً أو ينازع الله تعالى فيما هو من خصائصه.

ويلحق به كل من ينوب عنه في أي اختصاص من اختصاصاته من مفتي أو قاضي أو ولي حسبة أو أمير أو وزير وكل ذي مسؤولية عامة في الدولة فإن العلماء والأمراء هم أولو الأمر في مصطلح الكتاب والسنة كما قال تعالى:
=

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ الآية. فالآية عامة في العلماء والأمراء كما جاء تفسيرها بذلك عن السلف الصالح، ـ فإنه لا يستقيم أمر الناس في دينهم ودنياهم إلا بطاعة هذين الصنفين من = أولي الأمر في المعروف ـ فإن العلماء يبينون حكم الله تعالى في النازلة وقت الحاجة قضاءاً أو إفتاء أو تعليماً أو حكماً في النازلة ـ تبليغاً عن الله ورسوله والأمراء ينفذون حكم الله تعالى ويلزمون به ويقيمون حدوده. فكل ذي ولاية في الدولة المسلمة عليه من المسؤولية وله من الحق على غيره بحسب ولايته. وأعظمهم مسؤولية وأجلهم حقاً ولي الأمر الأعظم.

قال الإمام ابن زمنين شيخ قرطبة في زمانه في كتابه أصول السنة: ومن قول أهل السنة أن السلطان ظل الله في الأرض وأن من لم يرى على نفسه سلطاناً براً كان أو فاجراً فهو على خلاف السنة.

قلت وإنما كانوا يرون أن السلطان ظل الله في الأرض لما يروى من الأحاديث بهذا اللفظ والمعنى عن النبي ﷺ ولما يحصل به من الرحمة وصيانة الحرمة وإقامة الملة وتحقيق الكرامة وجمع الكلمة ووحدة الأمة وتحقيق الهيبة.

فوجود السلطان من أعظم النعم على الأمم التي يجب أن تعظم وتحترم وأن لا تهان فتبوء الأمة بالحرمان من الخيرات ففي سنن الترمذي عن أبي بكرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهَّ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللهُّ» وجاء عن حذيفة ﷺ موقوفاً قال: «ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا» قلت والواقع خير شاهد على ذلك فما حرض قوم على سلطانهم ونالوا منه ألا فتحوا على أنفسهم أبواب الفتن وأنواع الشر وما خرج قوم على سلطانهم إلا لم يدركوا خيراً منه والغالب أنه يحصل بينهم من الإقتتال =

والفساد ما يكون به أعداؤهم من اليهود والنصارى أرحم بهم من أنفسهم ولـذا قيل: إمام غشوم خير من فتنة تدوم.

وقيل ستون سنة بإمام جائر خير من ليلة بلا إمام ولهذا كان من القواعد المقررة عند السلف زيادة الاعتناء بهذا الموضوع أعنى موضوع حقوق ولاة الأمور كلما ازدادت الحاجة إليه رداً على أهل الأهواء وتفنيداً لشبهاتهم = وسداً لأبواب الفتن وإيصاداً لمنافذ الخروج على الولاة الذي هو أكبر سبب وأعظم موجب للفشل وذهاب الريح ونقص أو ذهاب الدين والدنيا.

الفائدة السابعة: في وجوب السمع والطاعة للولاة في المعروف.

الذي عليه اعتقاد أهل السنة والجماعة وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور المسلمين ـ في غير معصية الله تعالى وإن جاروا أو ظلموا أو منعوا الحقوق وذلك ـ أصل من أصول أهل السنة مجمع عليه عندهم لما جاء بشأنه من النصوص القطعية من الكتاب والسنة كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ الآية، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى ـ اللهَّ وَمَنْ يُطِعْ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي» وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ» وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ».

فمقتضى هذه النصوص وما جاء في معناها وجوب طاعة ولاة الأمور المسلمين في غير معصية الله تعالى مطلقاً فيما وافق الغرض والهوى وفيما خالفهما وفيما يشق =

وتكرهه النفوس وفيما تحبه النفس وتهواه وفي حال الأثرة وهي اختصاص الولاة بالمال وأمور الدنيا عن الرعية.

فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم فقد أخرج مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه ـ وبوب عليه النووي بقوله: باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق فعن سلمة بن يزيد الجعفي ﷺ قال لرسول الله ﷺ فقال: «يَا نَبِيَّ اللهَّ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا» الحديث وفيه: فقال رسول الله ﷺ «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»، وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ = تُنْكِرُونَهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَّ الَّذِي لَكُمْ»، ولما ذكر رسول الله ﷺ الأئمة الذين يأتون من بعده ـ ومن صفتهم أنهم ـ لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته وقال سيكون فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس والمراد ـ والله أعلم ـ ينازعون هؤلاء الأمراء بغير هدي الشريعة لا نصيحة للأمة ولكن طلباً للدنيا، ونصرة للهوى. ويلبسون للناس في معارضتهم لهؤلاء الولاة لباس الدين قال قائل من الصحابة ـ كيف اصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فهذه النصوص ومثلها كثير قاضية بوجوب السمع والطاعة للولاة بالمعروف وإن قصروا في الذي عليهم، أو ظلموا وجاروا على من تحت أيديهم فإن من ضيع ما عليه فإن إثمه عائد إليه ولا يجوز أن يكون تقصير أحد الطرفين فيما عليه حاملاً للآخر على منع ما وجب عليه ونحوه وأن طاعة الولاة في طاعة الله ورسوله وما لا معصية لله ورسوله فيه دين يدان به الله عز وجل رغبة في ثوابه وحذراً من عقابه.

=

وأن كون الولاة لا يطاعون في المعصية لا يعني عدم طاعتهم مطلقاً، بل لا يطاعون في الأمر الذي فيه معصية بخصوصه مع وجوب السمع والطاعة لهم في غيره من الطاعات الواجبة والمستحبة، والتنظيمات المباحة.

هذا ظاهر النصوص وهو اعتقاد السلف الصالح وأصل من أصولهم التي خالفوا فيها أهل الأهواء وكلامهم ونصوصهم في ذلك معلوم محفوظ.

قال الإمام أحمد رحمه الله نوى السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر.

وقال ابن قدامة رحمه الله في لمعة الاعتقاد: ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله ورسوله بطاعتهم فمن أطاع الله = ورسوله بطاعة ولاة الأمور فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم فماله في الآخرة من خلاق. وقال أيضاً رحمه الله: وأما أهل العلم والدين والفضل ـ يعني أئمة السلف الصالح ـ فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه كما قد عرف من عادة أهل السنة والدين قديماً وحديثاً ومن سيرة غيرهم.

قلت وإنما جاء هذا النص والتأكيد من السلف الصالح على طاعة ولاة الأمور لما في المخالفة من الشؤم والشقاء في العاجلة والآجلة ولما يترتب على الطاعة في =

المعروف والصبر على الجور وأداء الحق المستحقة مـن الفوائـد الكثـيرة وانـدفاع الشرور الكثيرة فمن ذلك:

١ - أن طاعتهم في المعروف عبادة الله تعالى وأخذ بسنة نبيـه ﷺ فهـي مـن تحقيـق مدلول الشهادتين.

٢ - أنها تسبب وحدة الكلمة واتحاد الصف واجتماع الأمة عـلى الخـير والتعـاون عليه بين رعاة الأمة ورعيتها.

٣- بطاعتهم تستقيم الأحوال وتنفذ الأوامر وتقـام الحـدود، وتحفـظ الحقـوق، وتصان الحرمات، ويحصل الأمن وينصف المظلوم ويردع الظالم وتأمن السبل.

٤ - ظهور الدولة وقوة السلطان وهيبة الأعداء وقطع أطماع أهل الأهواء.

٥ - تحقق النصر على الأعداء وعيشهم عيشة السعداء.

٦ - أما إذا لم يطاعوا فإنها تفسد الأمور ويأكل القوى الضعيف فيقـع الاخـتلاف وتنتشر ها الأحقاد وتشتعل نار الفتنة وتتوافر أسباب المحنة.

٧- إمتثال أمر الله تعالى وطاعته بشأن أولى الأمر فطـاعتهم بـالمعروف طاعـة الله تعالى كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال من يطع أميره ـ وفي لفظ، الأمير، فقد أطاع الله.

= ٨- توفر الأمن والاستقرار في ديار الإسلام وهذا أمر ظاهر فإنه أولى طاعة الأمر تقوى سـلطانه عـلى النـاس وقـوة السـلطان مـن أعظـم أسـباب تـوفير الأمـن والاستقرار والطمأنينة في المجتمع.

٩ - ظهور الدولة بمظهر القوة والهيبة وفي ذلك عـز الولايـة وذلـك ممـا يرهـب الأعداء ويقطع أطماع أهل الأهواء.

=

١٠- دفع مكائد الأعداء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا والحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق والاجتهاد في إبعاد كل أسباب الفرقة والاختلاف بينهم فإن ولاة الأمور المسلمين مع أهل الإسلام في الاعتقاد والعمل فإنهم وإن فسقوا وفجروا، أو جاروا وظلموا فإنهم لا يوالون ولا يعادون على رابطة غير الإسلام ولا ينصرون ويبقى سلطانهم إلا بالإسلام ومجتمع المسلمين.

١١- قوة الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل أحد وفي كل مكان وعلى حسب الحال على هدى الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح فإن اليسير من دعم الولاية خير وأقوى من كثير من دعم العامة.

١٢- أن الولاة أقوى من غيرهم بل هم سند لأهل العلم والدين في المجاهدة على إحياء السنن وتجديد الدين ونفي البدع وإبطال المحدثات فيه والسعي في إقامة حكم الله وشرعه في كل صغير وكبير.

١٣- التحلي بالإنصاف والعدل والاجتهاد في الإحسان إلى مستحقه من الخلق والأخذ بالعفو والصفح ما أمكن مراعاة لحق الله تعالى وتقديراً لتعاون مجتمعهم معهم.

الفائدة الخامسة: في وجوب النصيحة لولاة الأمور المسلمين:

النصيحة كلمة جامعة تدل على حب الخير وإرادته وحيازته للمنصوح له. وهي أصل من أصول دين الإسلام العظيمة. وأصل من أصول أهل السنة والجماعة فإنهم يدينون بالنصيحة لمن شرع الله تعالى النصيحة له. قال تعالى

= ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾.

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إن الله يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا

=

تَفَرَّقُوا وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ».

وروى أهل السنن أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ إِمرِئٍ مُسلِّم مُؤْمِنٍ إِخْلاصُ الْعَمَلِ للهِ وَالنَّصِيحَةُ لِوُلاةِ الْمُسْلِمِينَ وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» وقد بلغ من عناية النبي ﷺ بالنصيحة أنه كان إذا بايع رجلاً من أصحابه على الإسلام شرط عليه النصح لكل مسلم فيما استطاع.

وإنما أوجب الله على أهل الإسلام النصيحة لما يترتب عليها من الفوائد الكثيرة والمصالح الكبيرة وإذا كانت النصيحة لعموم أهل الإسلام واجبة متحتمة وهي الدين ومن أعظم حقوق الله تعالى على المكلفين فهي لولاة أمور المسلمين أحق وآكد لأن النصح لهم مما يتعدى نفعه وتعم فائدته ويمتد أثره فإن الواجب على كل مسلم أن يعني بالنصح لولاة الأمور وأن يخلص لله تعالى نيته بأن يبتغى بلك وجه الله ومثبوته قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ـ عن أهل السنة: «وهم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إلى قوله ويدينون بالنصيحة للأمة».

فالنصيحة لولاة الأمور من أعظم وأكد حقوقهم على الرعية فيجب على الرعية القيام بها نحوهم على الوجه المشروع فتؤدي النصيحة لولاة الأمور من السلطان الأعظم إلى القاضي والمفتي والمحتسب والأمير والوزير وكل ذي ولاية كبيرة أو صغيرة كل بحسب منصبه ومقامه وما أنيط به من مسؤولية. فإنهم لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقامامتهم، فمن النصح لهم :

= ١ - الاعتراف بولايتهم واعتقاد وجوب طاعتهم في المعروف ـ ومناصرتهم على الحق.

=

٢- بذل ما يحتاجون إليه من دلالة على الخير وإرشاد إلى حق وتوجيه إلى ما ينفع كل أحد بحسب حاله.
٣- القيام بما يولونه من أعمال أو يكلفون به من الأمور بكل صدق وأمانة دون تقصير أو غش أو خيانة.
٤- تنبيههم على ما قد يقع منهم من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج عن الإسلام بلطف ورفق ولين وحب صلاحهم ورشدهم وعدم الشماتة بهم والتشنيع عليهم.
٥- السعي في تأليف قلوب الناس عليهم وحب اجتماع الكلمة عليهم وبغض افتراق الأمة عنهم.
٦- رفع المظالم إليهم وإعلامهم بما غفلوا عنه من أمور الرعية وحقوق الخلق.
٧- أن لا يغروا بالثناء الكاذب والتزكية لهم.
٨- كل هذه الأمور يقام بها نصيحة لهم على الوجه الشرعي ومباعدة عن النهج البدعي.
وفي مسند أحمد عن عياض بن غنم سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلا يُبْدِ لَهُ عَلانِيَةً وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ».
وهذا الحديث أصل في إخفاء النصيحة للسلطان وأن الناصح إذا قام بالنصح على هذه الوجه فقد برئ وخلت ذمته من التبعه.
وذلك لأن إخفاء النصيحة والإسرار بها له من الشفقة عليه، ومحبته هدايته، وإشهارها والتشهير به من أهانته وأي فلاح يصيب قوما أهانوا سلطانهم علانية وقد جاء في مسند أحمد وغيره عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا
=

أَهَانَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ومن إهانته السلطان إظهار عيوبه = وتقصيره والحديث عن جوره وظلمه أمام العامة ونصيحته مجاهرة مجاهدة فإن الكلام في ولاة الأمر على هذا النحو من المنكرات والفتن فلا يغتر بمن يفعل ذلك ولو حسنت نيته واشتهر فضله فإنه خلاف نصوص الشرع ومنهاج السلف وهو شؤم وفتنة وإن الحق أحق أن يتبع وماذا بعد الحق إلا الضلال ومما يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد ﷺ أنه قيل له ألا تدخل على عثمان لتكلمه فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم والله لقد كلمته فيما بين وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه».

قلت: يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ لما في ذلك من الفتنة العظيمة من تنقص السلطان، وتجرأة أهل الأهواء على الولاية وتهييج الغوغاء.

وقد تحقق ما حذره أسامة ﷺ ـ من الفتنة ـ بسبب المجاهرة بالنصيحة والأمر والنهي على خلاف ما توجبه الشريعة

وفي الزهد: أن عمر بن الخطاب قال «أيتها الرعية إن لنا عليكم حقاً النصيحة بالغيب والمعاملة على الخير» وقال ابن عباس لمن سأله عن أمر السلطان بالمعروف إن كنت فاعلاً ولابد ففيما بينك وبينه.

الفائدة السادسة : في وجوب الصبر على جور الولاة والحذر من المنازعة ونزع اليد من الطاعة.

جور الولاة وظلمهم من المصائب التي تبتلى بها بعض الشعوب بأسباب الذنوب يجعلها الله تعالى تمحيصاً ورفعه لدرجة الصابرين وتشخيصاً وهلاكاً للمجرمين قال تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾، وقال تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا» وروى عنه ﷺ أنه قال: «وأَعِلم أَنَّ النَّصْرَ مَعَ =

الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»، وقال ﷺ «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ» ولذا كانت الوصية بالصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة لما فيه = من جلب المصالح ودرء المفاسد وتقليل الشر وهو من جنس الصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي لما يرجى أن يتحقق به من المصالح الراجحة ودفع المفاسد الكثيرة فأهل السنة والجماعة يقابلون جور السلطان بالصبر والاحتساب ويرجون به حط الخطايا وكثرة الثواب مع انتظار الفرج القريب وقد جاءت النصوص الكثيرة حاثةً على الصبر على جورهم كقوله ﷺ «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ» [متفق عليه] وقوله ﷺ «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ» [صحيح مسلم] وقال ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» [متفق عليه].

فيجب الحذر من التحريض على السلطان والتعرض لهم بالتنقص من قدره أو الوقيعة في عرضه لما في الترمذي عن أبي بكر سمع رسول الله ﷺ قال «مَنْ = أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللهُ» وقال حذيفة ﷺ : ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا.

والواقع شاهد بذلك فكل من سعى في تحريك فتنة على السلطان لابد أن يرى الذل والإهانة قبل موته وهذا من العقوبات القدرية.

قال الإمام ابن زمنين: ومن قول أهل السنة أن السلطان ظل الله في الأرض فإنه من لم يرى على نفسه سلطاناً براً كان أو فاجراً فهو على خلاف السنة وقد تولى الخلافة والإمارة في بعض البلدان والصحابة متوفرن ولاة فيهم شيء في الفسق والجور والظلم مثل يزيد ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة والحجاج بن يوسف وغيرهم وكان أفاضل الصحابة كابن عمر وابن مسعود وأنس بن مالك =

يسمعون لهم ويطيعون في المعروف ويصلون وراءهم ولم يأمروا الناس بالوقيعة فيهم ولا عصيانهم في المعروف ولا الخروج عليهم بسبب ما هم عليه من الظلم والجور والفسق الذي لم يخرجهم من الإسلام بل كانوا يحثون الناس على السمع والطاعة لهم بالمعروف ويشددون النكير على من يحرض على عصيانهم أو الخروج عليهم لما في طاعتهم ونصيحتهم = والاجتماع عليهم والصبر على جورهم وترك التحريض عليهم من جمع الكلمة والتأليف بين القلوب ودرء الفتن وقطع دابر السر وكان أهل السنة والجماعة يوصون من أطاعهم بالصبر على جور الأئمة وينهونهم عن الشقاق والمنازعة.

قال الحسن البصري: أعلم عافاك الله أن جور الملوك نقمة من نقم الله ونقم الله لا تتقى بالسيوف وإنما تتقى وتستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة والإقلاع من الذنوب.

وقال: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله عنهم.

ولما سمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج قال: لا تفعل رحمك الله إنكم من أنفسكم أتيتم إنما نخاف لو عزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير فكان أهل السنة يصبرون على جور الأئمة ويثبتون الأمة ويهرعون إلى التوبة ويسألون الله تعالى أن يكشف ما بهم من ضر ولا يقدمون على شيء مما نهى عنه الشرع المطهر في هذه الحال من حمل سلاح أو إثارة فتنة أو تحريش أو نزع يد من طاعة لعلمهم أن هذه الأمور إنما يفزع إليها ويزينها من لا قدر للآيات والأحاديث في قلبه من أهل الأهواء الذين تسيرهم الآراء لا الآثار وتتخطفهم مكائد أهل الكتاب والمشركين ويستزلهم الشيطان بخطواته ليهلكهم ويهلك بهم.

وقال: ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص٥٤١ بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإنه تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء =

من جنس العمل فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإخلاص العمل قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ وقال ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ ﴾ وقال وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما = كانوا يكسبون فإذا أرادت الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم، وقال الحسن البصري رحمه الله، في الأمراء: يلون من أمورنا خمساً الجمعة والجماعة والعيد، والثغور، والحدود والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا، وإن ظلموا والله لما يصلح بهم أكثر مما يفسدون وإن طاعتهم والله لغبطة، وإن فرقتهم لكفر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولاية الناس من أعظم الواجبات الدينية، والتي لا قيام للدين ولا صلاح للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع على رئيس يطيعونه حتى أمر النبي ﷺ المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمروا عليهم أحدهم، فأوجب تأمير الواحد في الجمع القليل تنبيهاً على.

الفائدة السابعة: في وجوب ترك سب الأمراء: قد وردت نصوص صحيحة تتضمن النهي عن سب ولاة الأمور لما في سبهم من تغيير القلوب وتهيج الغوغاء وإذكاء نار الفتنة وفتح أبواب الشر على الأمة ففي سنن الترمذي أن أبا بكرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللهُ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

وفي السنة لابن أبي عاصم بإسناد جيد عن أنس ﷺ قال نهانا كبراؤنا من أصحاب النبي ﷺ قالوا لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم وأتقو الله واصبروا فإن الأمر قريب.

=

ففي هذا الأثر اتفاق أكابر أصحاب رسول الله ﷺ على تحريم الوقيعة في الأمراء بالسب لما في ذلك من المحافظة على هيبة المنصب العام ولعظم المسؤولية التي وكلت إليهم في الشرع والتي لا يقام بحقها على الوجه المطلوب منهم ومن الرعية مع سبهم والوقيعة فيهم ولما يفضي إليه من عدم الطاعة في المعروف وإيغار الصدور وفتح منافذ الإسماع والقلوب أمام أهل الأهواء ودعاة الفتنة والشر.

= وقد أخرج ابن عبد البر في التمهيد عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: إن أول نفاق المرء طعنه في إمامه وفي السنن أيضاً ﷺ قال: إياكم ولعن الأمراء فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة، إلى أن قال: أصبروا فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت.

وسمع أبو وائل شقيق بن سلمة رحمه الله رجلاً يسب الحجاج فقال: لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم أغفر لي فغفر له.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في الرياض الناظرة ص٤٩ واجتناب سبهم والقدح فيهم وإشاعة مثالهم فإن ذلك ضرراً خطيراً وفساد كبيراً فمن نصحتهم الحذر والتحذير من ذلك.

وعلى من رآى منهم ما لا يحل أن ينبههم سراً لا علناً بإشارة لطيفه وعبارة تليق بالمقام ويحصل بها المقصود فإن هذا مطلوب في حق كل أحد وبالأخص ولاة الأمور فإن تنبيهم على هذا الوجه فيه خير كثير وذلك علامة الصدق والإخلاص.

ومما ينبغي الحذر من التمدح بنصيحتهم عند الناس فإن هذا مما يفسد النصيحة وينقص الأجر وكذلك يجب ترك الوقيعة في أعراضهم والتنقص لهم أو الدعاء عليهم.

=

لأن هذه الأمور تزرع الضغائن وتولد الإحقاد والبغضاء وتهيج الفتنة وتوقع بأسهم بينهم.

فالواجب على المسلم الحق المؤمن بالله واليوم الأخر أن يسعى جاهداً في الإصلاح بين المؤمنين وجمع كلمة المسلمين والتأليف بين قلوبهم وإزالة أسباب القطيعة وفسادا ذات البين ولاسيما أن كان الشخص من أهل العلم والجاه في المجتمع كان الواجب عليه أعظم وتوليه أمر في هذا الجانب لما فيه من طاعة الله تعالى ونفع عبادة.

الفائدة الثامنة في الدعاء لولاة الأمور :

= لما أظهر أهل الأهواء الشناعة على ولاة الأمور والدعاء عليهم أظهر أئمة السنة تعظيم أمر الولاية العامة والدعاء للولاة بالصلاح والتوفيق والتسديد فلما سئل الإمام أحمد رحمه الله عن طاعة السلطان فقال بيده عافا الله السلطان ـ تنبغي ـ يعني طاعته سبحان الله السلطان.

وقال المروذي سمعت أبا عبد الله يعني الإمام أحمد ـ وذكر عنده الخليفة المتوكل ـ فقال: أني لأدعو له بالصلاح والعافية، وقال: إن حدث به حادث لتنظرن ما يحل بالإسلام ـ يعني من النقص.

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فأعلم أنه صاحب هوى وإذا سمعته يدعو للسلطان بالصلاح والتوفيق فأعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

وقال الفضيل رحمه الله: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلناها إلا في السلطان قالوا يا أبا على ذلنا؟ قال إن جعلتها في نفسي لم تعدني وإن جعلتها في السلطان فصلح صلح بصلاحه العباد والبلاد.

=

ولما قيل لبعض السلف: أتدعو للسلطان وهو ظالم؟ فقال أي والله أدعو له إن ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات وأفضل الطاعات.

وقال: إنه يعني الدعاء للسلطان من النصيحة لولي الأمر والتي هي من مقتضى البيعة فمن النصيحة له الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة، قلت: وكان رحمه الله كثير الدعاء بالخير لولاة الأمور ـ خصوصاً لما شنع عليهم من شنع في بعض الأمور ودعا عليهم في بعض الأحوال تصريحاً أو تلويحاً ـ صار الشيخ ـ لا يكاد ينتهي من محاضرة أو موعظة أو درس إلا دعا للمسلمين عامة ولولاة الأمور خاصة ومن أهتم بذلك تبين له جلياً من سيرته وهديه قلت في الدعاء لولاة الأمور بالخير فوائد كثيرة:

١- أن الدعاء عبادة لله تعالى ينال الداعي المخلص عليها ثواب العبادة.

٢- يفوز الداعي يمثل ما دعا به لولي الأمر من الخير لقوله ﷺ «مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ» فإذا دعا لولي الأمر بالعافية والصلاح والتسديد والتوفيق كان له مثل ذلك.

٣- أنه يؤجر ويثاب على كل خير يوفق له ولي الأمر في خاصة أمر في رعيته لأنه سبب فيه.

٤- أن في الدعاء لولي الأمر تصديقا لاعتقاد الداعي بإمامته ووجوب طاعته كما قال الإمام أحمد رحمه الله إني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية وفي عسري، ويسري، ومنشطي، ومكرهي، وأثرة علي وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار.

٥- أنه علامة على أن الداعي من أهل السنة وبراءة له من أهل الأهـواء والفتنـة كما سبق قول البربهاري ولهذه النصـوص وغيرهـا كـان مـن دأب أهـل السـنة والجماعة ومن سبيلهم ومنها جهم:

أ – جمع قلوب الناس على ولاة الأمور.

ب- السعي في نشر المحبة والوئام بين الراعي والرعية.

ج- قطع دابر أسباب الفرقة والشقاق ما وجدوا لذلك سبيلا.

د- القيام بنصيحة ولاة الأمور سراً وأمر الرعية بالصبر على ما قد يصـدر مـنهم من جور واستئثار المال.

هـ- توجيه الرعية لما يزول به الجـور مـن التوبـة النصـوح، والصـدقة في السر والعلانية، ورد المظالم، وصدق النصـيحة للـولاة والتعـاون معهـم عـلى الخـير والاستغفار والصبر.

و- الإلحاح على الله تعالى بصالح الدعوت لهم.

ز- التوبة إلى الله عز وجل من الذنوب التي ارتكبتهـا الرعيـة، فـإن النـاس إنـما يسلط عليهم ولاتهم وعدوهم بذنوبهم، ومنها: منع الزكاة، ونقض العهود.

= وهكذا منهاج أهل السنة والجماعة مع ولاة الأمور منهاج يقـوم عـلى أسـاس الاتباع ولزوم الأثر والدليل من الكتاب والسنة في سـائر أمـور الـدين المتعلقـة بحق الله تعالى أو المتعلقة بحقوق خلقه فإنهم يقتدون ويتبعون ولا يبتدعون ولا يعارضون نصوص الكتاب والسنة بعقولهم وأفكارهم وأهوائهم ولا بـما يمليـه عليهم غيرهم قال ابن مسعود ﷺ إنا نقتدي ولا نبتـدى ونتبـع ولا نبتـدع ولـن نضل ما تمسكنا بالآية.

فنسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هـدانا، ويهـب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب والله أعلم[1] .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

---

(١) رواه الطريكاني في شرح الاعتقاد (١/ ٦).

وقال: إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعـاً في الخـير خير من أن تكون رأساً في الشر.